

ديانا وين جونز

بيت متعدّد الدروب

ترجمة: بثينة الإبراهيم

مرايا | منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING



"سُكنى منزل مليء بالسحر ليس بالأمر الهيّن كما تعلمين."

هذه وصية الخالة سمپرونيا لشارمين بطلة الجزء الثالث والأخير من ثلاثية هاول. تؤخذ شارمين لتُدير شؤون بيت ساحر هاي نورلند، العم الكبير وليم، بترشيح من الخالة سمپرونيا.

نُشّئت شارمين تنشئة حسنة في رعاية أبويها آل بيكر، لكنهما بالغا في ذلك فأبعداها عن كل شيء رغبةً منهما في أن تغدو فتاة "محترمة"، ولم تحسِن فعل شيء إلا قراءة الكتب التي تَدفن فيها أنفها كل الوقت. ولذلك تسعى إلى تحقيق حلمها في الانضمام إلى ملك هاي نورلند وابنته الأميرة هلدا في تصنيف مكتبتهما.

تتعلم شارمين في بيت الساحر أشياء بسيطة، كغسل الصحون وترتيب البيت، وفنون غسيل الثياب فلا تغسل مبذلًا أحمر مع الثياب البيضاء. وتحاول التحلي باللطف مع ويف وپيتر الذي يعلّمها الكثير، على الرغم من أنه لا يميّز بين اليمين واليسار.
في البيت الصغير - ظاهريًا - ببابه الواحد الذي يأخذنا إلى أماكن عدة، تكتشف شارمين مواهبها الدفينة العديدة، فهي ساحرة بالفطرة تنجح في إيقاف انبجاس المياه من الأنابيب المتصدّعة، والطيران في المرج والتصدي للوبوك، وكشف خديعة الكوبولد رولو وحماية المملكة برفقة كلبتها ويف.

لم تكن السكنى في منزل الساحر بالأمر الهين، كما استنتجت شارمين، غير أنها عرفت فيه نفسها وأشخاصًا آخرين ما كان لها أن تعرفهم لولا إقامتها فيه، والأهم من كل هذا أنها عرفت الحياة كما لم تعرفها من قبل.

المترجمة

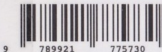


ديانا وين جونز

بيت متعدّد الدروب



منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING


9 789921 775730



www.takweenkw.com | takween.publishing@gmail.com

ديانا وين جونز



بيت متعدّد الدروب

رواية

ترجمة

بثينة الإبراهيم



منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
مرايا



الكاتب: ديانا وين جونز

عنوان الكتاب: بيت متعدّد الدروب

ترجمة: بثينة الإبراهيم

العنوان باللغة الأصلية: **House of Many Ways**

الكاتب: **Diana Wynne Jones**

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-775-73-0

الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2023

3000 نسخة



منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 98 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 00 11 78 964 +

 takween.publishing@gmail.com  takweenkw

 takween_publishing  TakweenPH

 www.takweenkw.com

إلى حفيدتي روث، ومعها مصبغة شيرِن،

وأيضًا، إلى ليلي.ب.

عزيزي القارئ

إليك كتابي الجديد «بيت متعدد الدروب» الذي أرجو أن تحبه. إنه جزء لاحق لقلعة هاول المتحركة وقلعة في الهواء، تجري أحداثه في عالم لا تعدّ فيه أشياء من قبيل حذاء الفراسخ السبعة أو البُسط الطائرة أمورًا ممكنة فحسب، بل حقيقية أيضًا. ننتقل في هذا الجزء إلى مملكة هاي نورلند الجبلية، وفيها الملك المُسِن وابنته التي تكاد تماثله عمرًا المشغولان جدًا فلم ينتبها إلى أنهما يزدادان فقرًا. ويرقد ساحر بلاطهما على فراش المرض عاجزًا عن مساعدتهما، وهكذا سنلتقي شارمين، المراهقة شكسة الطباع التي نُشِّئت تَنشِئة حسنة جدًا فتكاد لا تعرف شيئًا إلا عن الكتب. طُوّعت شارمين للاهتمام بمنزل ساحر البلاط أثناء مرضه، لكن بيت أي ساحر يُعرف بغرابته، وبيت هذا الساحر شديد الغرابة.

وأثناء صراع شارمين مع غرائبه ومع الكلب الصغير جدًا والجشع جدًا المدعو وَيف، تلتقي في المدينة المخيفة صبيًّا مغرورًا يدعى پيتر وقبيلة من الكوبولد، وسكان القلعة المتحركة صوفي

وابنها مورغن وكالسيفر عفريت النار والساحر هاول في تمويه مزعج جدًا. آه، كما أن في الحكاية أقزامًا أيضًا، إضافة إلى جمال الطاهي وكلبه النكِد.

لقد استمتعتُ أثناء كتابة هذا العمل، وأرجو أن تجد متعة مماثلة في قراءته[1].

ديانا وين جونز

(١) واستمتعت بترجمته متعة لا توصف! (المترجمة)

الفصل الأول

وفيه تُطوّع شارمين لتدبير منزل ساحر

«يجب أن تقوم شارمين بذلك»، قالت الخالة سِمپرونيا. «لا يمكن أن نترك العم الكبير وليم يواجه هذا وحده».

«عمك الكبير وليم؟»، قالت السيدة بيكر. «أليس هو...»، وسعلت وخفضت صوتها لأن ما ستقوله ليس بلطيف حقًا في رأيها. «أليس ساحرًا؟».

«طبعًا»، قالت الخالة سِمپرونيا. «ولكن عنده...»، وهنا خفضت صوتها هي الأخرى. «عنده ورم في أحشائه، ولن يساعده إلا العفاريت. عليهم أن يأخذوه ليعالجوه كما ترين، ولا بد أن يعتني أحد ببيته. فالرُّقى تهرب إن لم يكن في البيت من يراقبها. وأنا مشغولة جدًا ولا أستطيع فعل ذلك. إحساني للكلاب الضالة وحده...»

«وأنا أيضًا. نحن غارقون حتى آذاننا في طلبات كيك الزفاف هذا الشهر»، قالت السيدة بيكر على عجالة. «قال سام هذا الصباح...»

«فلا بد أن تكون شارمين، فهي في عمر مناسب لهذا الأمر»، حسمت الخالة سِمپرونيا أمرها.

«إِه»، قالت السيدة بيكر.

نظرت كلتاهما إلى الردهة حيث تجلس ابنة السيدة بيكر، غارقة في كتاب كعادتها، وجسدها الطويل النحيل منحنٍ على ضوء الشمس الذي يتخلل أزهار إبرة الراعي العائدة للسيدة بيكر، وشعرها مرفوع فيما يشبه عش طائر ونظارتها جاثمة على طرف أنفها. كانت تحمل في إحدى يديها واحدة من فطائر اللحم الطرية التي يعدها أبوها وتقضمها وهي تقرأ. وظل الفتات يتساقط على كتابها وهي تنفضه بالفطيرة حين يسقط على الصفحة التي تقرؤها.

«إه... هل سمعتِنا يا عزيزتي؟»، قالت السيدة بيكر قلقة.

«لا. ما الأمر»، قالت شارمين وفمها مليء بالطعام.

«لقد سُوِّي الأمر إذن»، قالت الخالة سمپرونيا. «سأترك لك أن تشرحي لها الأمر يا عزيزتي بيرنيس». فوقفت ونفضت بفخامة ثنيات فستانها الحريري الصقيلة ثم هزت شمسيتها الحريرية، وقالت: «سأعود لاصطحابها غدًا صباحًا. يجدر بي الذهاب الآن لأخبر المسكين العم الكبير وليم بأن شارمين ستتولى الأمور من أجله».

وتسللت من الردهة تاركة السيدة بيكر تتمنى لو لم تكن خالة زوجها شديدة الثراء أو التسلط، وتتساءل كيف ستخبر شارمين أو سام. لم يسمح سام قط لشارمين أن تفعل أي شيء لا يتسم

بالاحترام الكامل. ولا السيدة بيكر أيضًا، إلا إن تولت الأمر الخالة سمپرونيا.

وفي هذه الأثناء صعدت الخالة سمپرونيا إلى عربتها التي يجرها مهر وأخذها حوذيها إلى الجانب الآخر من المدينة حيث يسكن العم الكبير وليم.

«لقد تدبرت الأمر»، قالت، وهي تجول في الدروب السحرية إلى حيث جلس العم الكبير وليم كئيبًا يكتب في غرفة المكتب. «ستأتي حفيدتي شارمين إلى هنا غدًا. ستراك قبل سفرك وتعتني بك حين تعود. وأثناء ذلك، ستهتم بشؤون البيت من أجلك».

«يا للطفها»، قال العم الكبير وليم. «هل أفهم أنها متبحّرة في السحر إذن؟»

قالت الخالة سمپرونيا «لا علم لي. ما أعرفه حق المعرفة أنها لا ترفع أنفها عن الكتب، ولا تحرك ساكنًا في البيت، ويراها والداها متاعًا مقدسًا. سيجديها نفعًا أن تفعل شيئًا عاديًا على سبيل التغيير».

«أوه يا إلهي، شكرًا على تنبيهي. سأتخذ احترازاتي إذن»، قال العم الكبير وليم.

قالت الخالة سمپرونيا: «افعل ذلك. ويحسن بك أن تحرص على توفر طعام كثير في البيت. لم أعرف يومًا فتاة تأكل بهذا القدر وتظل نحيلة كمقشة الساحرة. لم أفهم ذلك قط. سآتي بها صباح غد قبل مجيء العفاريت إذن».

واستدارت وغادرت. «شكرًا لك»، قال العم الكبير وليم واهنًا لظهرها المنشّى المحفحف. «عزيزتي، عزيزتي»، أردف حين انصفق الباب. «آه. طيب، أحسب أن على المرء أن يكون شاكرًا لوجود الأقارب».

الغريب أن شارمين كانت شاكرة للخالة سمپرونيا أيضًا. ليس ذلك لإرسالها للاعتناء بالساحر المُسِنّ المريض الذي لم تره من قبل، وكثيرًا ما ردد على أسماع أمها: «كان عليها أن تسألني!»

«أظنها عرفت أنك سترفضين يا عزيزتي»، ألمحت السيدة بيكر أخيرًا.

«ربما»، قالت شارمين، وأضافت بابتسامة ماكرة، «أو ربما لا».

«لا أنتظر منك أن تستمتعي بالأمر يا عزيزتي»، قالت السيدة بيكر وجلة. «فليس في الأمر ما يسلّي، لكنه سيكون لطفًا شديدًا...»

«تعرفين أنني لست لطيفة»، قالت شارمين، وصعدت ذاهبة إلى غرفتها البيضاء المكشكشة، وجلست إلى مكتبها الجميل، تحملق خارج النافذة إلى السطوح والأبراج والمداخن في مدينة هاي نورلند، ثم عاليًا إلى الجبال الزُّرق خلفها. والحق أن هذه هي الفرصة التي تاقت إليها. فقد سئمت من مدرستها المحترمة وسئمت جدًا من العيش في البيت، وأمها تعاملها كأنها نمرة لا يثق أحد بأنها أليفة، وأبوها يمنعها من فعل الأشياء لأنها ليست جميلة أو ليست آمنة أو ليست مألوفة. كانت هذه فرصة لمغادرة البيت وفعل الشيء -الشيء الوحيد- الذي

أرادت شارمين أن تفعله دائمًا. وهو يستحق الصبر على السُّكنى في بيت ساحر من أجل ذلك. وتساءلت إن كان عندها الجرأة على كتابة الرسالة التي تناسبه. مر وقت طويل ولم تتحلَ بالشجاعة، بل جلست تحملق إلى الغيوم وهي تتراكم حول قمم الجبال، بيضاء وبنفسجية، صانعة أشكال حيوانات سمينة وتنانين هزيلة تشن هجومًا. وظلت تنظر حتى تبددت الغيوم إلى لا شيء سوى سديم رقيق مقابل السماء الزرقاء، وقالت: «الآن أو انسي الأمر». ثم تنهدت ورفعت نظارتها من السلسلة المدلاة حول عنقها، وأخرجت قلمها الجميل وأفضل أوراق الكتابة عندها. وكتبت بأجمل خط:

يا صاحب الجلالة

لقد تحرقت شوقًا إلى العمل في مكتبتك منذ صغري ومنذ أن سمعت بمجموعتك العظيمة من الكتب والمخطوطات. وعلى الرغم من معرفتي بأنك تتولى بنفسك المهمة الطويلة والشاقة في تصنيف الكتب وإعداد قوائم بمحتوى المكتبة الملكية، بمساعدة ابنتك سمو الأميرة هلدا، فإني أرجو أن تقدر مساعدتي. ولما كنت في عمر مناسب، فإني أود التقدم إلى منصب مساعد أمين المكتبة في المكتبة الملكية. أرجو ألا ترى جلالتك طلبي شديد الجرأة.

المخلصة لك حقًا

شارمين بيكر

١٢ شارع كورن

مدينة هاي نورلند

استرخت شارمين في جلستها وأعادت قراءة رسالتها. وقالت في نفسها إن الكتابة هكذا إلى الملك المُسن وقاحة خالصة، لكن الرسالة في نظرها بدت جيدة. والأمر الوحيد غير الواضح فيها قولها «إنني في عمر مناسب». فقد أدركت أنه يفترض بهذا أن يعني بلوغها واحدًا وعشرين عامًا -أو ثمانية عشر عامًا على الأقل- لكنها لم ترها كذبة كاملة، فهي لم تفصح عن عمرها أصلًا، ولم تقُلْ إنَّها ذات تعليمٍ عالٍ أو مؤهلات فائقة، لأنها عرفت أنها ليست كذلك. بل لم تقل إنها تهوى الكتب أكثر من أي شيء آخر في العالم، وإن كانت هذه حقيقة كاملة. عليها أن تثق بأن حبها للكتب يشع منها.

أنا متأكدة أن الملك سيجعِّد الرسالة ويرميها إلى النار، لكني حاولت على الأقل، قالت تكلم نفسها.

خرجت وأرسلت الرسالة يملؤها إحساس بالشجاعة والإقدام.

وصلت الخالة سمپرونيا الصباح التالي بعربتها التي يجرها المهر وفيها حملت شارمين، إلى جانب حقيبة سفر أنيقة متينة ملأتها السيدة بيكر بثياب شارمين، وحقيبة أكبر بكثير حزمها السيد بيكر تغص بفطائر اللحم والأطايب والكعكات وفطائر الفاكهة والكعك الرقيق. كانت الحقيبة الثانية كبيرة جدًا، تفوح منها روائح قوية للصعتر البري والمرق والجبن والفاكهة والمربى والتوابل، فالتفت الحوذي الذي يقود العربة وتنشَّقها متعجبًا، بل إن منخاري الخالة سمپرونيا توهجا توهجًا فخمًا.

وقالت: «لن تتضوري جوعًا يا صغيرة هكذا. امضِ في طريقك [أيها الحوذي]».

لكن الحوذي انتظر حتى عانقت السيدة بيكر شارمين وقالت: «أعلم أن في وسعي الوثوق بك، بأن تكوني صالحة ومرتبة وعاقلة يا عزيزتي».

قالت شارمين في نفسها إن هذه كذبة، فهي لا تثق بي قيد أنملة.

ثم هرع والد شارمين ليطبع قبلة على وجنتها، وقال: «نعلم أنكِ لن تخذلينا يا شارمين».

قالت شارمين في نفسها إن هذه كذبة أخرى، فأنتَ تعرف أني سأفعل.

«وسنشتاق إليك يا حبي»، قالت أمها وهي تكاد تبكي.

قد لا تكون هذه كذبة! قالت شارمين في نفسها بشيء من العجب. رغم أني أحتار لماذا يحباني.

«امضِ في طريقك!»، قالت الخالة سمپرونيا صارمة، ففعل الحوذي. قالت الخالة، والمهر يخبُّ رزينًا في الشوارع: «اسمعي يا شارمين، أعلم أن والديك أعطياك أحسن كل شيء ولم يتوجب عليكِ فعل شيء لنفسك في حياتك. فهل أنت مستعدة للاعتناء بنفسك على سبيل التغيير؟»

«أوه أجل»، قالت صادقة.

«والبيت والمُسن المسكين؟»، أصرت الخالة سمپرونيا.

«سأبذل قصارى جهدي»، قالت شارمين. وقد خشيت أن تعود الخالة سمپرونيا أدراجها فتعيدها إلى البيت إن لم تقل هذا.

«تلقيتِ تعليمًا جيدًا، أليس كذلك؟»، قالت الخالة سمپرونيا.

«حتى في الموسيقى»، أقرت شارمين بشيء من المكر. ثم أردفت على عجل: «لكني لم أبرع فيها. فلا تنتظري مني أن أعزف ألحانًا هادئة للعم الكبير وليم».

«لا أنتظر ذلك»، ردت الخالة سمپرونيا. «وما دام ساحرًا، فلا بد أنه قادر على صنع ألحانه الهادئة بنفسه. كنت أحاول معرفة ما إذا كنت مطلعة اطلاعًا كافيًا على السحر. أنتِ مطلعة، أليس كذلك؟»

كأنما وقعت أحشاء شارمين في مكان ما، آخذة معها الدم من وجهها. فلم تجرؤ على الاعتراف بأنها لا تعرف أبسط الأمور عن السحر. إذ لم يرَ والداها -وخاصة السيد بيكر- أن السحر من التهذيب. وقد وقع بيتهم في مكان محترم من المدينة فلم تعلّم مدرسة شارمين السحرَ لأي أحد. وإن أراد أحد تعلُّم شيء سوقي كهذا، فعليه أن يقصد معلمًا خاصًا. وعرفت شارمين أن والديها لن يدفعا أبدًا مقابل دروس كهذه. «إر...»، قالت.

لحسن حظها أن الخالة سمپرونيا واصلت كلامها. «سُكنى منزل مليء بالسحر ليس بالأمر الهين كما تعلمين».

«أوه، لن أستهين به يومًا»، قالت شارمين بجدّية.

«جيد»، قالت الخالة سمپرونيا واسترخت في جلستها.

سار المهر مقرقعًا بحوافره وسار. فعبروا الساحة الملكية، متجاوزين القصر الملكي، وقد لاح من أحد جوانبه سطحُه الذهبي المتلألئ في الشمس، وشقوا طريقهم عبر ساحة السوق، التي لا يسمح لشارمين بالذهاب إليها إلا نادرًا. فنظرت حزينة إلى الدكاكين وإلى كل الناس الذين يشترون أشياءهم ويتبادلون الأحاديث، ونظرت خلفها إلى الأماكن حينما دخلوا الجزء القديم من المدينة. كانت بيوت هذه الناحية عالية وملونة ولا يشبه واحدُا الآخر -لكل منها قمة مسنَّمة أشدَّ علوًّا ونوافذ أغرب مواضعَ من سابقه- فأخذ الأمل يحدو شارمين بأن تكون الإقامة في بيت العم الكبير شديدة الإثارة. لكن المهر واصل طريقه مطرطقًا خلال النواحي الأقذر والأشد فقرًا، ثم تجاوز الأكواخ، وخرج إلى الحقول والأحراش، إلى جرف عظيم انحنى فوق الطريق ليس فيه إلا البيت الصغير المنعزل يردفه الوشيع، والجبال تعلو أقرب وأقرب فوقه.

أخذت شارمين تظن أنهم خارجون من هاي نورلند ذاهبين إلى بلاد أخرى تمامًا. فأي البلاد ستكون؟ سترانغيا؟ مُنتالبينو؟ وتمنت أنها اهتمت أكثر بدروس الجغرافيا.

في اللحظة ذاتها، وقف الحوذي بجانب بيت صغير بني اللون يجثم في آخر حديقة أمامية طويلة. نظرت إليه شارمين عبر بوابته المعدنية الصغيرة وأحست بخيبة أمل تامة. لقد كان أشدّ البيوت مللًا مما رأته في حياتها، له نافذتان على جانبي بابه الأمامي البني

اللون ومال السطح البني فوقهما مثل تقطيبة الجبين. ولم يبدُ أن له سلالم قط.

«ها قد وصلنا»، قالت الخالة سمپرونيا مبتهجة. وترجلت وفتحت البوابة المعدنية الصغيرة في صلصلة، وتقدمت سائرة في الدرب الموصل إلى الباب الأمامي. سارت شارمين خلفها نكِدةً وتبعهما الحوذي حاملًا حقيبتي شارمين. لم تضم الحديقة على جانبي الدرب إلا شجيرات الكوبية، الزُّرق، والزُّرق المخضرَّة، والبنفسجية.

«لا أحسب أن عليك الاعتناء بالحديقة. أنا واثقة بأن وليم استأجر بستانيًّا»، قالت الخالة سمپرونيا مرحة. وقالت شارمين في نفسها أرجو ذلك!

«آمل أن يفعل»، قالت شارمين. فجُلُّ ما تعرفه عن الحدائق كان الفناء الخلفي لآل بيكر الذي يضم شجرة توت ضخمة وشجيرة ورد، إضافة إلى أصص توضع على النوافذ تزرع فيها أمها الفاصولياء المتسلقة. تعرف أن تحت النباتات ترابًا وأن التراب فيه ديدان، فسَرت الرجفة في أوصالها.

طرقت الخالة سمپرونيا برشاقة مقرعة الباب الأمامي البني ثم شقت طريقها إلى داخل البيت منادية «كوو-وي! لقد أتيت لك بشارمين!»

«شكرًا جزيلًا لك»، قال العم الكبير وليم.

أدى الباب الأمامي إلى غرفة جلوس نتنة الرائحة، إذ كان العم الكبير وليم يجلس على كرسي بالٍ ذي مسندين لونه بني فاتح، وبجانبه حقيبة جلدية كبيرة، كأنه مستعد للمغادرة. «سررت بلقائك يا عزيزتي»، قال لشارمين.

«كيف حالك يا سيدي؟»، أجابت شارمين بتهذيب.

وقبل أن يقول أيٌّ منهما شيئًا، قالت الخالة سمپرونيا: «حسن إذن، أحبكما وأترككما. أنزل حقيبتيها هناك»، قالت لحوذيها. فأطاع الحوذي وأنزل الحقيبتين قرب الباب الأمامي وخرج ثانية. وتبعته الخالة سمپرونيا في حفيف الحرائر باهظة الثمن، هاتفة: «إلى لقاء بكما!»، وهي تخرج.

انصفق الباب الأمامي وانغلق، تاركًا شارمين والعم الكبير وليم يتبادلان الحملقة. كان العم الكبير وليم رجلًا ضئيلًا ويكاد يكون أصلع إلا من بضع خصل من الشعر الفضي الجميل المسرّح على رأسه المقبب. وجلس متخشبًا منحني الظهر متغضنًا فعرفت شارمين أنه يقاسي ألمًا كبيرًا. وفوجئت حين وجدت أنها ترثي لحاله، لكنها تمنت ألا يديم النظر إليها هكذا، فقد أشعرها بالذنب. وارتخى جفناه السفليان من عينيه الزرقاوين المتعبتين، مظهرين احمرارهما كالدم. وكرهت شارمين الدم بقدر ما كرهت ديدان الأرض.

«حسن، إنك تبدين شابة كفؤة فارعة الطول»، قال العم الكبير وليم، وصوته متعب ورقيق. «الشعر الأحمر علامة جيدة في رأيي.

جيدة جدًا. أتظنين أنك قادرة على تدبير شؤون البيت أثناء غيابي؟ أخشى ان المكان في شيء من الفوضى».

«أحسب ذلك»، قالت شارمين. وبدت الغرفة النتنة مرتبة تمامًا في نظرها. «هلَّا أخبرتَني ببعض ما يجب أن أفعله؟»، وقالت في نفسها رغم أني آمل ألا أطيل المكوث هنا.. حالما يردُّ الملك على رسالتي...

قال العم الكبير وليم: «ما دمتِ أتيتِ على ذكر هذا، فالمطلوب هو الأمور المنزلية المعتادة بلا شك، ولكن بالسحر. عادة يكون جُلُّها سحريًّا. ولمَّا لم أكن عارفًا أي مرحلة من السحر بلغتِ، فقد اتخذتُ بعض الاحتياطات...».

يا للهول! يظنني أجيد السحر! قالت شارمين في نفسها.

حاولت أن تقاطع العم الكبير وليم لتشرح، غير أن كليهما تعرض للمقاطعة في تلك اللحظة. فقد قرقع الباب الأمامي وانفتح ودخل موكب من العفاريت الطوال الطوال وساروا بهدوء إلى الداخل. كانوا يلبسون ثيابًا بِيضًا كثياب الأطباء، وخلت وجوههم الجميلة من أي تعبير. نظرت شارمين إليهم، وقد خارت قواها لرؤية جمالهم وطولهم وحيادهم وقبل ذلك صمتهم المطبق. أبعدها واحد منهم جانبًا برفق فوقفت حيث وُضعت، شاعرةً بالحرج والفوضى، وتجمَّع الباقون حول العم الكبير وليم ورؤوسهم الجميلة المذهلة منكبة عليه. لم تعرف شارمين على وجه اليقين ما فعلوا، ولكن العم الكبير وليم في طرفة عين بات يلبس مبذلًا أبيض وهم يرفعونه

عن كرسيه. ثم ألصقت ثلاث تفاحات حمراوات إلى رأسه، ورأت شارمين أنه نائم.

«إر... ألم تنسوا حقيبته؟»، قالت وهم يحملونه ناحية الباب.

«لا حاجة إليها»، قال واحد من العفاريت، مبقيًا الباب مفتوحًا ليخرِج الآخرون العمَ الكبير وليم من خلاله.

ثم قطعوا كلهم درب الحديقة، فهرعت شارمين إلى الباب الأمامي المفتوح ونادتهم قائلة: «كم سيطول غيابه؟»، إذ بدت معرفة مدة بقائها مسؤولةً عن المكان أمرًا ملحًّا فجأة.

«قدر ما يطول»، أجابها عفريت آخر.

ثم اختفوا كلهم قبل أن يصلوا إلى بوابة الحديقة.

الفصل الثاني

وفيه تستكشف شارمين البيت

حملقت شارمين إلى الدرب الفارغ لحظةً ثم أغلقت الباب الأمامي بخبطة. «والآن ماذا أفعل؟»، قالت للغرفة الخالية النتنة.

«أخشى أن عليكِ ترتيب المطبخ يا عزيزتي»، قال الصوت المتعب الحنون للعم الكبير وليم من اللامكان. «أعتذر لتركي كثيرًا من الثياب الوسخة. افتحي حقيبتي لمزيد من التعليمات المعقدة من فضلك».

سددت شارمين نظرة إلى الحقيبة. لقد تعمّد العم الكبير وليم تركها إذن. «في غضون دقيقة، لم أفرغ متاعي بعد»، قالت لها. وحملت حقيبتيها وسارت بهما إلى الباب الوحيد الآخر. كان في آخر الغرفة، وعندما حاولت شارمين فتحه باليد التي تحمل حقيبة الطعام، ثم بهذه اليد بعد أن حملت الحقيبتين باليد الأخرى، وأخيرًا بكلتا يديها بعد إنزال الحقيبتين على الأرض، وجدته يؤدي إلى المطبخ.

حدقت لحظة، ثم جرَّت حقيبتيها من ناحية الباب وهو ينغلق فحملقت أكثر.

«يا لها من فوضى!»، قالت.

لا شك أنه مطبخ مريح واسع، وله نافذة واحدة تطل على الجبال، يلجُ منها نور الشمس ودفئها. للأسف، لم يفعل نور الشمس شيئًا سوى تسليط الضوء على أكداس الصحون والأكواب المكومة في حوض المغسلة وعلى لوح تجفيف الصحون، وعلى الأرض قرب حوض المغسلة. ثم واصل نور الشمس -وتابعته عينا شارمين الخائفتان- يلقي وهجًا ذهبيًا على كيسي الغسيل القماشيين الكبيرين المستندين إلى الحوض. كانا محشوين بالثياب المتسخة، فجعلهما العم الكبير وليم رفًا لمجموعة من القدور ومقلاة وسخة أو أكثر.

تنقلت عينا شارمين من هناك إلى الطاولة الكائنة في وسط المطبخ. هنا احتفظ العم الكبير وليم بمخزونه من أباريق الشاي الثلاثين أو نحوها، والعدد نفسه من أباريق الحليب، ناهيك بأنَّ المرق قُدِّمَ في عددٍ منها ذات يوم. وقالت شارمين في نفسها إنها أنيقة، غير أنها تتكدَّس متَّسخةً.

«أحسب أنك كنت مريضًا»، قالت شارمين متذمرة للهواء.

لم يأتِها رد هذه المرة. فتقدمت نحو حوض المغسلة حذرة، وراودها شعور بأن شيئًا مفقود. واستغرق منها الأمر لحظة لتدرك عدم وجود صنابير. لعل هذا البيت يقع بعيدًا خارج المدينة فلم تمدّد له أنابيب المياه. وعندما أطلت من النافذة، رأت فناء صغيرًا في الخارج وفي وسطه مضخة.

«يجب أن أذهب وأضخ الماء وأجلبه إلى الداخل إذن، ثم ماذا؟»، سألت شارمين. ونظرت إلى الموقد الداكن الفارغ. إنه فصل الصيف، لذا لن تجد نارًا طبعًا، ولا رأت شيئًا تشعلها به. فقالت: «أسخن الماء؟ أحسب أني سأسخنه في قدر وسخة و... خطر لي الآن لدى تفكيري في الأمر الآن، كيف لي أن أغتسل؟ ألا أستطيع الاستحمام؟ أليس عنده غرفة نوم أو حمام؟»

وهرعت إلى الباب الصغير وراء الموقد وفتحته. يبدو أن كل أبواب العم الكبير وليم تحتاج قوة عشرة رجال لفتحها، قالت في نفسها غاضبة. لقد أحست أن وزن السحر هو ما يبقيها مغلقة. ووجدت نفسها تنظر إلى غرفة صغيرة للمؤن، لم يكن على رفوفها شيء عدا كِسرة صغيرة من الزبدة، ورغيف خبز بائت وكيس كبير كُتب عليه عبارة غامضة سيبيس كانينكوس(1) كأنه مليء بالصابون المبشور. وتكوم في جزئه الخلفي كيسا غسيل كبيران مليئان يشبهان اللذين في المطبخ.

قالت شارمين: «سأجنّ. كيف فعلت الخالة سمپرونيا هذا بي؟ كيف سمحت لها أمي أن تفعل هذا بي؟» في لحظة اليأس هذه، لم تفكر شارمين إلا في فعل ما تفعله في الأزمات، أن تدفن نفسها في كتاب. فجَرَّت حقيبتيها إلى الطاولة المزدحمة وجلست على أحد الكرسيين هناك. هنالك فتحت حقيبة السفر، ووضعت نظارتها على أنفها

(١) طعام كلاب [باللاتينية، أ. نواف البيضاني]

ونبّشت متلهفة بين الثياب عن الكتب التي وضعتها لأمها لتحزمها لها.

لم تلمس يداها إلا الأشياء اللينة، وتبين أن الشيء الصلب الوحيد لوح كبير من الصابون بين أغراض الاغتسال. فألقته شارمين عبر الغرفة إلى المصطلى الفارغ ونبّشت أكثر. «لا أصدق هذا!»، قالت. «لا بد أنها وضعتها أولًا في القاع». ثم قلبت الحقيبة رأسًا على عقب وهزتها لتخرج كل شيء على الأرض. فوقعت لفائف من التنانير والفساتين والجوارب والقمصان والسترتان المنسوجتان، والتنانير الداخلية المخرمة والثياب الداخلية الأخرى التي تكفي سنة وكلها مطوية طيًا جميلًا. وفوق هذا كله وقع خفها متراخيًا. وبعدها باتت الحقيبة مستوية وفارغة. غير أن شارمين تحسست بيدها جوف الحقيبة قبل أن ترمي بها جانبًا، تاركة نظارتها تسقط إلى طرف سلسلتها وتساءلت إن كان حريًا بها أن تبكي. لقد نسيت السيدة بيكر أن تضع الكتب.

«حسن»، قالت شارمين بعد ابتلاع الريق وطرف العينين، «لم أبتعد عن البيت من قبل. في المرة القادمة التي أذهب فيها إلى أي مكان، سأحزم حقيبتي بنفسي وأملؤها بالكتب. عليَّ الرضا بالأمر الآن».

وبرضاها بالأمر، فقد وضعت الحقيبة الأخرى على الطاولة المزدحمة وأبعدت ما عليها لتفسح للحقيبة مكانًا. فأوقعت أربعة من أباريق الحليب وإبريق شاي على الأرض. «ولست أبالي!»،

قالت شارمين أثناء وقوع الأشياء. أحست بشيء من الارتياح أن أباريق الحليب كانت فارغة فارتدّت فقط، ولم ينكسر إبريق الشاي أيضًا بل وقع على جانبه وسال منه الشاي على الأرض. «لعل هذا هو الجانبُ المشرق من السحر»، قالت شارمين وهي تبحث متجهمة عن أروع فطيرة لحم. ثم جمعت تنورتها في لفة بين ركبتيها، ووضعت مرفقيها على الطاولة وأخذت قضمة ضخمة شهية مهدّئة من الفطيرة.

فلمس شيء بارد مرتعش الجزء المكشوف من ساقها اليمنى.

شلت حركة شارمين، بل لم تجرؤ على المضغ. وقالت في نفسها إن هذا المطبخ مليء بالديدان السحرية الكبيرة!

لمس الشيء البارد جزءًا آخر من ساقها، وانطلق مع اللمسة أنين صغير خافت جدًا.

أبعدت شارمين، ببطء شديد، التنورة ومفرش الطاولة ونظرت إلى الأسفل. جلس تحت الطاولة كلب أبيض أشعث صغير، يحدق إليها حزينًا ومرتعش الأوصال. عندما رأى شارمين تنظر إليه، نصّب أذنين مختلفتين رثتين بيضاوين وخبط على الأرض بذيله القصير الناعم. ثم همس بأَنَّة ثانية.

«من أنت؟ لم يخبرني أحد بأمر الكلب»، قالت شارمين.

فتكلم صوت العم الكبير وليم من الهواء مرة ثانية. «هذا ويف. كوني عطوفة عليه. لقد جاء إليَّ ضالًّا ويبدو أنه يخاف من كل شيء».

لم تعرف شارمين شيئًا عن الكلاب في حياتها، فأمها تقول إن الكلاب قذرة وتعض ولن تؤوي واحدًا في البيت، لذا يعتري شارمين التوتر دائمًا بشدة لدى رؤية أي كلب. لكن هذا الكلب صغير جدًا، وكان ناصع البياض شديد النظافة، وبدا أنه يخاف من شارمين أكثر بكثير مما تخافه هي، فما زال مرتعش الأوصال.

«أوه، كُفَّ عن الارتجاف. لن أؤذيك»، قالت شارمين.

وظل ويف يرتجف وينظر إليها نظرات مثيرة للشفقة.

تنهدت شارمين، وقطعت قطعة كبيرة من فطيرتها ومدتها إلى ويف، وقالت: «خذ. هذه لأنك لست دودة».

ارتجف أنف ويف الأسود اللامع ناحية القطعة، ثم رفع نظره إلى شارمين ليتأكد أنها تعني هذا، ثم أخذ القطعة بفمه برفق وتهذيب شديدين وأكلها. ونظر إلى شارمين مرة ثانية، وفُتنت شارمين بتهذيبه، فقطعت له قطعة أخرى، ثم أخرى. في النهاية، تقاسما الفطيرة نصفًا بنصف.

«لقد انتهت»، قالت شارمين وهي تنفض الفتات عن تنورتها. «يجب أن يكفينا ما في الحقيبة، إذ لا يبدو أن في البيت طعامًا آخر. والآن قل لي ماذا نفعل تاليًا يا ويف؟»

فسار ويف سيرًا حثيثًا إلى ما بدا بابًا خلفيًا، ووقف يهز ذيله الناعم ويهمس بأنين صغير. فتحت شارمين الباب -الذي كان فتحه صعبًا بقدر البابين الآخرين- وتبعت ويف إلى الفناء الخلفي، ظانَّة

أنه يقصد وجوب ضخ الماء لأجل حوض المغسلة. لكن ويف سار متجاوزًا المضخة وتقدم نحو شجرة التفاح الهرمة في الزاوية، فرفع ساقًا قصيرة جدًا وتبول عند الشجرة.

قالت شارمين: «فهمت. هذا ما يتعين عليك أنت أن تفعله، ولست أنا. ولا يبدو أنك تسدي صنيعًا إلى الشجرة يا ويف».

فنظر إليها ويف ثم واصل سيره جيئة وذهابًا في أرجاء الفناء، يتشمم الأشياء ويرفع ساقًا على العشب المتجمع. ورأت شارمين أنه يشعر بالأمان في هذا الفناء، وهي أيضًا. إذ خامرها إحساس دافئ آمن كأن العم الكبير وليم قد وضع حاميات سحرية حول المكان. وقفت قرب المضخة ونظرت إلى ما وراء السياج، إلى الجبال العالية الشاهقة الارتفاع. وهب نسيم رقيق من المرتفعات، جالبًا رائحة الثلج والأزهار الجديدة، التي ذكّرت شارمين بالعفاريت بصورة ما. فتساءلت إن كانوا أخذوا العم الكبير وليم إلى الأعلى.

ويجدر بهم أن يعيدوه سريعًا، سأجنّ إن طال مكوثي أكثر من يوم واحد! قالت في نفسها.

في الناحية المجاورة للبيت سقيفة صغيرة، فذهبت شارمين لتفقدها مهمهمة: «أظنها تحوي مجارف وأصصًا وأشياء من هذا القبيل». ولما فتحت بابها العنيد، وجدت داخله مرجلًا نحاسيًا كبيرًا ومكواة أسطوانية ومكانًا لإشعال النار تحت المرجل. فنظرت لوهلة إلى كل هذه الأشياء كما تنظر إلى معروضات غريبة في متحف، حتى تذكرت أن في فناء بيتهم سقيفة مماثلة، وهي مكان

غامض في نظرها بقدر هذه السقيفة. فقد مُنعت دائمًا من دخولها، لكنها تعرف أن غسّالة حمراء اليدين أرجوانية الوجه تأتي مرة في الأسبوع وتصنع الكثير من البخار في هذه السقيفة، فتخرج منها ثيابٌ نظيفة.

آه. حجرة للغسيل، قالت في نفسها. أظن أن عليك وضع ما في أكياس الغسيل في هذا المرجل لغليه. ولكن كيف؟ بِتُّ قانعة بأني عشت حياة شديدة الراحة.

«وهو أمر جيد أيضًا»، قالت بصوت عالٍ وهي تتذكر يديَ الغسالة الحمراوين ووجهها الأرجواني.

لكن هذا لن يساعدني في غسل الصحون. وماذا عن الاستحمام، أيطلب مني أن أغلي نفسي في هذا المرجل؟ وأين أنام حبًا بالرب؟، قالت لنفسها.

عادت إلى الداخل وتركت الباب مفتوحًا من أجل ويف، ومشت متجاوزة حوض المغسلة وأكياس الغسيل والطاولة المزدحمة وكومة متاعها على الأرض، وفتحت الباب الكائن في الجدار البعيد، وخلفه كانت غرفة الجلوس النتنة ثانية.

«لا طائل من هذا! أين غرف النوم؟ أين الحمام؟»، قالت.

تكلم الصوت المُتعَب للعم وليم الكبير في الهواء. «للوصول إلى غرف النوم والحمام، انعطفي يسارًا حين تفتحين باب المطبخ يا عزيزتي. وأرجو أن تغضي الطرف عن أي فوضى تجدينها».

ونظرت شارمين خلال الباب المفتوح إلى المطبخ خلفه، وقالت: «أوه، حقًا؟»

«حسن، سنرى»، فعادت حذرة إلى المطبخ وأغلقت الباب أمامها، ثم فتحته ثانية، بما أخذت تجده الصعوبة المعتادة، واستدارت بهمّة إلى اليسار في إطار الباب قبل أن يتسنى لها الوقت للظن بأن الأمر مستحيل.

فوجدت نفسها في ممر ذي نافذة مفتوحة في طرفه البعيد. هب النسيم من النافذة وكان مفعمًا برائحة الجبال القوية من الثلج والزهور. ورأت شارمين بلمحة مذهولة المرجَ المنحدر الأخضر والمسافات البعيدة الزرقاء، وهي منهمكة في إدارة المقبض ودفع ركبتيها على أقرب الأبواب. فُتح هذا الباب بسهولة كأنه يستخدم كثيرًا. وتعثرت شارمين في دخولها برائحة سرعان ما أنستها الروائح القادمة من النافذة. فوقفت رافعة أنفها تتشمم مبتهجة. كانت رائحة زكية لعفونة الكتب القديمة، ورأت مئات منها في أرجاء الغرفة. صُفّت الكتب على رفوف تغطي الجدران الأربعة، ورُصّت على الأرض وكُدِّست على المكتب، كتب قديمة ذوات أغلفة جلدية في معظمها، رغم أن بعضًا مما وُضع على الأرض له أغلفة ملونة حديثة. لا شك أن هذه مكتبة العم الكبير وليم.

«أووووه!»، قالت شارمين.

وتجاهلت إطلالة النافذة على أشجار الكوبية في الحديقة الأمامية، وانكبت على النظر إلى الكتب الموضوعة على المكتب. كتب كبيرة

سميكة زكية الرائحة، ولبعضها أبازيم معدنية تبقيها مغلقة كأن فتحها خطر. أخذت شارمين أقربها، عندما استرعت انتباهها قصاصة ورق يابسة مبسوطة على المكتب، يغطيها خط يد مرتعشة.

«عزيزتي شارمين»، قرأت وجلست على الكرسي المنجّد أمام المكتب لتقرأ الباقي.

عزيزتي شارمين

أشكرك على تكرمك بالموافقة على الاعتناء بهذا البيت في غيابي. أخبرني العفاريت بأني سأغيب أسبوعين (حمدًا للرب على هذا! قالت شارمين لنفسها) أو لشهر ربما إذا واجهتنا مضاعفات. (أوه). لا بد أن تغفري لي الفوضى التي ترينها هنا، فقد كنت معتلّ الصحة منذ بعض الوقت. لكني واثق بأنك شابة مدبرة وسرعان ما ستنجحين هنا. إن واجهتك أي مصاعب، فقد تركت لك تعليمات محكية أينما دعت الحاجة. كل ما عليكِ فعله أن تقولي سؤالك بصوت عالٍ وسيُردّ عليه. أما الأمور الأكثر تعقيدًا، فستجدين شرحها في الحقيبة. اعطفي على ويف من فضلك، فهو لم يقضِ معي وقتًا كافيًا ليشعر بالأمان، ولا تترددي في قراءة أي كتاب في هذه المكتبة، عدا الموضوعة على المكتب، لأن معظمها شديد القوة والتعقيد. (إيه. كأني أهتم لهذا! قالت شارمين في داخلها). والآن أرجو لك إقامة سعيدة هنا وأرجو أن أتمكن من شكرك شخصيًا في وقت قريب.

المحب عمك الكبير الأكبر بالمصاهرة

وليم نورلند

قالت شارمين بصوت عالٍ: «أظنه عمي بالمصاهرة. لا بد أن يكون العم الكبير للخالة سمپرونيا، وقد تزوجت العم نِد، وهو عم أبي، غير أنه ميت الآن. يا للأسف. لقد رجوت أن أرث شيئًا من سحره»، وقالت بأدب للهواء: «شكرًا جزيلًا لك أيها العم الكبير وليم».

لم يأتها رد، فقالت شارمين إن الرد لن يأتي فهذا ليس بالسؤال. وانطلقت تستكشف الكتب على المكتب.

كان عنوان الكتاب الذي حملته في يدها **كتاب الفراغ والعدم**. وليس بالغريب أنها حين فتحته وجدت صفحاته بيضاء. لكنها أحست تحت أصابعها أن كل صفحة تخرخر وتتلوى بسحر خفي. فأنزلته بسرعة وحملت كتابًا عنوانه **دليل وول إلى التنجيم**. كان هذا مخيبًا قليلًا، إذ تألف في معظمه من رسوم بيانية لخطوط سودٍ منقّطة عليها أرقام ونقاط حُمر مربعة تمتد من الخطوط السُّود في أشكال عدة، ويكاد يخلو من أي شيء يُقرأ. لكن شارمين قضت وقتًا تنظر فيه أطول مما توقعت. لا بد أن الرسوم البيانية تنومّ مغناطيسيًا بصورة ما. لكنها في نهاية المطاف وضعته جانبًا بشيء من القوة والتفتت إلى كتاب عنوانه **العرافة الريادية المتقدمة**، وهذا لم يكن من اهتماماتها. فسطوره متقاربة وفقراته طويلة يبدأ معظمها بالقول: «إذا استنبطنا من نتائجنا في دراستي السابقة، فسنجد أنفسنا مستعدين لمقاربة فرع من علم الظاهريات اللانموذجي...»

قالت شارمين في نفسها لا، لا أظننا مستعدين.

ووضعت هذا جانبًا ورفعت كتابًا مربعًا ثقيلًا وضع على زاوية المكتب. كان عنوانه **داس زوبرباخ**[١] ووجدته مكتوبًا بلغة أجنبية، ورأت شارمين أنها على الأغلب اللغة التي يتكلمونها في إنغري. لكن الأكثر عجبًا أن هذا الكتاب كان ثقالة ورق لمجموعة من الرسائل من كل أنحاء العالم. وقضت شارمين وقتًا طويلًا وهي تستعرض الرسائل بفضول وتزداد إعجابًا بالعم الكبير وليم. تكاد تكون كل الرسائل من سحرة آخرين يريدون مشورة العم الكبير وليم في أفضل النقاط للسحر -فالواضح أنهم يرونه الجهبذ العظيم- أو لتهنئته باكتشافه السحري الأخير، وكلهم خطوطهم أشنع الخطوط. تجهمت شارمين وقطبت جبينها وقربت أسوأها إلى المصباح.

عزيزي الساحر نورلند (هذا ما استطاعت قراءته)

كان في كتابك **الرُّقى المحيرية**[٢] عون كبير لي في عملي التحليلي البُعدي (أو لعلها النكدي؟ تساءلت شارمين) لكني أود أن ألفت انتباهك إلى اكتشافي الصغير المتعلق بما ذكرته في القسم المتعلق بـإذن مردوخ (ذراع مرلين؟ قانون ميرفي؟ أستسلم! قالت شارمين). لعلنا نتناقش عند مجيئي إلى هاي نورلند المرة القادمة.

(١) كتاب السحر باللغة الألمانية.

(٢) لم تحسن شارمين قراءة المكتوب لرداءة الخط. والرقى المحيرية هي بالأحرى الرقى المصيرية.

المخلص الفاتن (الكاره؟ المعجب؟ المترنم؟ يا إلهي! يا له من خط! قالت شارمين)

الساحر هاول پندرغن

«يا إلهي، يا إلهي! لا بد أنه يكتب بمسعر!»، قالت شارمين بصوت عالٍ رافعة الرسالة التالية.

كانت هذه الرسالة من الملك نفسه، وخطه أسهل في القراءة رغم تموجه وطرازه العتيق.

عزيزي الساحر واو (قرأت شارمين بخوف ودهشة تزدادان)

لقد قطعنا أكثر من نصف الطريق في مهمتنا العظيمة والتي لا تعدلها مهمة في الحكمة. نحن نعتمد عليك. ونرجو مخلصين نجاح العفاريت الذين أرسلناهم في إعادة صحتك إليك وأن نتمتع قريبًا بالفائدة التي لا تقدر بثمن لمشورتك ودعمك. ترافقك أمانينا الحارة.

محبك بأمل صادق
أدولفوس ركس هاي نورلند

الملك مَن أرسل هؤلاء العفاريت إذن! «حسن، حسن»، غمغمت شارمين، مقلبة كومة الرسائل الأخيرة. كُتبت كل واحدة منها بأشكال مختلفة من أفضل خط عند كاتبيها. ويبدو أنهم يقولون الشيء نفسه بطرق مختلفة: «أود أن أكون تلميذك أيها الساحر نورلند من فضلك. أتقبلني؟» بل تجرَّأ بعضهم على عرض المال على العم

الكبير وليم، وقال أحدهم إنه سيقدم إلى العم الكبير وليم خاتمًا ماسيًا سحريًا، وقال آخر -ويبدو أنها فتاة- بصورة مثيرة للشفقة: «أنا لست جميلة، لكن أختي جميلة، وتقول إنها ستتزوجك إذا قبلت تعليمي».

ففزعت شارمين وقلّبت بقية الرسائل على عجل. فقد ذكّرتها كثيرًا برسالتها للملك، وقالت في نفسها إنها عديمة الجدوى كهذه. وتجلى لها أن هذه الرسائل التي يتلقاها ساحر مشهور ويرد عليها في الحال قائلًا: «لا». وجمعتها كلها وأعادتها تحت **داس زوبرباخ** وتفقدت الكتب الأخرى على المكتب. كان عليه صف كامل من الكتب الطويلة وكلها تحمل علامة تقول **رس ماجيكا**[1]، وقالت إنها ستطلع عليها لاحقًا. ثم رفعت كتابين خبط عشواء، عنوان أحدهما **درب السيدة پنتستمن: منارات إلى الحقيقة** ووجدته وعظيًا تافهًا. والآخر بعدما فتحت إبزيمه المعدني وبسطته على صفحته الأولى وجدت عنوانه **سِفر الطروس**. فقلبت شارمين الصفحة التالية ووجدت كل صفحة تضم رقية جديدة، رقية واضحة لها عنوان يوضح ما تفعله وتحته قائمة بالمكونات، تليها خطوات مرقّمة تخبرك بما عليك فعله.

«هذا ما أريده!»، قالت شارمين وجلست لتقرأ.

(١) عبارة لاتينية تعني مسائل سحرية. [أ. نواف البيضاني]

بعد مرور وقت طويل، وشارمين تحاول أن تقرر أيها أكثر نفعًا؛ «رقية تكشف العدو من الصديق»، أم «رقية تكبّر العقل»، أو ربما «رُقية للطيران»، أدركت شارمين أن حاجتها ملحة إلى دخول الحمام. يحدث هذا لها أثناء استغراقها في القراءة. فنهضت تضغط ركبتيها، وتذكرت أن الحمام مكان لم تعرف موقعه بعد.

«أوه، كيف أجد الحمام من هنا؟»، قالت بصوت عالٍ.

ولحسن الحظ أن الصوت الخافت المتعب للعم الكبير وليم تكلم من الهواء في الحال. «اذهبي يسار الممر يا عزيزتي، تجدين الحمام أول باب على اليمين».

«شكرًا لك»، قالت شارمين منقطعة الأنفاس وركضت.

الفصل الثالث

وفيه تركّب شارمين رُقى عديدة في وقت واحد

كان الحمام جالبًا للهدوء بقدر صوت العم الكبير وليم الحنون. فأرضيته من الحجر الأخضر وله نافذة صغيرة، ترفرف عليها ستارة شبكية خضراء، وفيه كل التجهيزات التي عرفتها شارمين في منزلها. ولم يكن في منزلها إلا الأفضل، كما خطر لها. والأجمل أن فيه صنابير والمرحاض نظيف. صحيح أن حوض الاستحمام والصنابير غريبة بَصَلية الشكل قليلًا كأن الذي ركّبها لم يكن متأكدًا تمامًا مما يريد أو تريد، غير أن الصنابير عندما فتحتها شارمين لتجربها، جرى منها الماء البارد والساخن، كما يفترض بها، وعلى حاملٍ أسفل المرآة وُضعت مناشف دافئة.

ربما يمكنني وضع أحد أكياس الغسيل في الحوض، ولكن كيف سأعصر الثياب؟ قالت شارمين لنفسها.

على الجانب الآخر من الممر مقابل الحمام صف من الأبواب يمتد إلى مسافة معتمة. قصدت شارمين أقربها وفتحته، ظانة أنه يفضي إلى غرفة المعيشة. ولكنها وجدت غرفة نوم صغيرة خلفه،

لا شك أنها غرفة العم الكبير وليم، نظرًا إلى الفوضى التي تغمرها. فقد سقطت الأغطية البِيض عن الفراش غير المرتب، فوق عدد من قمصان النوم المخططة المبعثرة على الأرض. وتدلت القمصان من الجوارير، إلى جانب الجوارب وما يبدو أنه ثياب داخلية طويلة، وفي الخزانة المفتوحة زي ما، له رائحة نتنة. وتحت النافذة كيسان آخران مملوءان بالثياب الوسخة.

تأوهت شارمين عاليًا. «أظن أنه كان مريضًا منذ بعض الوقت»، قالت محاولة أن تتحلى بالعطف. «ولكن يا رب السماوات! لماذا يتوجب عليَّ فعل هذا كله؟».

بدأ السرير ينتفض.

قفزت شارمين لتواجهه. كان الانتفاض هو ويف، ملتفًّا بارتياح في جبل الأغطية، يحك برغوثة. عندما رأى شارمين تنظر إليه، هز ذيله الرفيع وزحف، وخفض أذنيه المنصوبتين وهمس بأنين متوسلًا إليها.

«لا يجدر بك أن تكون هنا، صحيح؟ حسن، أراك مرتاحًا، ولتحل عليَّ اللعنة إن نمت في هذا الفراش على أي حال»، قالت له.

وخطت خارجة من الغرفة وفتحت الباب التالي. فارتاحت حين رأت أنها غرفة نوم أخرى تكاد تطابق غرفة العم الكبير وليم، عدا أن هذه مرتبة. كان الفراش نظيفًا ومرتبًا، والخزانة مغلقة، ونظرت داخل الجوارير فوجدتها فارغة. هزت شارمين رأسها

مستحسنة الغرفة وفتحت الباب التالي في الممر. كانت غرفة نوم مرتبة أخرى، وبعدها أخرى، وكلها متشابهة تمامًا.

فحدثت نفسها: عليَّ أن أرمي أشيائي في الغرفة المخصصة لي وإلا فلن أجدها ثانية أبدًا.

قفلت عائدة في الممر لتجد أن ويف نزل من الفراش ويحكّ بكلتا قائمتيه الأماميتين قرب باب الحمام، فقالت له شارمين: «لستَ تريد الدخول إلى هناك، فلا شيء فيه بذي فائدة لك».

لكن الباب انفتح بصورة ما، قبل أن تصل إليه شارمين. خلف هذا كان المطبخ. تبختر ويف داخلًا إليه فتأوهت شارمين ثانية. لم تختفِ الفوضى، فلا تزال هناك الآنية الفخارية وأكياس الثياب الوسخة، إلى جانب إبريق شاي يرقد في بركة من الشاي، وثياب شارمين مكومة قرب الطاولة ولوح كبير أخضر من الصابون في الموقد.

«لقد نسيت هذا كله»، قالت شارمين.

وضع ويف كفيه الأماميين على السلمة السفلية من الكرسي ورفع نفسه ليقف بطوله القصير كاملًا متوسلًا.

فهمت شارمين ما يريد: «أنت جائع من جديد. وأنا كذلك».

جلست على الكرسي وجلس ويف على قدمها اليسرى، وتقاسما فطيرة لحم ثانية. ثم تقاسما فطيرة فاكهة، وكعكتين مبرومتين، وست بسكويتات شوكلاته وكيكة كسترد. بعدها مشى ويف بشيء من

التثاقل نحو الباب الداخلي الذي انفتح له حين خرمش عليه. جمعت شارمين كومة ثيابها وتبعته، قاصدة أن تضع متاعها في أول غرفة نوم فارغة.

ولكن الأشياء هنا لم تسِر على نحوٍ صحيح. دفعت شارمين الباب لتفتحه بمرفقها، وتلقائيًا اتجهت يمينًا لتذهب إلى ممر غرف النوم. لكنها وجدت نفسها في ظلام دامس. وسارت من فورها إلى باب آخر ارتطم مرفقها بمقبضه مخشخشًا.

«آوتش!»، قالت وتحسست المقبض وفتحت الباب.

فانفتح إلى الداخل بقوة. دخلت شارمين إلى غرفة كبيرة يدخلها الضوء من نوافذ مقنطرة في كل أنحائها ووجدت نفسها تتنشق رائحة رطوبة وإغلاق وجلد وإهمال. كانت الرائحة منبعثة من مقاعد جلدية عتيقة لكراسي منقوشة مرتبة حول طاولة كبيرة محفورة احتلت معظم مساحة الغرفة. ولكل مقعد حصيرة من جلد على الطاولة أمامه، وصفحة قديمة مهترئة من ورق التنشيف على الحصيرة، إلا المقعد الكبير على الطرف الآخر من الطاولة إذ نقش على ظهره شعار هاي نورلند. كان لهذا عصًا صغيرة سميكة على الطاولة بدلًا من الحصيرة. كل ذلك، الكراسي والطاولة والحصائر، يغطيها الغبار وفي زوايا الكثير من النوافذ بيوت عناكب.

حملقت شارمين وقالت: «أهذه غرفة طعام أم ماذا؟ كيف أصل إلى غرف النوم من هنا؟»

تكلم صوت العم الكبير وليم خافتًا وبعيدًا فقال: «لقد وصلتِ غرفة الاجتماعات. وما دمت هنا، فلقد أضعت الطريق يا عزيزتي، فأصغي جيدًا. دوري دورة واحدة في اتجاه عقارب الساعة. وأثناء ذلك، افتحي الباب الواقع على يسارك فقط. اخرجي منه ودعي الباب ينغلق خلفك. ثم سيري خطوتين واسعتين جانبًا إلى يسارك. سيعيدك هذا إلى جانب الحمام».

ولنرجُ أنه سيفعل! قالت شارمين وهي تبذل قصارى جهدها لاتباع الاتجاهات.

سار كل شيء على ما يرام، إلا لحظة الظلام بعد أن انغلق الباب خلف شارمين، عندما وجدت نفسها تنظر إلى ممر حجري غريب تمامًا. وكان في الممر رجل مسنّ محني الظهر يدفع عربة محمّلة بإبريق شاي فضي يتصاعد منه البخار، ودوارق وسخانات وكومة من الفطائر الصغيرة. فطرفت بعينيها قليلًا، وأدركت أنها لن تنفع نفسها ولا الرجل المسن إن نادته، فسارت خطوتين كبيرتين إلى اليسار. عندئذ شعرت بالارتياح لما رأت أنها تقف قرب الحمام، ومن هناك رأت ويف يدور ويدور على فراش العم الكبير وليم كي يشعر بالارتياح.

«أف!»، قالت شارمين، وذهبت وألقت بكومة ثيابها أعلى خزانة الجوارير في غرفة النوم التالية.

ثم سارت في الممر نحو النافذة المفتوحة في نهايته، وقضت بضع دقائق تحملق إلى المرج المائل المُضاء بنور الشمس وتتنفس هواء نقيًا

باردًا هبّ إلى الداخل قادمًا من المرج. وفكرت أن المرء يستطيع التسلق خارجًا من هذه النافذة بسهولة، أو داخلًا منها. لكنها لم تنظر إلى المرج أو تفكر في الهواء النقي. بل كانت أفكارها الحقيقية مشغولة بكتاب الرُّقى المثير الذي تركته مفتوحًا على طاولة العم الكبير وليم. لم تُترك يومًا وحدها بين كتب السحر هكذا، وكانت مقاومة الأمر صعبة. سأفتحه عشوائيًا وأركّب أول رقية أراها، رقية واحدة فقط، هكذا قالت في نفسها.

في غرفة المكتبة، كان كتاب **سفر الطروس**، لسبب ما، مفتوحًا على «رقية لتجدي لنفسك أميرًا وسيمًا». هزت شارمين رأسها وأغلقت الكتاب، وقالت: «ومن يحتاج أميرًا؟» ثم فتحت الكتاب ثانية بحذر من مكان آخر. كان عنوان هذه الصفحة «رقية للطيران».

«آه، نعم! هذا ما أريد!»، قالت شارمين، ووضعت نظارتها ودرست قائمة المكونات.

«ورقة، قلم ريشة (هذا سهل، فكلاهما موجود على طاولة الكتابة)، بيضة (من المطبخ؟)، بتلتا زهرة -واحدة زهرية والأخرى زرقاء- ست قطرات من الماء (من الحمام)، شعرة حمراء، شعرة بيضاء، وزِرَّان على هيئة اللؤلؤ».

«لا مشكلة على الإطلاق»، قالت شارمين. خلعت نظارتها وهرعت تجمع المكونات. فأسرعت إلى المطبخ -وصلت إليه بفتحها باب الحمام والانعطاف يسارًا وكانت شديدة الحماس حين رأت نجاحها في الوصول- وسألت الهواء: «أين أجد البيض؟»

أجاب صوت العم الكبير وليم الحنون: «البيض في آنية فخارية في حجرة المؤن يا عزيزتي. أظنه خلف أكياس الثياب الوسخة. أعتذر لك حقًا لأني تركتك مع هذه الفوضى».

دخلت شارمين حجرة المؤن ومالت من فوق أكياس الثياب الوسخة، فوجدت طبقًا قديمًا لخبز الفطائر وفيه ست بيضات بنية. أخذت إحداها بحذر وعادت بها إلى غرفة المكتبة. ولما كانت نظارتها تتدلى في سلسلتها، لم تلاحظ أن سفر الطروس قد انفتح الآن على «رقية للعثور على كنز دفين». فأسرعت نحو نافذة المكتبة، إذ كانت بتلات الزهر جاهزة للقطف من شجيرة الكوبية التي تناصفها الورد الزهري والأزرق. وضعت البتلتين بجانب البيضة واندفعت نحو الحمام لتجلب ست قطرات من الماء في كوب المضمضة. في طريق عودتها، عبرت الممر إلى مكان التفاف ويف كحلوى المرنغ على بطانيات العم الكبير وليم. «اعذرني»، قالت له شارمين، ولفت أصابعها حول ظهره الأبيض الأشعث. وجلبت عددًا من الشعرات البيض، ووضعت إحداها بجانب بتلتي الزهر وأضافت إليها شعرة حمراء من شعرها. أما الأزرار التي لها شكل اللؤلؤ، فقد اقتلعتها من قميصها.

«طيب»، قالت ووضعت نظارتها متحمسة لتنظر إلى التعليمات. كان سِفر الطروس مفتوحًا الآن على «رقية للحماية الشخصية»، لكن شارمين لم ترَ ذلك من حماسها. بل اكتفت بالنظر إلى التعليمات المكتوبة في خمس مراحل. تقول المرحلة الأولى «ضع كل المكونات في وعاء مناسب عدا قلم الريشة والورقة».

بعد أن خلعت شارمين نظارتها لتبحث في أنحاء الغرفة عن وعاء، ولم تجد واحدًا مناسبًا أو غير مناسب، اضطرت إلى العودة إلى المطبخ. وإذ هي هناك، قلب سِفر الطروس عددًا من الصفحات بكسل ومكر. وحين عادت شارمين بوعاء فيه قليل من أثر السكر، بعد أن أفرغت السكر منه في صحن لم يكن شديد الاتساخ، كان السفر مفتوحًا على «رقية لزيادة القوة السحرية».

لم تنتبه شارمين. ووضعت الوعاء على طاولة الكتابة وكوَّمت فيه البيضة والبتلتين والشعرتين والزرّين، ونقطت الماء فوقها. ثم وضعت نظارتها وانحنت على الكتاب لتعرف الخطوة التالية. عندئذ، كان سِفر الطروس يعرض «رقية لتصبح لامرئيًا»، لكن شارمين لم تنظر إلا إلى التعليمات ولم ترَ هذا.

قالت لها المرحلة الثانية أن «تخلط كل المكونات معًا، باستخدام قلم الريشة فقط».

لم يكن خلط البيضة بريشة أمرًا سهلًا، لكن شارمين تدبرت أمرها، فضربت بالطرف الحاد مرة بعد مرة حتى انكسرت قشرة البيضة إلى قطع، ثم قلبتها بقوة جعلت شعرها ينسدل على وجهها في خصل حُمر، وأخيرًا، حين بدا لها أن الأشياء لا تنخلط جيدًا، استخدمت الريشة. واعتدلت أخيرًا وهي تلهث، وأبعدت شعرها بأصابع دبقة، فقلب السِّفر صفحة أخرى، وبات يعرض الآن «رقية لإشعال نار»، لكن شارمين مشغولة جدًا في محاولتها لئلا تتلطخ نظارتها بالبيض لتحسن الرؤية، فلبستها وتمعنت في المرحلة الثالثة.

تقول المرحلة الثالثة من هذه الرقية «قل «سحر السيطرة» ثلاث مرات».

«سحر السيطرة»، أطاعت شارمين ورددت شارمين فوق الوعاء. لم تكن متأكدة، لكنها ظنت أن قطعًا من قشرة البيضة أرغت قليلًا حول الزرّين اللؤلؤيين عند التكرار الثالث، فقالت في نفسها أظنها تعمل! ودفعت نظارتها إلى الخلف على أنفها ونظرت إلى المرحلة الرابعة. حينها كانت تنظر إلى المرحلة الرابعة من «رقية لإخضاع الأغراض للمشيئة».

«خذ قلم الريشة»، قالت، «وباستخدام المزيج الذي حضرته، اكتب على الورقة كلمة يلف، يحيطها شكل ذو خمسة أوجه. توخ الحذر لئلا تلمس الورقة وأنت تفعل هذا».

أخذت شارمين قلم الريش اللزج الذي يقطر وتزينه قطع من قشور البيض وقطعة من البتلة الزهرية، وبذلت جهدها. لم تكن الكتابة بالمزيج سهلة وما كان تثبيت الورقة بالأمر اليسير أيضًا. فقد انزلقت وانسلَّت وشارمين تغمس القلم وتخربش، والكلمة التي يجب أن تكون يلف، كتبت لزجة وشبه ظاهرة ومائلة، وكانت شبيهة بكلمة سلق، لأن الشعرة الحمراء في الوعاء خرجت مع القلم في أثناء الكتابة ورسمت أشياء مدورة على الكلمة. أما الشكل خماسي الأوجه، فقد انزلقت الورقة على الجانبين أثناء محاولة شارمين رسمه وأبعد ما يمكن أن يقال عنه إنه له خمسة جوانب. فقد انتهى به الأمر ليكون بشكل صفار البيض وتبرز من أحد جوانبه شعرة كلب.

زفرت شارمين زفرة، وألصقت شعرها إلى الوراء بيد شديدة اللزوجة ونظرت إلى المرحلة الأخيرة، المرحلة الخامسة. وكانت المرحلة الخامسة من «رقية لتحقيق أمنية»، لكنها شديدة الحيرة ولم تنتبه. تقول «أعد الريشة إلى الوعاء، ثم صفق ثلاث مرات وقل «تاكز»».

«تاكز!»، قالت شارمين وهي تصفق بقوة بيدين لزجتين.

يبدو أن شيئًا قد نجح. فقد اختفت الورقة والوعاء وقلم الريشة اختفاء كاملًا هادئًا. كما اختفت معظم الآثار اللزجة على طاولة العم الكبير وليم، وأغلق سِفر الطروس نفسه مفرقعًا. تراجعت شارمين تنفض عن يديها الفتات، وهي تشعر بالإنهاك والخذلان.

وقالت تكلم نفسها: «ولكن يجب أن أكون قادرة على الطيران. أتساءل أي الأماكن أفضل لاختبار الرقية».

كان الجواب واضحًا. لذا خرجت شارمين من المكتبة وسارت إلى نهاية الممر، إلى النافذة المغرية المفتوحة على المرج المائل الأخضر. للنافذة أسكفة عريضة خفيضة ملائمة للصعود عليها. وفي غضون ثوانٍ قليلة، خرجت شارمين إلى المرج في نور شمس المساء، تتنشق هواء الجبال البارد النظيف.

كانت في الأعلى في الجبال، تنبسط تحتها جُلُّ هاي نورلند وقد كساها المساء زرقة. قبالتها، كانت القمم المثلجة التي تفصل بلادها عن سترانغيا ومُنتالبينو وغيرها من البلاد الأجنبية، وقد أنارها

الضوء البرتقالي للشمس الغاربة وبدت قريبة قربًا خادعًا. ووراءها قمم أكثر احتشدت حولها غيوم منذرة كبيرة تلونت بالرمادي والقرمزي الداكنين. كانت ستمطر هنا قريبًا كحال هاي نورلند دائمًا، غير أن الطقس في تلك اللحظة دافئ وهادئ. ثمة خراف ترعى في مرج آخر خلف بعض الصخور، وسمعت شارمين خوارًا ورنين أجراس من قطيع أبقار في مكان قريب. عندما نظرت في هذا الاتجاه، دهشت قليلًا لرؤية الأبقار في مرج فوقها ولا أثر لمنزل العم الكبير وليم أو النافذة التي خرجت منها.

لم تسمح شارمين لهذا بإثارة قلقها، فلم يسبق لها من قبل أن ارتقت إلى هذا العلو في الجبال وأذهلها جمال ذلك. كان العشب الذي تقف عليه أكثر خضرة من أي عشب رأته في المدينة، وفاحت روائح شذية هبت بعد أن أمعنت النظر في مئات ومئات من الزهور الصغيرة الغريبة التي تنبت في العشب قريبًا من الأرض.

قالت «أوه أيها العم الكبير وليم، إنك لمحظوظ! تخيل أن يكون هذا بجانب باب مكتبتك!»

تجولت ناعمة بالسعادة لوهلة، تتجنب النحل المشغول بين الزهور وتقطف لنفسها طاقة تتألف من زهرة من كل نوع. فقطفت توليبة قرمزية صغيرة، وأخرى بيضاء وزهرة ذهبية نجمية الشكل، وزهرة ربيع قصيرة فاتحة وجُريسة بنفسجية وحوذانة زرقاء وأوركيدة برتقالية وواحدة من أجمات الزهور الوردية والبِيض والصُّفر. لكن الزهور التي خلبت لبّها زهور أبواق الملاك الصغيرة

الزرقاء، التي تنفذ زرقتها إلى القلب أكثر من أي زرقة تخيلتها. ظنتها شارمين زهور الجنطيانا وقطفت أكثر من واحدة. كانت صغيرة جدًا، رائعة جدًا وزرقاء جدًا. طوال الوقت كانت تبعد في تجوالها في المرج حتى وصلت إلى جرف ما. وخطر لها أن تقفز إلى هناك لترى إن جعلتها الرقية قادرة على الطيران حقًا.

وصلت إلى الجرف وأدركت أنها تحمل من الزهور أكثر مما تستطيع حمله. فقد وجدت ستة أنواع جديدة قرب الحافة الصخرية فقررت تركها في مكانها. عندئذ نسيت أمر الزهور واكتفت بالنظر.

انتهى المرج بجرف يبلغ ارتفاعه نصف ارتفاع الجبل. بعيدًا بعيدًا أسفل منها قرب الخيط الصغير للطريق، رأت منزل العم الكبير وليم مثل صندوق رمادي صغير في لطخة من اللون الأخضر. ورأت بيوتًا أخرى، تبعد المسافة نفسها متناثرة في أعلى الطريق وأسفله، والأنوار تنبعث منها في لألآت برتقالية صغيرة. كانت البيوت بعيدة جدًا فابتلعت شارمين ريقها وارتجفت ركبتاها.

«أظنني سأتخلى عن تمرين الطيران الآن»، قالت. ولكن كيف أنزل؟ سألت في خاطر داخلي مكتوم.

ولكن دعونا لا نفكر في هذا الأمر الآن، فقد أجابتها خاطرة داخلية أخرى بثبات عزم. لنستمتع بالإطلالة.

فقد تسنى لها رؤية جل هاي نورلند من الأعلى. خلف منزل العم الكبير وليم، ضاق الوادي في طية خضراء تتلألأ في الشلالات

البِيض، إذ يؤدي الممر إلى مُنتالبينو. وفي الطريق الآخر، خلف نتوء الجبل حيث يقع المرج، انضم خيط الطريق إلى خيط أكثر تعرجًا للنهر وغاص كلاهما بين السطوح والأبراج والبريجات في مدينة هاي نورلند. انبعثت الأنوار من هناك أيضًا، لكن شارمين لم تزل ترى البريق الناعم للسطح الذهبي الشهير للقصر الملكي، مع رفرفة العلم فوقه، وخطر لها أنها قادرة على معرفة بيت أهلها خلفه. لم يكن أيٌّ منها بالبعيد. فدهشت شارمين كل الدهشة حين رأت أن العم الكبير وليم يسكن خارج المدينة فقط.

خلف المدينة اتسع الوادي. كان أكثر إضاءة، إذ خرج من ظل الجبال، يذوب في الشفق وعليه أشواك برتقالية من الأضواء. رأت شارمين الشكل الطويل الفخم لقلعة جوي التي يسكنها الأمير ولي العهد، وقلعة أخرى لم تعرف بأمرها. كانت هذه عالية وداكنة والدخان يتصاعد من أحد بريجاتها. خلفها تضاءلت الأرض إلى مساحة أكثر زرقة مليئة بالمزارع والقرى والمصانع التي شكّلت قلب البلاد. بل رأت شارمين البحر، سديميًا وباهتًا خلف ذلك.

فدار في ذهنها: نحن لسنا بالبلاد الكبيرة، صحيح؟

وقاطع هذه الخاطرة طنين حاد آتٍ من طاقة الزهور التي حملتها، فرفعت الطاقة لترى ما الذي يصدر الصوت. هنا في المرج، لا تزال الشمس ساطعة سطوعًا مدوّخًا، سطوعًا يكفي شارمين لترى أن إحدى زهورها التي لها شكل البوق، وربما كانت جنطيانا،

تهتز وترتج وتطن. يبدو أنها حملت إحدى النحلات بطريق الخطأ. أنزلت شارمين الزهور وهزتها، فسقط منها على العشب قرب قدميها شيء أرجواني وله طنين. لم يكن له شكل النحلة، وبدلًا من الطيران كما تفعل النحلة، حط على العشب وطنّ، وكلما طنّ كبر حجمه. خطت شارمين خطوات قلقة بعيدًا عنه إلى حافة الجرف. كان أكبر من ويف وما زال يكبر.

لا يعجبني هذا، فما هو؟ قالت في نفسها.

وقبل أن تتحرك ثانية، بل قبل أن تفكر في ذلك، بلغ طول المخلوق ضعفي طول بَشَريٍّ. كان أرجوانيًا له شكل الرجل، لكنه ليس برجل، فعلى ظهره أجنحة شفافة أرجوانية لها طنين وأزيز كلما تحرك، ووجهه كان... اضطرت شارمين إلى أن تشيح بوجهها. كان وجهه وجه حشرة، بمجسات ولامسات وقرون استشعار وعينين جاحظتين في داخلها ست عشرة عينًا أصغر حجمًا.

«أوه يا رب السماوات! أظن الشيء لوبوكًا؟»، قالت شارمين همسًا.

«أنا اللوبوك»، قال المخلوق. كان صوته مزيجًا من الطنين والزمجرة. «أنا اللوبوك وأنا مالك هذه الأرض».

سمعت شارمين عن اللوبوك، فقد تهامس الناس في المدرسة عن اللوبوك ولم يكن شيء مما قالوه بالمفرح. والشيء الوحيد الذي يجب فعله، كما قالوا، أن يتحلى المرء بالتهذيب الشديد ويرجو أن

ينجو دون أن يُلسع أو يؤكل. قالتْ شارمين «أنا شديدة الأسف، لم أدرك أنني أعتدي على مرجك».

«أنتِ تقتحمين أرضي أينما مشيتِ، كل الأرض التي ترينها ملكي»، قال اللوبوك غاضبًا.

«ماذا؟ كل هاي نورلند؟»، قالت شارمين. «لا تقل كلامًا فارغًا!»

«أنا لا أقول كلامًا فارغًا أبدًا»، قال المخلوق. «كلها لي. أنت لي»، طنّت الأجنحة وأخذ يسير نحوها على أغرب الأقدام النحيفة الفقاعية. «سآتي قريبًا جدًا لآخذ ما هو ملكي. وسآخذك أولًا»، وخطا خطوات لها أزيز نحو شارمين. وبرزت أذرعه ونتأت شوكة من الجزء السفلي من وجهه.

صرخت شارمين وتجنبته وسقطت من الحافة، مبعثرة الزهور أثناء سقوطها.

الفصل الرابع

وفيه نتعرف على رولو وپيتر وتطرأ تغيرات غامضة على ويف

سمعت شارمين اللوبوكَ يطلق صرخة طنين من الغضب، رغم أنها لم تسمعه بوضوح بسبب الريح السريعة لسقوطها. ورأت الجرف الضخم ينساب متجاوزًا وجهها. واصلت الصراخ «يلف! يلف!» جأرت. «أوه، حبًا بالرب! يلف! لقد ركّبت رقية للطيران. لماذا لا تعمل؟»

كانت تعمل. أدركت شارمين ذلك عندما أبطأ اندفاع الصخور إلى الأعلى أمامها وبات أقرب إلى الزحف ثم الانزلاق ثم إلى التهادي. للحظة تعلقت في الفضاء، ترتجّ فوق رؤوس مستدقة من الصخور في المنحدرات الوعرة تحت الجرف.

ربما أنا ميتة الآن، خطر لها.

ثم قالت «هذا سخيف!»، وانقلبت بوساطة كثير من الركل وتلويح الذراعين الأخرق. وهنالك كان بيت العم الكبير وليم، لا يزال بعيدًا تحتها في الغسق ويبعد قرابة ربع الميل. «ولا بأس بالرفرفة،

ولكن كيف أتحرك»، قالت شارمين. عندئذ تذكرت أن للوبوك أجنحة وأنه غالبًا يطنّ نازلًا من المرتفعات نحوها. ولم تعد محتاجة إلى السؤال عن كيفية الحركة. فقد وجدت شارمين نفسها تركل بساقيها كثيرًا وتندفع حتمًا نحو بيت العم الكبير وليم. لقد اندفعت فوق سطوحه وعبر الحديقة الأمامية، إذ بدا أن الرقية تركتها. وتسنى لها الوقت لترج نفسها جانبًا حتى تكون فوق الدرب، قبل أن تنزل بخبطة وتجلس على الطريق المرصوف الأنيق، ترتعد أوصالها.

أمان! قالت في نفسها. بصورة لم يساورها شك في أن الأمان يكمن داخل حدود بيت العم الكبير وليم، وقد استشعرت ذلك الأمان.

بعد هنيهةٍ قالت «أوه يا ربي! يا له من يوم! عندما أتذكر أن كل ما طلبته هو كتاب جيد ونتفة من الهدوء لأقرأه...! تبًا للخالة سمپرونيا!»

خشخشت الشجيرات بجانبها، فأجفلت شارمين وابتعدت وكادت تصرخ عندما انثنت شجرة الكوبية جانبًا لتفسح الطريق لرجل أزرق صغير وثب خارجًا إلى الدرب. «أأنتِ المسؤولة هنا الآن؟»، سأل هذا الأزرق الصغير بصوت صغير أجش.

ورغم الغسق فإنَّ الرجلَ أزرقُ قطعًا وليس أرجوانيًا، وليس له أجنحة. تغضن وجهه بتجاعيد المزاج الشكس ويكاد يحتله أنف ضخم، لكنه ليس بوجه حشرة. تلاشى هلع شارمين فقالت «ماذا تكون؟»

«كوبولد[1] طبعًا. فهاي نورلند بلاد الكوبولد. أنا أنسق الحديقة هنا»، قال الرجل الصغير.

«ليلًا؟»، قالت شارمين.

«نحن الكوبولد نخرج في الليل غالبًا»، قال الرجل الأزرق الصغير. «ماذا قلتِ... أأنتِ المسؤولة؟»

«حسن، نوعًا ما»، قالت شارمين.

«هذا ما ظننته»، قال الكوبولد مسرورًا. «رأيت الساحر يحمله طُوال القامة. هل تريدين أن أقطع لك أشجار الكوبية إذن؟»

«لأي شيء؟»، قالت شارمين.

«أحب قطع الأشياء»، قال الكوبولد موضحًا. «أكبر متع البستنة».

فكرت في هذا شارمين التي لم تفكر في البستنة طوال حياتها. وقالت «لا. ما كان العم الكبير وليم ليزرعها لو أنها لا تعجبه. سيعود بعد وقت قصير، وأحسبه سيستاء إذا وجدها قطعت كلها. لماذا لا تؤدي عملك الليلي المعتاد وترى ما يقوله عند عودته؟»

«أوه، سيقول لا، من غير شك»، قال الكوبولد مغتمًّا. «إنه هادم اللذات، هذا الساحر. الأجر المعتاد إذن؟»

---

(١) في الأساطير الجرمانية طيف أو روح تسكن البيوت، أو تعيش تحت الأرض في كهوف أو مناجم. مهمتها حماية المنازل أو أصحابها من الشرور.

«وما أجرك المعتاد؟»، سألت شارمين.

قال الكوبولد من فوره «سآخذ جرة من الذهب واثنتي عشرة بيضة جديدة».

لحسن الحظ أن صوت العم الكبير وليم تكلم من الهواء في الوقت نفسه. «أدفع أجر رولو نصف لتر من الحليب كل ليلة، يا عزيزتي، يصل إليه بالسحر. لا داعي إلى أن تشغلي بالك».

بصق الكوبولد على الدرب مشمئزًا. «ماذا قلت لك؟ ألم أقل إنه هادم اللذات؟ ويا للعمل الكبير الذي سأنجزه، إن كنتِ ستجلسين في هذا الدرب طوال الليل».

قالت شارمين بوقار «كنت آخذ قسطًا من الراحة فقط. أنا ذاهبة الآن». فنهضت، شاعرة بثقل مفاجئ، ناهيك بالضعف في ركبتيها، وتهادت على الدرب إلى الباب الأمامي. سيكون مقفولًا وسيبدو منظري شديد السخافة إن لم أتمكن من الدخول.

انفتح الباب قبل أن تصل إليه، مُرسلًا وهجًا مفاجئًا من الضوء والشكل المسرع الفاتح اللون لويف، يصيح ويهز ذيله ويتلوى سرورًا برؤية شارمين ثانية. كان سرور شارمين عظيمًا بعودتها إلى البيت والترحيب بها فحملت ويف وأخذته إلى الداخل، وهو يتلوى ويتمعج وارتقى ليلعق ذقنها.

في الداخل، تبعها الضوء في كل مكان على نحو سحري. فقالت شارمين بصوت عالٍ «جيد. لن أحتاج إلى البحث عن

شموع إذن». لكن أفكارها الداخلية تقول مضطربة لقد تركت تلك النافذة مفتوحة! يستطيع اللوبوك الدخول! ألقت بويف إلى أرض المطبخ واندفعت من الباب يسارًا. توهج الضوء في الممر عندما ركضت فيه نحو نهايته وصفقت النافذة لتغلقها. للأسف، جعل الضوء المرجَ يبدو شديد العتمة، ومهما استرقت النظر من الزجاج، لم تعرف إن كان اللوبوك موجودًا أم لا. فواست نفسها بأنها لم تستطع رؤية النافذة عندما كانت في المرج، لكنها مع ذلك ظلت ترتجف.

لم يبدُ أنها ستكف عن الارتجاف. فقد ارتجفت وهي في طريقها عائدة إلى المطبخ وارتجفت وهي تتقاسم فطيرة لحم الخنزير مع ويف، وارتجفت أكثر لأن بركة الشاي تمددت إلى ما تحت الطاولة، مبلِّلة الجانب السفلي من ويف ومحيلة لونه إلى بني. وكلما اقترب ويف من شارمين، ابتلت أجزاء منها بالشاي أيضًا. في النهاية، خلعت قميصها الذي رفرف مفتوحًا بسبب الزرين الناقصين، ومسحت الشاي به. زاد هذا من ارتجافها بطبيعة الحال. فذهبت وجلبت لنفسها الكنزة الصوفية السميكة التي حزمتها لها السيدة بيكر ولبستها على عجالة، ولكنها ما زالت ترتجف. انهمر المطر المخيف، فضرب على النافذة ودمدم أسفل مدخنة المطبخ، وارتجفت شارمين أكثر فأكثر. لقد ظنت ذلك بفعل الصدمة، غير أنها ما زالت تشعر بالبرد.

«أوه! كيف أشعل نارًا أيها العم الكبير وليم؟»، صاحت.

«أحسب أني تركت الرقية في المكان»، قال الصوت الحنون من الهواء. «ليس عليك إلا أن تلقي في الموقد شيئًا وسيشتعل فقولي بصوت عالٍ «اشتعلي أيتها النار»، وستشتعل».

بحثت شارمين حولها عن شيء تحرقه. كانت الحقيبة بجانبها على الطاولة، ولكنها ما زالت تحوي فطيرة لحم الخنزير وفطيرة تفاح، ثم إنها حقيبة جميلة، عليها زهور طرزتها السيدة بيكر. كان في مكتب العم الكبير وليم ورق، طبعًا، لكن هذا يعني أن تنهض وتحضره. قرب حوض المغسلة كانت أكياس الثياب الوسخة، لكن شارمين متأكدة تمامًا أن العم الكبير وليم لن يستحسن حرق ثيابه القذرة. من جانب آخر، هذا قميصها، متسخ ومنقوع بالشاي وينقصه منها زرّان، مكوم على الأرض قرب قدميها.

«لقد تلف على أي حال»، قالت. فحملت الكومة البنية الندية ورمتها في الموقد. «اشتعلي أيتها النار».

دمدم الموقد ودبت فيه الحياة. لدقيقة أو اثنتين، اشتعلت أكثر النيران المبهجة اتقادًا تمناها امرؤ يومًا. فتنفست شارمين الصعداء مسرورة. وأخذت تقرّب كرسيها إلى الدفء، عندما تحول اللهب إلى غيوم مهسهسة من البخار. ثم تكومت أعلى وأعلى بين البخار، متجمعة أعلى المدخنة واندفعت في الغرفة، وخرجت فقاعات. فقاعات كبيرة، فقاعات صغيرة، فقاعات تلمع بألوان قوس قزح، جاءت محتشدة من الموقد إلى المطبخ. ملأت الهواء، وهبطت على الأشياء وطارت في وجه شارمين، إذ انفجرت بشهقة ناعمة

وواصلت قدومها. في ثوانٍ، كان المطبخ عاصفة زَبَد حارة يتصاعد منها البخار تكفي لجعل شارمين تلهث.

«نسيت لوح الصابون!»، قالت لاهثة في الحرارة المفاجئة الرطبة.

رأى ويف الفقاعات عدوًا شخصيًا واختبأ تحت كرسي شارمين، نابحًا نباحًا مجنونًا ومزمجرًا على الفقاعات التي تنفجر.

«اخرس!»، قالت شارمين. سال العرق على وجهها وشعرها الذي تهدل فوق كتفيها، وهو يقطر من البخار. أبعدت عنها غيمة من الفقاعات بضربة وقالت «أظنني سأخلع كل ثيابي».

طرق أحدهم الباب الخلفي.

«ربما لن أفعل»، قالت شارمين.

طرق الشخص في الخارج على الباب ثانية. فجلست شارمين في مكانها، راجية ألا يكون اللوبوك. ولكن عندما طرق الباب للمرة الثالثة، نهضت مترددة وشقت طريقها بين الفقاعات العاصفة لترى مَنْ بالباب. فظنت أنه رولو يريد الدخول احتماءً من المطر.

«من أنت؟»، صرخت عبر الباب. «ماذا تريد؟»

«أحتاج إلى الدخول!»، صرخ الشخص بالخارج ردًا عليها. «المطر ينهمر غزيرًا!»

وكائنًا من كان بدا شابًا، ولم يكن الصوت مزعجًا كصوت رولو ولا طنينًا كصوت اللوبوك. وسمعت شارمين المطر ينهمر،

رغم هسهسة البخار والفرقعة اللطيفة المتواصلة للفقاعات. لكنها قد تكون خدعة.

«أدخليني!»، صاح الشخص في الخارج. «الساحر ينتظرني!»

«هذا ليس صحيحًا!»، صاحت شارمين ردًا عليه.

«كتبتُ له رسالة!»، صاح الشخص. «رتبت أمي أمر قدومي. ليس لكِ الحق في إبقائي في الخارج!»

اهتز مزلاج الباب. وقبل أن تتمكن شارمين من أن تفعل شيئًا أكثر من مدّ يديها لتبقيه مغلقًا، اندفع الباب مفتوحًا وهرع إلى الداخل صبي مبتل ناقع. كان شديد الابتلال، فانسدل شعره الأجعد حول وجهه اليافع في خصل بنية تقطر. وكانت سترته وبنطاله العمليان أسودين لامعين من البلل، وكذا كانت الحقيبة على ظهره. وصرّ حذاؤه كلما تحرك. وأخذ يتصاعد منه البخار لحظة دخوله، فوقف يحملق إلى الفقاعات الطائرة المتجمعة، وإلى ويف ينبح وينبح تحت الكرسي، وإلى شارمين تتشبث بكنزتها وتحدق إليه من بين خصلات شعرها الحُمر، وإلى أكداس الصحون الوسخة والطاولة المثقلة بأباريق الشاي. تحول نظره إلى أكياس الثياب الوسخة، وكانت هذه الأشياء كلها كثيرة عليه. ففغر فاه واكتفى بالوقوف هنا، ينظر حوله إلى كل هذه الأشياء مرة بعد أخرى والبخار يتصاعد منه بهدوء.

بعد لحظة، تقدمت شارمين وأمسكت ذقنه، الذي نمت عليه

بضع شعرات خشنة، مبينة أنه أكبر عمرًا مما يبدو عليه. فدفعت فمعه إلى الأعلى وأغلقته وهو يطقطق وقالت «هلا أغلقت الباب؟»

نظر الصبي خلفه إلى رشق المطر في المطبخ، وقال «أوه. نعم». فسحب الباب حتى أغلقه. «ما الذي يحدث؟»، قال. «هل أنت تلميذة الساحر أيضًا؟»

«لا»، قالت شارمين. «أنا أعتني بالبيت في غياب الساحر. كان مريضًا، فأخذه العفاريت لعلاجه».

بدا الصبي مذعورًا جدًا. «ألم يخبرك بأني قادم؟»

«لم يتسنَ له الوقت ليخبرني بأي شيء»، قالت شارمين. وراح فكرها إلى كومة الرسائل تحت داس زوبرباخ. لا بد أن إحدى رسائل الطلبات البائسة للساحر لتعليم الناس كانت رسالة هذا الصبي، لكن نباح ويف صعّب أمر التذكر. «اخرس يا ويف. ما اسمك يا صبي؟»

«پيتر ريجِس»، قال. «أمي ساحرة مُنتالبينو، وهي صديقة مقربة من وليم نورلند واتفقت معه على قدومي إلى هنا. اهدأ أيها الكلب الصغير. يجب أن أكون هنا». فأخرج نفسه من حقيبة الظهر المبللة وألقى بها على الأرض. توقف ويف عن النباح وتجرأ على الخروج من تحت الكرسي وتشمم حقيبة الظهر فقد تكون خطرة. أخذ پيتر الكرسي وعلق سترته عليه. وكان قميصه تحتها مبللًا بالقدر نفسه. «ومن تكونين؟»، سأل ناظرًا إلى شارمين من بين الفقاعات.

«شارمين بيكر»، قالت له وأوضحت، «نسمّي الساحر دائمًا العم الكبير وليم، لكنه قريب الخالة سمپرونيا. أعيش في هاي نورلند. من أين أتيت؟ ولماذا جئت إلى الباب الخلفي؟»

«نزلت من مُنتالبينو»، قال پيتر. «وإن كان ولا بد أن تعرفي فقد أضعت الطريق وأنا أحاول السير في طريق مختصر من الممر الجبلي. لقد جئت إلى هنا من قبل، عندما رتبت أمي أمر تتلمذي على الساحر نورلند، ولكني لا أذكر الطريق جيدًا. منذ متى وأنتِ هنا؟»

«منذ هذا الصباح فقط»، قالت شارمين، وقد دهشت قليلًا حين أدركت أنها لم تقضِ هنا يومًا كاملًا بعد. لقد بدا كأنه أسابيع.

«أوه»، نظر پيتر إلى أباريق الشاي من خلال الفقاعات الطائرة، كأنه يعدّ أكواب الشاي التي شربتها شارمين. «يبدو المكان كأنك قضيت هنا أسابيع».

«لقد كان على هذه الحال عند مجيئي»، قالت شارمين ببرود.

«ماذا؟ الفقاعات وكل شيء؟»، قال پيتر.

قالت شارمين في نفسها لا أظن هذا الصبي يروق لي. قالت «لا. هذا بسببي. لقد نسيت أنني رميت لوح الصابون في الموقد».

«آه»، قال پيتر. «ظننت أنها رقية لم تنجح. لهذا تصورت أنك تلميذة أيضًا. علينا أن ننتظر أن ينتهي الصابون إذن. هل عندك أي طعام؟ أنا أتضور جوعًا».

انتقل نظر شارمين على مضض إلى حقيبتها على الطاولة. ثم أشاحت بسرعة. «لا»، قالت. «ليس تمامًا».

«ماذا ستطعمين كلبك إذن؟»، قال بيتر.

نظرت شارمين إلى ويف، الذي عاد إلى اختبائه تحت الكرسي مرة أخرى لينبح على حقيبة بيتر. «لا شيء. لقد تناول منذ قليل نصف فطيرة لحم خنزير»، قالت. «وهو ليس بكلبي. بل كلبًا ضالًّا تعهده العم الكبير وليم. واسمه ويف».

ما زال ويف ينبح. قال بيتر «اهدأ يا ويف»، وسار بين سيل الفقاعات وتجاوز سترته المبللة إلى مجثم ويف تحت الكرسي. فجَرَّ ويف خارجًا بصورة ما ووقف وويف مقلوبًا رأسًا على عقب بين ذراعيه. فزعق ويف زعيق احتجاج، ولوّح بأكفّه الأربع، ولفلف ذيله المهلهل بين قائمتيه الخلفيتين. فبسط بيتر الذيل.

«لقد أهنت كرامته»، قالت شارمين. «أنزله أرضًا».

«إنه ليس هو»، قال بيتر. «بل هي. وهي ليس عندها أي كرامة، أليس كذلك يا ويف؟»

كان جليًا أن ويف تخالفه الرأي وتمكنت من التسلق خارج ذراعي بيتر إلى الطاولة. فوقع إبريق شاي آخر وانقلبت حقيبة شارمين. وخافت شارمين خوفًا عظيمًا عندما تدحرجت فطيرة لحم الخنزير وفطيرة التفاح منها.

«أوه، رائع!»، قال بيتر، واختطف فطيرة لحم الخنزير قبل أن

تصل إليها ويف. «أهذا كل الطعام الذي عندك؟»، قال قاضمًا الفطيرة قضمة كبيرة.

«نعم»، قالت شارمين. «هذا الإفطار». حملت شارمين إبريق الشاي الواقع. لقد تحول الشاي المسكوب منه بسرعة إلى فقاعات بنية، دارت إلى الأعلى لتشكل خطًا بنيًا بين الفقاعات الأخرى. «انظر إلى ما فعلت».

«بضع فقاعات أُخَر لن تضر في هذه الفوضى»، قال پيتر. «ألا ترتبين أبدًا؟ هذه الفطيرة شهية حقًا. ما الفطيرة الأخرى؟»

نظرت شارمين إلى ويف، التي جلست شديدة الحزن بجانب فطيرة التفاح، وقالت «تفاح. وإن أكلتها، فعليك أن تعطي ويف قليلًا منها أيضًا».

«هل هذا قانون؟»، قال پيتر، مزدردًا آخر قطعة من فطيرة لحم الخنزير.

«نعم»، قالت شارمين. «لقد وضعها ويف وهو -أعني هي- صارمة في اتباعها».

«أهي سحرية إذن؟»، أشار پيتر، آخذًا فطيرة التفاح. فأصدرت ويف من فورها أصواتًا حزينة وتنقلت بين أباريق الشاي.

«لا أدري»، قالت شارمين. ثم تذكرت قدرة ويف على الذهاب إلى أي مكان في البيت وانفتاح الباب الأمامي لها في وقت سابق. «نعم»، قالت. «أنا واثقة بأنها كذلك. سحرية جدًا».

ببطء وعلى مضض، قطع بيتر قطعة من فطيرة التفاح. فاهتز ذيل ويف المهلهل ولاحقت عيناها الحزينتان كل حركة من حركاته. كأنها تعرف ما يفعله بيتر، بصرف النظر عن الفقاعات التي تعترض الطريق. «أفهم ما تقصدين»، قال بيتر، وناول ويف القطعة. أخذتها ويف برفق بفكيها، وقفزت من الطاولة إلى الكرسي ثم إلى الأرض، وذهبت تسرع مبتعدة لتأكلها في مكان ما خلف أكياس الثياب الوسخة. «ما رأيك في شراب ساخن؟»، قال بيتر.

كان الشراب الساخن شيئًا تتوق إليه شارمين منذ أن وقعت من الجبل. فارتجفت وضمت كنزتها حول نفسها. «يا لها من فكرة رائعة»، قالت. «اصنع شرابًا ساخنًا إن عرفت كيف تفعل ذلك».

أبعد بيتر الفقاعات جانبًا لينظر إلى أباريق الشاي على الطاولة. «لا بد أن أحدًا أعدَّ كل هذه الأباريق من الشاي»، قال.

«أعدّها العم الكبير وليم، ولست أنا»، قالت شارمين.

«ولكن هذا يعني أن إعداده ممكن»، قال بيتر. «كفي عن الوقوف هناك باديًا عليك العجز واعثري على قدر أو أي شيء».

«اعثر أنت عليها»، قالت شارمين.

نظر إليها بيتر نظرة مؤنبة وسار عابرًا المكان، مبعدًا الفقاعات وهو يمشي، حتى وصل إلى المغسلة المزدحمة. وهنالك اكتشف بطبيعة الحال ما اكتشفته شارمين في وقت سابق. «لا وجود للصنابير!»، قال متشككًا. «وكل هذه القدور وسخة. من أين يجلب الماء؟»

«في الفناء مضخة»، قالت شارمين بفظاظة.

نظر بيتر من بين الفقاعات إلى النافذة، إذ لم يزل المطر يسيل على ألواحها. «أليس هنا حمام؟»، قال. وقبل أن تشرح له شارمين كيف يصل إليه، لوح بيديه وتخبط في طريقه عابرًا المطبخ إلى الباب الآخر ووصل إلى غرفة الجلوس. اندفعت الفقاعات إلى هناك من حوله وهو يغوص غاضبًا عائدًا إلى المطبخ. «أهذه مزحة؟»، قال متشككًا. «لا يمكن أن يكون البيت هاتين الغرفتين فقط!»

تنهدت شارمين، ولفَّت كنزتها حولها بسرعة، وذهبت لتريه. «افتح الباب مرة أخرى واستدر إلى اليسار»، قالت موضحة، ثم تعين عليها شد بيتر حين دار إلى اليمين. «لا. من هذا الطريق ستذهب إلى مكان غريب جدًا. هذا هو اليسار. ألا تميز؟»

قال بيتر «لا. لا أميز أبدًا. يتوجب عليَّ عادة أن أربط خيطًا حول إبهامي».

دوّرت شارمين عينيها إلى السقف ودفعته إلى اليسار. ووصل كلاهما إلى الممر، الذي كان صاخبًا لانهمار المطر على النافذة في نهايته. غمر الضوء المكان ببطء عندما وقف بيتر ينظر حوله.

«يمكنك أن تدور إلى اليمين الآن»، قالت دافعة إياه في ذلك الاتجاه. «هذا باب الحمام. وصف الأبواب هذا يأخذك إلى غرف النوم».

«آه!»، قال بيتر معجبًا. «لقد كان يطوي المساحات. هذا شيء لا

أطيق الانتظار حتى أتعلمه. شكرًا»، أردف، وغاص في الحمام. طار صوته عائدًا إلى شارمين حين تسللت إلى المكتبة. «أوه رائع! صنابير ماء!»

دخلت شارمين مكتبة العم الكبير وليم بسرعة خاطفة وأغلقت الباب، فأضاء المصباح الغريب الملفوف على طاولة الكتابة وأضحى أكثر سطوعًا. حين وصلت طاولة الكتابة، كان المكان ساطعًا كوضح النهار. أبعدت شارمين داس زوبرباخ جانبًا وأخذت رزمة الرسائل تحته. عليها أن تتأكد. إذا كان پيتر صادقًا، فلا بد أن تكون رسالته بين الرسائل التي تطلب التلمذة على العم الكبير وليم. ولأنها استعرضتها سريعًا من قبل، لم تتذكر أنها رأت واحدة، وإذا لم تكن موجودة، فهي تواجه أفَّاكًا، وقد يكون لوبوكًا آخر. يجب أن تعرف.

آه! ها هي، في وسط الرزمة، فلبست نظارتها وقرأت:

الساحر الموقر نورلند

بشأن تتلمذي عليك، هل يناسبك قدومي في غضون أسبوع، بدلًا من مجيئي في الخريف حسب الاتفاق؟ أمي مضطرة إلى السفر إلى إنغري وتفضل أن أستقر قبل أن تغادر. سأكون ماثلًا في بيتك في الثالث عشر من هذا الشهر، ما لم أتلقَّ ردًا منك بعدم الموافقة.

أرجو أن يناسبك هذا.

المخلص لك

پيتر ريجس

لا بأس إذن! قالت شارمين في نفسها، وهي تشعر بمزيج من الراحة والانزعاج. عندما استعرضت الرسائل في وقت سابق، لا بد أن عينها وقعت على كلمة تلميذ قرب رأس الصفحة، وكلمة راجيًا قرب أسفلها، وهاتان الكلمتان تردان في كل الرسائل. لذا افترضت أنها رسالة توسل أخرى. ويبدو أن العم الكبير وليم فعل الأمر نفسه، أو لعله اشتد به المرض فلم يتمكن من الرد. أيًا كان ما حدث، فيبدو أنها عالقة مع پيتر. تبًا! لكنه ليس شريرًا على الأقل، قالت لنفسها.

ها هنا قاطعها صراخ خوفٍ من پيتر من بعيد. فدسَّت شارمين الرسائل على عجل تحت داس زوبرباخ، ونزعت نظارتها، وخرجت إلى الممر. كان البخار ينبعث من الحمام، مختلطًا بالفقاعات التي ضلت طريقها إلى هنا. كادت تغطي شيئًا عريضًا وأبيض يحوم حول شارمين.

«ماذا فعلـ...»، قالت.

هذا كل ما سنح لها من الوقت لقوله قبل أن يُخرج الشيء العريض الأبيض لسانًا عملاقًا زهريًا ويلعق وجهها. كما أطلق صوت نفير هائل. دارت شارمين إلى الوراء، كأنما لعقتها منشفة حمام مبللة وتأوه في وجهها فيل. فاستندت إلى الحائط ونظرت إلى عيني الكائن الضخمتين المتوسلتين.

«أعرف هاتين العينين»، قالت شارمين. «ماذا فعل بكِ يا ويف؟»

اندفع بيتر من الحمام لاهثًا. «لا أدري ما الذي حدث»، قال لاهثًا. «لم تكن حرارة الماء مناسبة لإعداد الشاي، فظننت أني سأسخنه أكثر برقية التكبير».

قالت شارمين «تراجع عنها حالًا. إن ويف بحجم الفيل».

نظر بيتر إلى ويف الضخمة نظرة شاردة. «إنها بحجم حصان الجر فقط. لكن الأنابيب هنا حُمر ساخنة»، قال. «ماذا عليَّ أن أفعل في ظنك؟»

«أوه، صدقًا!»، قالت شارمين. فدفعت ويف الضخمة جانبًا برفق ودخلت إلى الحمام. بقدر ما أمكنها الرؤية من خلال البخار، كان الماء المغلي ينهمر من كل الصنابير الأربعة ويتدفق إلى المرحاض، والأنابيب على امتداد الحائط تتوهج حُمرًا. صرخت «أيها العم الكبير وليم! كيف أجعل ماء الحمام باردًا؟»

تكلم الصوت الحنون للعم الكبير وليم بين الهسهسة والجريان. «ستجدين تعليمات أخرى في مكان ما في حقيبة السفر يا عزيزتي».

«هذا ليس جيدًا!»، قالت شارمين. عرفت أن الوقت لا يتسع للذهاب والبحث في الحقيبة. سينفجر شيء ما قريبًا. «ابردي!»، صاحت على البخار. «تجمدي! لتبرد كل الأنابيب في الحال!»

ودهشت لما رأت أن الأمر نجح. فقد تحول البخار إلى نفثات ثم تبدد تمامًا، وتوقف المرحاض عن الدفق. وغرغرت ثلاثة من الصنابير وتوقفت عن الجريان. وسرعان ما تشكل الجليد على

الصنبور الذي كان يجري -الصنبور البارد في حوض الاستحمام- ونشأت دلاة جليدية من نهايته. وظهرت دلاة أخرى على الأنابيب وامتدت على الحائط، وانزلقت مهسهسة إلى حوض الاستحمام.

«هذا أحسن»، قالت شارمين، واستدارت لتنظر إلى ويف. نظرت ويف إلى الخلف حزينة، فقد كانت كبيرة جدًا. «ويف»، قالت شارمين. «اصغري. الآن، آمرك».

هزت ويف حزينة طرف ذيلها الضخم وظلت في الحجم نفسه.

«إن كانت سحرية، فلعلها تستطيع أن تعيد نفسها كالسابق إن أرادت»، قال بيتر.

«أوه، اخرس!»، قالت شارمين موبخة إياه. «ماذا ظننت أنك فاعل على أي حال؟ لا أحد يشرب الماء الحارق».

نظر إليها بيتر شزرًا من تحت أطراف شعره الملتفة التي تقطر ماء، وقال «أردت كوبًا من الشاي. يُعد الشاي بماء يغلي».

لم تعد شارمين شايًا في حياتها قط. فرفعت كتفيها «حقًا؟»، ورفعت وجهها إلى السقف وقالت «أيها العم الكبير وليم، كيف نعد شرابًا ساخنًا في هذا المكان؟»

تكلم الصوت الحنون ثانية. «في المطبخ، تنقرين الطاولة وتقولين «شاي» يا عزيزتي. في غرفة الجلوس، تنقرين العربة في الزاوية وتقولين «شاي العصرية» في غرفة النوم...»

لم ينتظر بيتر ولا شارمين لسماع أمر غرفة النوم. بل انطلقا إلى الأمام وصفقا باب الحمام، وفتحاه ثانية -وشارمين تدفع بيتر دفعة فظة إلى اليسار- وحشرا نفسيهما خلاله إلى المطبخ، واستدارا وأغلقا الباب، وفتحاه ثانية ووصلا أخيرًا إلى غرفة الجلوس، وهناك بحثا متلهفين عن العربة. وجدها بيتر في الزاوية ووصل إليها متقدمًا شارمين. «شاي العصرية!»، صرخ، وهو يضرب بقوة على سطحها الفارغ المكسو بالزجاج. «شاي العصرية! شاي العصرية! شاي العـ...»

عندما وصلت إليه شارمين وأمسكت بذراعه المتأرجحة، ازدحمت العربة بأباريق الشاي، واللبانات والسكريات والأكواب والكعكات وأطباق القشدة، وأطباق المربى وصحون من شرائح الخبز الساخنة المدهونة بالزبدة، وأكوام من المفن وكيكة شوكولاتة. وانفتح جارور من طرفها مليئًا بالسكاكين والملاعق والشوك. قرّب كل من شارمين وبيتر العربة من الأريكة النتنة وجلسا يأكلان ويشربان. بعد دقيقة، أدخلت ويف رأسها الضخم من الباب تتشمم. لدى رؤيتها العربة، دفعت قليلًا ودخلت غرفة الجلوس أيضًا، إذ دبّت حزينة وضخمة إلى الأريكة ووضعت ذقنها الهائل المشعر على ظهرها خلف شارمين. أعطاها بيتر نظرة شاردة ومرر لها عددًا من كيكات المفن، فأكلتها بلقمة واحدة، بأدب ضخم.

بعد نصف ساعة، استلقى بيتر وتمدد، وقال «كان هذا رائعًا. لن نتضور جوعًا على الأقل. أيها الساحر نورلند»، أردف مجربًا. «كيف نحصل على الغداء في هذا البيت؟»

لم يتلق ردًا.

«إنه يرد عليَّ أنا فقط»، قالت شارمين، بشيء من التباهي. «ولن أسأله الآن. توجب عليَّ مواجهة اللوبوك قبل مجيئك وأنا منهكة. سأخلد إلى الفراش».

سألها پيتر «ماذا يكون اللوبوك؟ أظن أحدها قتل أبي».

لم تشعر شارمين برغبة في الرد، فنهضت وذهبت إلى الباب.

«انتظري»، قال پيتر. «كيف نتخلص من الأشياء التي على العربة؟»

«لا أدري»، قالت شارمين، وفتحت الباب.

«انتظري، انتظري، انتظري!»، قال پيتر مسرعًا خلفها. «أريني غرفة نومي أولًا».

قالت شارمين في نفسها أظن أن عليَّ ذلك، فهو لا يعرف اليسار من اليمين. تنهدت، وعلى كراهة دفعت پيتر بين الفقاعات التي لم تزل تندفع إلى المطبخ، أكثفَ من ذي قبل، ليأخذ حقيبته، ثم قادته يسارًا، عائدين عبر الباب إلى مكان غرف النوم. «خذ الثالثة»، قالت. «هذه غرفتي، والأولى غرفة العم الكبير وليم. ولكن غرف النوم تمتد ميلًا، إن أردت غرفة مختلفة. تصبح على خير»، أضافت ودخلت إلى الحمام.

كل شيء في الداخل متجمد.

«أوه، جميل»، قالت شارمين.

عندما وصلت إلى غرفتها وإلى طاولتها الجانبية المبقعة بالشاي، كان پيتر في الممر يصرخ. «هي! هذا المرحاض متجمد!» حظ تعس! قالت شارمين في نفسها. وأوت إلى الفراش وغطت في النوم حالًا.

بعد ساعة، حلمت أن ماموثًا أصْوفَ جلس عليها. «ابتعدي يا ويف»، قالت. «إنك ضخمة جدًا». ثم حلمت أن الماموث نهض ببطء يتذمر همسًا قبل أن تستغرق في الأحلام الأخرى الأعمق.

الفصل الخامس

وفيه شارمين تستقبل والدتها القلقة

لدى استيقاظ شارمين، وجدت أن ويف قد غرست رأسها الضخم في السرير مقابل ساقي شارمين. وتكومت بقية ويف على الأرض في كومة مشعرة بيضاء احتلت جُل ما بقي من الغرفة.

«لا تستطيعين أن تصغري من تلقاء نفسك إذن. سأفكر في حل ما»، قالت شارمين.

كان جواب ويف موجاتٍ من الصَّفير الضخم، غطت في النوم بعده. جرَّت شارمين ساقيها بصعوبة من تحت رأس ويف، ودارت ببطء حول جسد ويف الضخم لتبحث عن ثياب نظيفة تلبسها. ولما جاءت لتسريح شعرها، وجدت كل الدبابيس التي ترفع بها شعرها عادة قد اختفت، ربما أثناء سقوطها من الجرف، وما بقي لها إلا شريطة. أصرت أمها دائمًا على أن الفتيات اللائقات يجب أن يرفعن شعورهن في عقدة مرتبة أعلى رؤوسهن، ولم تسرّح شارمين شعرها تسريحة أخرى قط.

«أوه، لا بأس»، قالت لانعكاسها في المرآة الصغيرة الأنيقة، «أمي ليست هنا، صحيح؟» وسرحت شعرها في جديلة ثخينة على كتفها وثبتتها بالشريطة. هكذا رأت أن صورتها أجمل من المعتاد، وجهها أكثر امتلاء وأقل نحولًا وتجهمًا. هزت رأسها لصورتها استحسانًا وشقت طريقها حول ويف لتذهب إلى الحمام.

وارتاحت لرؤية أن الحمام قد ذاب أثناء الليل، وملأته أصوات القَطر الناعمة من الماء الذي يندّي كل الأنابيب، وبدا كل شيء على ما يرام حتى جربت شارمين فتح الصنابير. فقد سال منها أربعتها ماء بارد مثلج، مهما طال جريان الماء منها.

«لم أرد الاغتسال على أي حال»، قالت شارمين، وخرجت إلى الممر.

لم تسمع صوتًا من بيتر، وتذكرت شارمين قول أمها إن الأولاد أصعب دائمًا في الاستيقاظ صباحًا، لكنها لم تسمح لهذا بأن يقلقها. فتحت الباب واستدارت يسارًا إلى المطبخ، إلى رغوة متيبسة. مرت كتل من الرغوة وفقاعات كبيرة وحيدة متجاوزة إياها إلى الممر.

«اللعنة!»، قالت شارمين. وخفضت رأسها وقاطعت ذراعيها على رأسها واقتحمت المكان. كان حارًا بقدر مخبز أبيها وهو يخبز طلبية كبيرة. فقالت «أف! أحسب أنه سيستغرق أيامًا لينهي لوح صابون». ولم تقل شيئًا آخر بعدها، لأن فمها امتلأ بزبد الصابون كلما فتحته. ودغدغت الفقاعات أنفها حتى عطست، محدثة دوامة رغوية صغيرة. اصطدمت بالطاولة وسمعت سقوط إبريق شاي

آخر، لكنها تابعت اندفاعها حتى اصطدمت بأكياس الثياب الوسخة وسمعت قرقعة القدور فوقها. ثم أدركت مكانها، فرفعت يدًا عن وجهها لتتحسس طريقها إلى الحوض ثم من الحوض إلى أن وجدت الباب الخلفي تحت أصابعها. وتلمسته بحثًا عن المزلاج -للحظة ظنته اختفى في الليل، ثم أدركت أنه على الجانب الآخر من الباب- وفتحت الباب أخيرًا. ووقفت تعبّ أنفاسًا صابونية عميقة، وتطرف عينيها السائلتين الحارقتين الممتلئتين صابونًا في صباح معتدل جميل.

مرت الفقاعات تتجاوزها في جموع. ولما صفت عينا شارمين، وقفت معجبة بانعكاس ضوء الشمس في الفقاعات وهي تمر مقابل المنحدرات الخُضر للجبال. لاحظت أن جلها تفقأ عند وصولها نهاية الفناء، كأن هناك حاجزًا خفيًا، ولكن بعضها واصل التحرك والارتفاع كأنها ستستمر في ذلك إلى الأبد. تابعتها شارمين بعينيها، خلف الجِروف البنية والمنحدرات الخُضر. لا بد أن يكون أحد هذه المنحدرات هو المرج الذي التقت فيه اللوبوك، لكنها لم تستطع معرفة أيها. وأتاحت لنظرها الارتفاع إلى السماء الزرقاء الفاتحة فوق القمم، كان يومًا بهيجًا حقًا.

حينها انساب من المطبخ سيل من الفقاعات المستمرة اللامعة. عندما استدارت شارمين لتنظر، لم يعد في الغرفة رغوة متيبسة، لكن الفقاعات في كل مكان والمزيد منها يتجمع في الموقد. تنهدت شارمين وتهادت عائدة إلى الداخل، حتى تمكنت من الاستناد إلى

حوض المغسلة وفتح النافذة أيضًا. كان هذا عظيم الفائدة، فقد خرج صفّا فقاعات من البيت أسرع من ذي قبل، وصنعا أقواس قزح في الفناء. فرغ المطبخ بسرعة، وسرعان ما بات المكان خاليًا بما يكفي لترى شارمين أربعة أكياس من الثياب الوسخة بجانب حوض المغسلة، بدلًا من كيسي البارحة.

«تبًا لهذا!»، قالت شارمين. «كيف أحصل على الإفطار أيها العم الكبير وليم؟»

كان سماع صوت العم الكبير وليم مريحًا بين الفقاعات. «انقري جانب الموقد وقولي «الإفطار رجاء» يا عزيزتي».

هرعت شارمين جائعة إلى هناك في الحال. ونقرت على طلائه نقرة نافدة الصبر. «الإفطار رجاء». ثم رأت أنها مضطرة إلى التراجع بعيدًا عن صينية تطفو، وهي تلكز النظارة المتدلية على صدرها. وسط هذه الصينية صحن يصدر أزيزًا من البيض واللحم المقدد، وازدحم حوله إبريق قهوة وكوب وصفٌّ من شرائح الخبز والمربى والزبدة والحليب ووعاء من البرقوق المطبوخ وأدوات مائدة في منديل منشّى.

«أوه رائع!»، قالت، وقبل أن يمتلئ هذا كله بالصابون، أمسكت الصينية وحملتها إلى غرفة الجلوس. ودهشت لما لم تجد أثرًا لمأدبة شاي العصرية التي تناولتها هي وبيتر الليلة الماضية، والعربة نظيفة في ركنها، لكن الغرفة نتنة وفيها بضع فقاعات هاربة تطوف حولها. واصلت شارمين سيرها وخرجت من الباب الأمامي،

وتذكرت أنها وهي تقطف البتلتين الزهرية والزرقاء لأجل الرقية من سفر الطروس، رأت طاولة حديقة ومقعدًا خارج نافذة غرفة المكتبة. فحملت صينيتها وانعطفت حول زاوية البيت لتبحث عنها.

وجدتها في مكان سطعت فيه شمس الصباح أقوى سطوعها، وفوقه، فوق شجيرة الورد الزهري والأزرق، تقع نافذة المكتبة، رغم عدم وجود مكان في البيت تقوم فيه المكتبة. السحر مثير، قالت في نفسها وهي تضع الصينية على الطاولة. ورغم أن الشجيرات من حولها لم تزل تقطر ندىً من مطر ليلةِ أمسِ، فإن المقعد والطاولة جافان. جلست شارمين وأكلت أروع إفطار تناولته، تشعر بالدفء في الشمس وبالخدر والرفاه والنضج الشديد. والشيء الوحيد الناقص هو كرواسان الشوكولاته كما يعدّه أبي، قالت لنفسها وهي تجلس لترشف قهوتها. يجب أن أخبر العم الكبير وليم عند عودته.

خطر لها أن العم الكبير وليم جلس هنا كثيرًا ليستمتع بتناول إفطاره. كانت أزهار شجرة الكوبية من حولها الأجمل في الحديقة، كأن هذا لبهجته الخاصة. وكل شجيرة فيها زهور ألوانها مختلفة. فالتي تقابلها زهورها بِيض وزهرية فاتحة وبنفسجية. والتالية تبدأ بالزهور الزُّرق يسارًا وتتدرج ألوانها إلى أخضر أعماق البحر يمينًا. سرّت شارمين قليلًا لأنها لم تسمح للكوبولد بقطع هذه الشجيرات، فأطل پيتر برأسه من نافذة المكتبة. لقد أفسد هذا بهجة شارمين قليلًا.

«هي، من أين حصلت على طعام الإفطار؟»، سأل بيتر.

شرحت له شارمين، وأدخل رأسه وذهب. مكثت شارمين في مكانها، متوقعة مجيء بيتر في أي لحظة وراجية ألا يفعل. ولكن لم يحدث شيء. وبعد التنعّم بالشمس لبعض الوقت، فكرت شارمين في البحث عن كتاب تقرؤه. فأدخلت الصينية مارة بالمطبخ أولًا، مهنئة نفسها على ترتيبها ونشاطها. كان جليًا أن بيتر هناك لأنه أغلق الباب الخلفي، تاركًا النافذة مفتوحة، فامتلأ المكان بالفقاعات المتجهة برفق نحو النافذة ثم تنساب برشاقة خارجها. وبين هذه الفقاعات لاحت الهيئة البيضاء الكبيرة لويف. حين وصلت شارمين، مطّت ويف ذيلها الضخم الخفيف الشعر وهزته بقوة أمام المدفأة، فهبط صحن صغير لطعام الكلاب قرب كفيها الأماميتين الضخمتين من بين الفقاعات، فيه قدر من الطعام يناسب كلبًا صغيرًا جدًا. عاينته ويف حزينة، وأنزلت رأسها الضخم، والتهمت طعام الكلب بلقمة واحدة.

«أوه يا لويف المسكينة!»، قالت شارمين.

رفعت ويف نظرها ورأتها، فأخذ ذيلها الضخم يهتز، ناقرًا على المدفأة. فظهر صحن طعام كلاب جديد مع كل هزة، وفي غضون ثوانٍ أحاطت بويف صحون طعام الكلاب الصغيرة، تنتشر على الأرض.

«لا تفرطي في ذلك يا ويف»، قالت شارمين متقدمة ببطء بين الصحون. وأنزلت الصينية على أحد أكياس الثياب الوسخة

الجديدة وقالت لويف: «إذا احتجت إليّ فستجديني في غرفة المكتبة أبحث عن كتاب»، وقفلت عائدة. وانشغلت ويف بالأكل ولم تأبه.

كان بيتر في غرفة المكتبة، وصينية طعام إفطاره الفارغة على الأرض قرب طاولة الكتابة، وهو جالس على الكرسي يقلّب في واحد من الكتب الكبيرة ذوات الأغلفة الجلدية من صفٍّ في آخر الطاولة. وبدا اليوم أكثر لياقة بكثير، فشعره، وقد جف الآن، مسرّح بخصل أنيقة لونها أصحر ويلبس بدلته الثانية، وهي من قماش التويد الفاخر الأخضر. كانت مجعدة لوجودها في حقيبة ظهره وفيها بقعة أو اثنتان مدورتان رطبتان انفقأت عليهما الفقاعات، لكن شارمين استحسنت ذلك. ولدى دخولها، صفق الكتاب وأغلقه متنهدًا ودفعه إلى مكانه. لاحظت شارمين أنه عقد على إبهامه اليسرى خيطًا أخضر. فقالت في نفسها هكذا تمكن من الوصول إلى هنا إذن.

قال لها: «لا أفهم كلمة من هذا. لا بد أنها هنا في مكان ما، لكنني لا أجدها».

«وما الذي تحاول العثور عليه؟»، سألت شارمين.

«قلتِ شيئًا البارحة عن اللوبوك»، قال بيتر، «وأدركت أنني لا أعرف حق المعرفة ما يكون. أحاول البحث عنه، أو هل تعرفين عنه شيئًا؟»

«ليس تمامًا، سوى أنه مخيف»، اعترفت شارمين. «أود معرفة المزيد عنه أنا أيضًا. كيف لنا ذلك؟»

أشار بيتر بإبهامه ذات الخيط الأخضر إلى صف الكتب. «هذه. أعرف أن هذه موسوعة السحرة، ولكن يتوجب عليك أن تعرفي الشيء الذي تبحثين عنه قبل أن تجدي المجلد المناسب الذي تنظرين فيه».

رفعت شارمين نظارتها وانحنت لتنظر إلى الكتب. كل واحد منها اسمه **رِس ماجيكا** باللون الذهبي، ورقم تحت ذلك ثم عنوان. قرأت المجلد ٣ كتاب **الأوهام والتخيلات**[1]، والمجلد ٥ **المراقبة الكلية**، ثم في الأسفل على الطرف الآخر المجلد ١٩ **السحر الريادي المتقدم**، والمجلد ٢٧ **التكهن بأحداث الأرض عبر الأحلام**، والمجلد ٢٨ **التكهن بأحداث الكون عبر الأحلام**. «أفهم مشكلتك»، قالت.

«أنا أتصفحها بالترتيب الآن»، قال بيتر. «لقد انتهيت من رقم خمسة. كله رُقًى لا أفهم منها حرفًا». وأخذ المجلد ٦، المعنون بـ **التمائم فقط**، وفتحه. «تصفحي التالي»، قال.

رفعت شارمين كتفيها وأخذت المجلد ٧، ولا يوحي عنوانه مخلوقات جبارة بالأمل الكبير. فأخذته إلى أسكفة النافذة، حيث الفراغ والضوء، وفتحته قريبًا من البداية. فأدركت في الحال أنه المنشود. قرأت «العفريت: كائن قوي وخطر أحيانًا. كثيرًا ما يخلط

---

(١) هذه كلمة ابتدعتها الكاتبة، وهي مؤلفة من كلمتين الأولى إيطالية giro وتعني التفافة ودوران ونحوهما، وكلمة optica وهي لاتينية أصلها يوناني تعني علم الضوء، وفصلت بينهما بحرف L للوقاية. ويمكن ترجمتها بعلم دراسة الخداع البصري وأوهام المنظور، وتريد الكاتبة الإشارة إلى وجود علم يدرس الطرق التي يتأثر بها إدراكنا ويتحول من خلال أوهام بصرية بحتة (أ. نواف البيضاني)

بينه وبين الأرواح الأربعة»[1]، وقلّبت بضع صفحات، «الشيطان: كائن من الجحيم...» ثم انتقلت إلى «عطية الأقزام: يتمتع بقوى وهبها له الأقزام لأجل سلامة المملكة...»، ثم لفيف من الأوراق بعدها، «الجاثوم: شيطان متخصص، يؤذي النساء غالبًا...» ثم قلبت الصفحات بأناة وحرص شديدين، وبعد عشرين صفحة وجدته فقالت «اللوبوك. وجدته!»

«رائع!»، صفق مجلد التمائم. «هذا معظمه رسوم بيانية. ماذا يقول؟»، وجاء واتكأ على أسكفة النافذة بجانب شارمين وقرأ كلاهما التعريف.

«اللوبوك: مخلوق نادر لحسن الحظ. اللوبوك كائن حشري أرجواني اللون يتراوح حجمه من حجم الجندب إلى أكبر من حجم الإنسان. كما أنه شديد الخطر رغم أنه اليوم لا يُرى إلا في المناطق البرية أو غير المأهولة بالسكان لحسن الحظ. يهاجم اللوبوك أي إنسان يراه، سواء أكان ذلك بذيله الشبيه بالكماشة أو بخرطومه الهائل. ولعشرة أشهر في السنة يمزق الإنسان إربًا من أجل طعامه، ولكنه يبدأ في شهري يوليو وأغسطس موسم التكاثر فيكون عندها عظيم الخطر، ففي هذين الشهرين يتربّص بالمسافرين من البشر، وعندما يمسك واحدًا يضع بيوضه في جسد ذلك الإنسان. تفقس

(١) الأرواح الأربعة أجناس سحرية توصف في كتب السحر والخيمياء، وتصنف الفصائل الرئيسة لهذه الكائنات أربعة أصناف: الأقزام (ويطلق عليها العفاريت وهي نوع مختلف عن عفاريت الجن)، ومِغسال العين (أنثى روح الماء)، والسِلف (كائن خرافي يعيش في السماء)، والعظاءة (السلمندر).

البيوض بعد اثني عشر شهرًا، وعندئذ تأكل أول بيضة تفقس باقي البيض، وهذا اللوبوك الجديد سيحفر طريقه خارجًا من جسد الإنسان المستضيف. سيموت الذكر من البشر، أما الأنثى فتلد ولادة عادية، وستكون الذرية المولودة لوبوكِن (انظر أسفل). ثم تموت الأنثى البشرية بطبيعة الحال».

يا ربي، لقد نجوت بأعجوبة! خطر لشارمين، وقد انتقلت عيناها وعينا پيتر إلى التعريف التالي.

«اللوبوكِن: ذرية لوبوك من أنثى بشرية. يكون لهذه المخلوقات عادة مظهر الطفل البشري عدا أن لها أعينًا أرجوانية دائمًا. سيكون بعضها أرجواني البشرة، بل قد يولد قليل منها بأجنحة ضامرة. تقتل القابلة اللوبوكِن الذي يسهل تمييزه لدى رؤيته، ولكن في حالات عديدة تُنشّئ اللوبوكن تنشئة صغار بني البشر وهذا خطأ، فالشر من طباعها. ولما أمكنها التزاوج مع بني البشر، فلن تختفي الطبيعة الشريرة إلا بعد مرور أجيال عدة. يقال إن كثيرًا من سكان المناطق البعيدة مثل هاي نورلند ومُنتالبينو تعودُ أصولهم إلى جد من اللوبوكن».

يصعب وصف وقع قراءة هذا على كل من شارمين وپيتر، وتمنى كل منهما أنه لم يقرأه. وفجأة بدت مكتبة العم الكبير وليم المشمسة خطرة تمامًا، تسكنها ظلال غريبة في الزوايا. بل إن البيت بكامله بدا كذلك كما خُيل إلى شارمين. ووجدت نفسها هي وپيتر يحدقان حولهما قلقين ثم يبحثان بسرعة من النافذة عن الخطر في

الحديقة. وفزع كلاهما عندما تثاءبت ويف تثاؤبًا عملاقًا في مكان ما من الممر. أرادت شارمين أن تسرع بالخروج إلى هناك وتتأكد من أن النافذة في نهاية الممر مغلقة تمامًا. ولكنها أولًا نظرت إلى پيتر بحذر شديد شديد بحثًا عن أي أثر للأرجواني فيه، فقد قال إنه جاء من مُنتالبينو.

شحب پيتر كثيرًا، وأظهر هذا نمشًا قليلًا على أنفه، لكنه برتقالي فاتح اللون، والشعرات الجديدة الشحيحة النابتة على ذقنه برتقالية نوعًا ما أيضًا. وكانت عيناه بنيتين باهتتي اللون، لا تشبهان في شيء عيني شارمين الصفراوين المائلتين إلى الخضرة، لكنهما ليستا أرجوانيتين أيضًا.

وتسنى لها رؤية كل ذلك بسهولة لأن پيتر يحملق إليها بالقدر نفسه من الحذر. وغدا وجهها باردًا، وعرفت أنه شحب مثلما شحب وجه پيتر. وأخيرًا تكلم كلاهما في وقت واحد.

قالت شارمين «أنت من مُنتالبينو، هل عائلتك أرجوانية اللون؟»

قال پيتر «لقد التقيتِ لوبوكًا. هل وضع بيوضًا فيك؟»

قالت شارمين «لا».

قال پيتر «تُدعى أمي بساحرة مُنتالبينو، لكنها من هاي نورلند صدقًا. وهي ليست أرجوانية. حدثيني عن اللوبوك الذي صادفته».

أوضحت شارمين خروجها من النافذة ووصولها إلى مرعى الجبل حيث كمن اللوبوك في الزهرة الزرقاء و...

«ولكن هل لمسك؟»، قاطعها بيتر.

«لا، لأني وقعت من الجرف قبل أن يفعل»، قالت شارمين.

«وقعت من... لماذا لم تموتي إذن؟»، سأل بيتر. تراجع مبتعدًا عنها قليلًا، كأنه ظنها نوعًا من الزومبي.

«لقد ركبت رقية»، قالت له شارمين، بشيء من الابتهاج لأنها شديدة الفخر بصنعها سحرًا حقيقيًا. «رقية للطيران».

«حقًا؟»، قال بيتر بين الحماس والشك، «أي رقية للطيران؟ أين؟»

«من كتاب هنا»، قالت شارمين. «وعندما سقطت، أخذت أطفو ونزلت بأمان في درب الحديقة. لا داعي إلى أن تظهر شكك هكذا. كان في الحديقة كوبولد يسمى رولو عندما هبطت. اسأله إن لم تصدقني».

«سأفعل»، قال بيتر. «ما كان هذا الكتاب؟ أريه لي».

فألقت شارمين بجديلتها على كتفها متباهية وسارت نحو طاولة الكتابة. بدا سِفر الطروس يحاول الاختباء، فلم يكن حيث تركته شارمين. وربما حركه بيتر. وجدته في النهاية محشورًا بين صف من رس ماجيكا، متظاهرًا بأنه مجلد آخر من الموسوعة. «هاك»، قالت، خابطة الكتاب فوق كتاب التمائم، «وكيف تجرؤ على الشك في كلامي؟! سأذهب الآن لأجد لي كتابًا أقرؤه».

وخطت نحو أحد الرفوف وأخذت تنتقي عناوين جذابة. لا

يبدو أن في أيٍّ من الكتب قصصًا، وهذا ما تفضله شارمين، لكن بعض العناوين مثيرة. فما قولك في **صانع المعجزات بوصفه فنانًا** مثلًا، أو **مذكرات طارد أرواح**؟ من جانب آخر بدا كتاب **الإنشاد الجماعي لاستحضار الأرواح نظرية وتطبيقًا كتابًا** جافًا جدًا، لكنها فتنت قليلًا بالكتاب المجاور له واسمه **العصا السحرية ذات الأغصان الاثني عشر**.

جلس بيتر أثناء ذلك إلى المكتب وقلَّب متحمسًا في كتاب سفر الطروس. وتبين لشارمين أن كتاب **صانع المعجزات بوصفه فنانًا** يعج بالأقوال المزعجة من قبيل «وهكذا يتمكن ساحرنا الصغير السعيد من إسماعنا موسيقى عذبة مسحورة»، عندما قال بيتر بضيق: «ما من رقية للطيران هنا. لقد بحثت في الكتاب».

«لعلي استهلكتها»، ألمحت شارمين إلماحة غامضة. وألقت نظرة على كتاب العصا السحرية ذات الأغصان الاثني عشر ووجدته كتابًا شائقًا.

«لا تسير الرقى على هذا النحو»، قال بيتر. «أين وجدتها صدقًا؟»

«هناك. لقد أخبرتك»، قالت شارمين. «إذا لم تصدق كلمة مما أقول، فلماذا تلح في سؤالي إذن؟» وأنزلت نظارتها عن أنفها، وأغلقت الكتاب محدثة فرقعة، وحملت كومة من الكتب الجذابة خارجة بها إلى الممر، وصفقت باب المكتبة على بيتر وسارت إلى الخلف وإلى الأمام عبر باب الحمام حتى وصلت إلى غرفة الجلوس. هناك، برغم

النتانة، فإنَّها عزمت على البقاء. فمن بعد قراءة ذاك التعريف في رس ماجيكا، لم يعد الجلوس خارجًا في الشمس أمرًا مأمون الجانب. إذ تخيلت اللوبوك يتربص فوق شجرة الكوبية وجلست على الأريكة بثبات عزم.

كانت غارقة في العصا السحرية ذات الأغصان الاثني عشر، بل بدأت تفهم ما يتكلم عنه، عندما سمعت طرقًا حادًا على الباب الأمامي. فظنت شارمين، كما تظن عادة، أن أحدًا آخر سيفتح الباب، فواصلت قراءتها.

انفتح الباب بقرقعة نافدة الصبر، وقال صوت الخالة سمپرونيا «إنها بخير طبعًا يا بيرنيس. لا بد أنها مستغرقة في كتاب، كالعادة».

فتركت شارمين كتابها كارهة وخلعت نظارتها في اللحظة المناسبة لترى أمها تتبع الخالة سمپرونيا داخلة البيت. وكانت الخالة سمپرونيا، كعادتها، ترفل في ثياب فاخرة من الحرير المُنشَّى. أما السيدة بيكر فكانت في أشد مظاهرها احترامًا إذ لبست ثوبًا رماديًا، له ياقة وأساور أكمام بيضاء ناصعة، واعتمرت أشد قبعاتها الرمادية احترامًا.

أحسنتُ صنعًا بلبس ثياب نظيفة هذا...، بدأت شارمين تقول لنفسها عندما أدركت أن بقية البيت ليس ملائمًا لتراه أيٌّ من هاتين السيدتين. فلم يكن المطبخ غاصًا بصحون طعام البشر الوسخة وصحون طعام الكلاب الوسخة والفقاعات والثياب القذرة والكلب الأبيض الضخم فحسب، بل كان پيتر يجلس في

غرفة المكتبة. لن تجد أمي إلا المطبخ على الأرجح، وقد كان في حال مزرية. لكن الخالة سمپرونيا ساحرة (بلا ريب)، وستجد طريق المكتبة وتصادف پيتر. ثم سترغب أمي في معرفة ما يفعله صبي غير معروف هنا. وعندما أفسر وجود پيتر، ستقول أمي في هذا إن پيتر قادر على الاعتناء ببيت العم الكبير وليم من أجله، ويجب أن تفعل شارمين الأمر اللائق وتعود إلى البيت في الحال. وستوافقها الخالة سمپرونيا، وستجبر شارمين على العودة إلى البيت. وسيضع هذا حدًا للهدوء والحرية.

نهضت شارمين وابتسمت مذعورة ابتسامة عريضة مرحِبة ظنت معها أنها آذت وجهها، وقالت «أوه مرحبًا! لم أسمع الباب».

«لا تسمعينه أبدًا»، قالت الخالة سمپرونيا.

أنعمت السيدة بيكر النظر إلى شارمين، يملؤها القلق «هل أنت بخير يا حبي؟ بخير تمامًا؟ لماذا لم ترفعي شعرك رفعًا لائقًا؟»

«أحبه هكذا»، قالت شارمين تتعثر لتحول بين السيدتين وبين باب المطبخ. «ألا ترين أنه يناسبني أيتها الخالة سمپرونيا؟»

توكأت الخالة سمپرونيا على شمسيتها ونظرت إليها متفحصة وقالت «بلى، يناسبك. يجعلك تبدين أصغر سنًا وأكثر امتلاء. أهكذا تودين أن يكون مظهرك؟»

«نعم»، قالت شارمين بلا وجل.

تنهدت السيدة بيكر. «ليتك لا تتكلمين بهذا الأسلوب الجريء

يا عزيزتي. الناس لا يحبون هذا كما تعرفين. لكنني سعيدة أن أراك بخير. أرقد ساهرة نصف الليل أصغي إلى المطر وأرجو أن سطح هذا البيت لا يسرب الماء».

«لا يسرب»، قالت شارمين.

«أو خائفة أنك نسيت إحدى النوافذ مفتوحة»، أضافت الأم.

ارتجفت شارمين. «لا، بل أغلق النافذة»، قالت وانتابها إحساس في اللحظة نفسها أن پيتر يفتح النافذة على مرج اللوبوك. «لا داعي إلى قلقك يا أمي»، قالت كاذبة.

«حسن، سأقول الصدق، لقد خامرني شيء من القلق»، قالت السيدة بيكر. «إنها أول مرة تبتعدين فيها عن العش كما تعرفين. وتحدثت إلى أبيك عن الأمر، فقال إنك لا تحسنين إطعام نفسك جيدًا». فرفعت الحقيبة المطرزة المتورمة التي تحملها. «فحزم لك بعض الطعام في هذه، سأذهب لوضعها في المطبخ، هل أفعل؟»، سألت، ودفعت شارمين متجاوزة إياها نحو الباب الداخلي.

لا! النجدة! فكرت شارمين. فأمسكت بالحقيبة المطرزة بما رأته ألطف الأساليب وأكثرها تحضرًا، بدلًا من جذبها الذي ودت أن تقوم به وقالت «لا تتجشمي العناء يا أمي. سآخذها في لحظة وأجلب الأخرى لك...»

«أوه لماذا؟ ليس في الأمر عناء يا حبي»، اعترضت أمها، متمسكة بالحقيبة.

«لأن عندي مفاجأة لك أولًا»، قالت شارمين على عجل. «اذهبي واجلسي. هذه الأريكة مريحة جدًا يا أمي». وكان ظهر الأريكة إلى هذا الباب. «تفضلي بالجلوس أيتها الخالة سمپرونيا...»

«لكن الأمر لن يستغرق مني سوى دقيقة»، قالت السيدة بيكر. «إن تركتها على طاولة المطبخ حيث تجدينها...»

أشارت شارمين بيدها الحرة، إذ كانت يدها الأخرى متشبثة بالحقيبة بقوة. «أيها العم الكبير وليم!»، نادت. «قهوة الصباح! من فضلك!»

وارتاحت عظيم الارتياح عندما سمعت صوت العم الكبير وليم الحنون يجيب «انقري العربة في الزاوية يا عزيزتي، وقولي «قهوة الصباح»».

حبست السيدة بيكر أنفاسها ذهولًا ونظرت حولها لترى المكان الذي يأتي منه الصوت. وبدا الاهتمام والفضول على الخالة سمپرونيا، وتقدمت لتضرب العربة ضربة قوية بشمسيتها. «قهوة الصباح؟»، قالت. امتلأت الغرفة في الحال برائحة دافئة من القهوة، إذ انتصب إبريق قهوة فضي طويل على العربة، يتصاعد منه البخار، إلى جانب فناجين صغيرة مذهبة، وإبريق مذهب للكريمة وسكرية فضية في شكل قارب وصحن من الكيكات الصغيرة المرشوشة بالسكر. دهشت السيدة بيكر كثيرًا وتركت الحقيبة المطرزة، فوضعتها شارمين بسرعة خلف أقرب كرسي بمسندين.

«سحر أنيق جدًا»، قالت الخالة سمپرونيا. «تعالي واجلسي يا بيرنيس ودعي شارمين تجر العربة قريبًا من هذه الأريكة».

أطاعت السيدة بيكر، يبدو عليها الذهول، وارتاحت شارمين ارتياحًا هائلًا لما أخذت الزيارة تنحو منحى قهوة صباح لائقة أنيقة. صبت الخالة سمپرونيا القهوة، وقدمت شارمين الكيكات المرشوشة بالسكر. كانت شارمين تقف مقابل الباب، تمد الطبق إلى الخالة سمپرونيا، عندما انفتح الباب وظهر وجه ويف الضخم عند طرفه، وقد جذبتها رائحة الكيكات المرشوشة بالسكر قطعًا.

«اذهبي يا ويف!»، قالت شارمين. «كش! أعني ما أقول! لا يمكنك الدخول ما لم... ما لم... ما لم تكوني لائقة. اذهبي!»

نظرت ويف حزينة، وتنهدت تنهيدة ضخمة وتراجعت. ولما تمكنت السيدة بيكر والخالة سمپرونيا، وكل منهما تحمل فنجانًا صغيرًا طافحًا بالقهوة، من الالتفات لتريا مَن تكلمه شارمين، كانت ويف قد ذهبت والباب مغلقًا مرة أخرى.

«ما الأمر؟»، سألت السيدة بيكر.

«لا شيء»، قالت شارمين مطمئنة. «هذه كلبة الحراسة العائدة للعم الكبير وليم، كما تعرفين. إنها طماعة طمعًا فظيعًا...»

«عندك كلبة هنا!»، قاطعتها السيدة بيكر، في أعظم خوف. «لا أظن هذا يعجبني يا شارمين. الكلاب قذرة جدًا، وقد تعضك! أرجو أنك تبقينها مسلسلة».

«لا، لا، لا، إنها شديدة النظافة. ومطيعة»، قالت شارمين، متسائلة إن كان ما قالت صحيحًا. «المشكلة أنها تفرط في الأكل فقط. يحاول العم الكبير وليم أن يجعلها تلتزم بنظام غذائي، ولذا فلقد جاءت طامعة بواحدة من هذه الكيكات...»

انفتح باب المطبخ مرة أخرى. كان وجه پيتر مَن أطلَّ منه هذه المرة، بسيماء توحي بأن لديه أمرًا عاجلًا يقوله. لكن نظرته تحولت إلى ذعر عندما رأى أناقة الخالة سمپرونيا واحترام السيدة بيكر.

«ها هي مرة أخرى»، قالت شارمين بشيء من اليأس. «اذهبي يا ويف!»

فهم پيتر التلميح واختفى، قبل أن تلتفت الخالة سمپرونيا ثانية وتراه. وبدا القلق على السيدة بيكر أكثر من ذي قبل.

«أنت تفرطين في القلق يا بيرنيس»، قالت الخالة سمپرونيا. «أقر أن الكلاب رائحتها كريهة وقذرة ومزعجة، ولكن لا شيء أحسن من كلب حراسة للحفاظ على أمان البيت. يجب أن تسعدي لأن شارمين عندها واحد».

«أظن ذلك»، وافقتها السيدة بيكر، دون أن تقتنع تمامًا. «لكن... لكن ألم تخبريني أن هذا البيت تحرسه فنون سحر... عمك الكبير؟»

«بلى بلى، هو كذلك»، قالت الخالة سمپرونيا. «أحسب أن لا شيء يمكنه الدخول إلى هنا ما لم يدعَ لتجاوز العتبة».

وكأنما لإثبات أن الخالة سمپرونيا لم تصِب في قولها، ظهر كوبولد على الأرض قرب العربة. «والآن، اسمعوا!»، قال صغيرًا وعدائيًا وأزرق.

زعقت السيدة بيكر وألصقت فنجان قهوتها بصدرها، ورفعت الخالة سمپرونيا تنورتها بعيدًا عنه رفعًا أنيقًا. نظر الكوبولد إليهما، بادية عليه الحيرة، ثم نظر إلى شارمين. لم يكن كوبولد الحديقة، فأنفه أكبر وثيابه الزُّرق من قماش أجمل وبدا أنه اعتاد إعطاء الأوامر.

«أأنت كوبولد ذو شأن؟»، سألته شارمين.

«حسن»، قال الكوبولد، وقد بوغت قليلًا، «تستطيعين قول ذلك. أنا زعيم القبيلة في هذه الأنحاء، واسمي تِمِنز. أنا أقود هذا الوفد، ونحن كلنا مستاؤون جدًا. وقد بُلِّغنا الآن أن الساحر ليس هنا، أو لن يرانا، أو...»

رأت شارمين أنه يستشيط غضبًا، فقالت بسرعة «هذا صحيح، فهو ليس هنا. إنه مريض، وقد أخذه العفاريت لعلاجه، وأنا من يعتني ببيته أثناء غيابه».

رفع الكوبولد عينيه من فوق أنفه الأزرق الضخم ونظر إليها شزرًا. «هل تقولين الحقيقة؟»

يبدو أنني أمضيت اليوم كله وأنا أُتهم بالكذب! قالت شارمين لنفسها غاضبة.

«إنها الحقيقة بعينها»، قالت الخالة سمپرونيا. «وليم نورلند

ليس هنا في الوقت الراهن. فهلا تلطفتَ وغادرتَ يا كوبولدي الطيب؟ إنك تثير ذعر السيدة بيكر المسكينة».

نظر الكوبولد إليها شزرًا ثم إلى السيدة بيكر. وقال لشارمين «لا أرى فرصة لإنهاء هذا النزاع، أبدًا!» وغادر فجأة مثلما جاء.

«أوه يا ربي!»، قالت السيدة بيكر لاهثة، ممسكة بصدرها. «شديد الصغر! شديد الزرقة! كيف دخل؟ لا تدعيه يدوس تنورتك يا شارمين!»

«هذا ليس سوى كوبولد»، قالت الخالة سمپرونيا. «تمالكي نفسك يا بيرنيس. القاعدة أن الكوبولد لا يتفقون مع بني البشر، لذا لا أدري ماذا كان يفعل هنا. لكني أحسب أن العم الكبير وليم يتعامل مع المخلوقات. لا يتنبأ المرء بأفعال السحرة».

«ولقد أرقت القهوة...»، تذمرت السيدة بيكر وهي تمسح تنورتها.

أخذت شارمين الفنجان الصغير وأعادت ملأه بالقهوة بهدوء. «تناولي كيكة ثانية يا أمي»، قالت وهي تمد لها الطبق. «لدى العم الكبير وليم كوبولد يعمل بستانيًا، وكان ذاك غاضبًا أيضًا عندما التقيته...»

«وماذا يفعل البستاني في غرفة الجلوس؟»، سألت السيدة بيكر.

ومثلما يحدث كثيرًا، أخذ اليأسُ يتغلغلُ في نفس شارمين من أن تجعل أمَّها تفهمُها. إنها ليست بالغبية غير أنها لا تفصح عن أفكارها أبدًا، قالت لنفسها. «كان هذا كوبولدًا آخر»، قالت.

انفتح باب المطبخ وخبّت ويف إلى الداخل. كانت في حجمها العادي، وهذا يعني أنها أصغر من الكوبولد وسعيدة بنفسها لانكماشها. خبّت مرحة إلى شارمين ورفعت أنفها حزينة نحو طبق الكيك.

«صدقًا يا ويف!»، قالت شارمين. «أتذكر كم أكلتِ في إفطارك!»

«هل هذه كلبة الحراسة؟»، ارتجفت السيدة بيكر.

«إن كانت كذلك»، ارتأت الخالة سمپرونيا، «فستحتل المرتبة الثانية بعد الفأر. كم قلتِ إنها تناولت على الإفطار؟»

«قرابة خمسين صحنًا ممتلئًا من صحون الكلاب»، قالت شارمين دون تفكير.

«خمسون!»، قالت أمها.

«كنت أبالغ»، قالت شارمين.

عندما رأت ويف الجميع ينظرون إليها، جلست جلسة التوسل وكفَّاها تحت ذقنها. وأبدعت لتبدو فاتنة، وما جعلها كذلك أسلوبها في طيّ أذن شعثاء، كما أكدت شارمين.

«أوه، يا لها من كلبة صغيرة حلوة!»، هتفت السيدة بيكر. «أأنتِي جوآنة [أأنت جائعة]؟»، وأعطت ويف ما بقي من الكيكة التي كانت تأكلها. أخذتها ويف بتهذيب، وأكلتها بلقمة واحدة واستمرت في التوسل. أعطتها السيدة بيكر كيكة كاملة من الصحن، وجعل هذا ويف تتوسل بحزن أكثر من ذي قبل.

«تثيرين غثياني»، قالت شارمين لويف.

وقدمت الخالة سمپرونيا كيكة إلى ويف أيضًا. قالت لشارمين «لا بد من القول إنه بوجود هذه الكلبة الرائعة لحراستك، فلا داعي إلى القلق على سلامتك، رغم أنك قد تجوعين».

«إنها بارعة في النباح»، قالت شارمين. ولا حاجة إلى السخرية أيتها الخالة سمپرونيا، أعلم أنها ليست كلبة حراسة. لكن حالما جال هذا في ذهن شارمين، حتى أدركت أن ويف تحرسها. فقد صرفت انتباه الأم تمامًا عن الكوبولد أو المطبخ أو أي أخطار على شارمين، واحتالت لتصغّر نفسها إلى الحجم المناسب لتفعل ذلك. وشعرت شارمين بأنها شاكرة جدًا فقدمت إلى ويف كيكة هي الأخرى. شكرتها ويف شكرًا آسرًا جدًا بتشمم يدها، ثم أعادت اهتمامها وترقبها إلى السيدة بيكر.

«أوه، إنها حلوة جدًا!»، تنهدت السيدة بيكر، وكافأت ويف بكيكة خامسة.

ستنفجر، قالت شارمين لنفسها. ولكن، والفضل لويف، مر ما بقي من الزيارة بسلام، إلى أن حانت نهايتها عندما نهضت السيدتان لتغادرا. قالت السيدة بيكر «أوه، كدت أنسى!»، وتحسست جيبها. «وصلتك هذه الرسالة يا عزيزتي». وناولت شارمين ظرفًا طويلًا قاسيًا على ظهره ختم شمع أحمر. كان موجهًا إلى «السيدة شارمين بيكر»، بخط مرتعش أنيق.

حملقت شارمين إلى الرسالة ووجدت قلبها يخبط في أذنيها وصدرها مثلما يطرق الحداد على السندان. وأغبشت عيناها، وارتجفت يدها وهي تتناول الرسالة. لقد رد عليها الملك، لقد أجابها حقًا. عرفت أنه الملك، فلقد كان الخط مماثلًا للخط المرتعش الذي رأته على الرسالة في مكتب العم الكبير وليم. «أوه، شكرًا»، قالت وهي تحاول أن تبدو طبيعية.

«افتحيها يا عزيزتي»، قالت أمها. «تبدو فخمة، ماذا تكون في رأيك؟»

«أوه، لا شيء»، قالت شارمين. «إنها شهادة إتمام المرحلة الثانوية».

كانت تلك غلطة، فقد قالت أمها «ماذا؟ لكن أباك ينتظر منك أن تظلي في المدرسة لتنالي قليلًا من الثقافة يا عزيزتي!»

«نعم أعرف، لكنهم دائمًا يعطون أي شخص شهادة عند إنهائه الصف العاشر»، اختلقت شارمين الأمر. «إن أراد أحد أن يترك المدرسة، كما تعرفين. سيحصل صفي كاملًا على شهادة مثلها أيضًا».

ورغم هذا التفسير، الذي رأته شارمين شديد الذكاء، فإن القلق اعترى السيدة بيكر. ولولا أن ويف قفزت فجأة على ساقيها الخلفيتين وسارت نحو السيدة بيكر، وكفاها الأماميتان مطويتان تحت ذقنها بصورة فاتنة، لأقامت السيدة بيكر الدنيا وأقعدتها.

«أوه، يا لك من حلوة!»، قالت السيدة بيكر. «إذا سمح لك عمك الكبير بأخذ هذه الكلبة الصغيرة الحبيبة إلى البيت يا شارمين عندما يتحسن، فلن أمانع. لن أفعل صدقًا».

تمكنت شارمين من دس رسالة الملك في نطاقها وقبّلت أمها ثم الخالة سمپرونيا قبلة الوداع دون أن تذكر أي منهما الرسالة مرة أخرى. ولوحت لهما سعيدة وهما يسيران في الدرب بين شجيرات الكوبية وأغلقت الباب الأمامي خلفهما متنفسة الصعداء، وقالت «شكرًا لك يا ويف! أيتها الكلبة الذكية!» واستندت إلى الباب الأمامي وأخذت تفتح رسالة الملك، وهي تقول لنفسها وترتجف حماسًا: رغم أني أعرف سلفًا أنه سيقول لا. لو كان الأمر لي لقلت لا!

وقبل أن تفتح نصف الظرف، فتح پيتر الباب الآخر، وقال «هل ذهبتا؟ أخيرًا؟ أحتاج إلى مساعدتك. لقد هاجمني كوبولد غاضبون».

الفصل السادس
ويدور حول اللون الأزرق

تنهدت شارمين ودست رسالة الملك في جيبها. لم ترغب في أن تُطلِع پيتر على فحواها، أيًّا كان، وقالت «لماذا؟ لماذا هم غاضبون؟»

«تعالي وانظري»، قال پيتر. «يبدو الأمر كله سخيفًا في نظري. أخبرتهم بأنك المسؤولة وأن عليهم الانتظار حتى تنتهي من مجاملة هاتين الساحرتين».

«ساحرتان! إحداهما تكون أمي!» قالت شارمين.

قال پيتر «أمي ساحرة. وليس عليك إلا النظر إلى المتعجرفة التي تلبس الحرير لتعرفي أنها ساحرة. تعالي معي».

وفتح الباب وأمسكه لتمر شارمين فدخلت وهي تفكر في أن پيتر محق على الأرجح في أمر الخالة سمپرونيا. لم يذكر أحد في بيت آل بيكر المحترم شيئًا عن صنعة السحر، لكن شارمين ظنت لسنوات أن الخالة سمپرونيا ساحرة، دون أن تذكر الأمر لنفسها صراحة.

ونسيت أمر الخالة سمپرونيا عندما دخلت المطبخ. فقد امتلأ بالكوبولد، وهم رجال زرق صغار ذوو أنوف كبيرة مختلفة الأشكال يقفون في أي مكان على الأرض لم يزدحم بصحون الكلاب أو الشاي المُراق. ووقفوا على الطاولة بين الأباريق وفي حوض المغسلة متأرجحين على الصحون الوسخة. كما كانت هناك نساء زرقاوات أيضًا، تجثم معظمهن على أكياس الثياب الوسخة. تميزت النساء بأنوفهن الأصغر حجمًا والألطف، وبتنانيرهن الزُّرق المكشكشة الأنيقة نوعًا ما. أريد تنورة كهذه، تكون أكبر طبعًا قالت شارمين لنفسها. كان هناك الكثير منهم واحتاجت شارمين دقيقة لتلاحظ أن الفقاعات من الموقد اختفت تقريبًا.

رفع الكوبولد أصواتًا حادة لدى دخول شارمين. «يبدو أن القبيلة بكاملها عندنا»، قال پيتر.

رأت شارمين أنه محق على الأرجح. «حسن جدًا»، قالت فوق أصوات الصراخ. «أنا هنا، فما الخطب؟»

كان الجواب عاصفة من الصراخ جعلت شارمين تغطي أذنيها بيديها.

«هذا يكفي!»، صاحت عليهم. «كيف لي أن أفهم كلمة مما تقولون إن كنتم تصرخون كلكم في وقت واحد؟» ثم ميزت الكوبولد الذي ظهر في غرفة الجلوس، واقفًا على كرسي ومعه ستة آخرون على الأقل. كان لأنفه شكل لا يُنسى. «أخبرني أنت. أخبرني ثانية ما اسمك؟»

فانحنى انحناءة احترام صغيرة. «تمنز هو اسمي. وأعرف أنك تشارمنغ بيكر [فاتنة] وأنت الناطقة باسم الساحر. هل أنا مصيب؟»

«نوعًا ما»، قالت شارمين. لم ترَ فائدة تُرجى من جداله في اسمها، ثم إنها أعجبها قليلًا أن تدعى تشارمنغ. «أخبرتك أن الساحر مريض، ولقد ذهب لتلقي العلاج».

«هذا ما قلته»، رد تمنز. «أأنت واثقة بأنه لم يهرب؟»

بعث هذا هرجًا ومرجًا من كل أنحاء المطبخ فتوجب على شارمين أن تصرخ ثانية لتُسمع. «اهدؤوا! لم يهرب قطعًا، فقد كنت هنا حين ذهب. لقد كان معتل الصحة واضطر العفاريت إلى حمله. ولولا أن أخذه العفاريت لمات».

في شبه الصمت الذي تبع هذا، قال تمنز حاذقًا «ما دمت تقولين هذا فنحن نصدقك حتمًا. نزاعنا مع الساحر، ولكن ربما استطعت تسويته. وأقول لك إن النزاع لا يعجبنا، فهو ليس بالأمر اللائق».

«ما الأمر؟»، سألت شارمين.

عصر تمنز عينيه وحملق من فوق أنفه. «يجب ألا تضحكي. لقد ضحك الساحر عندما شكوت إليه».

«أعدك بألا أضحك»، قالت شارمين. «فما الأمر إذن؟»

«كنا غاضبين جدًا»، قال تمنز. «رفضت سيداتنا غسيل صحونه وانتزعنا صنابيره كي لا يتمكن من غسلها بنفسه، ولكن كل ما فعله أن ابتسم، وقال إنه لا يقوى على الجدال...»

«حسن، لقد كان عليلًا»، قالت شارمين. «تعرف هذا الآن. فما الأمر إذن؟»

«حديقته»، قال تمنز. «جاءت الشكوى من رولو أولًا، لكني جئت لإلقاء نظرة وكان رولو محقًا تمامًا. زرع الساحر شجيرات ذوات زهور زُرق، وهو اللون المناسب والمعقول للزهور، ولكن بسحره جعل نصف الشجيرات نفسها زهرية، وبعضها خُضرًا أو بِيضًا، وهذا مقزز وخطأ».

هنا لم يتمالك پيتر نفسه. «لكن أشجار الكوبية هكذا!»، اندفع بقوله. «شرحت الأمر لك! سيخبرك أي بستاني بهذا. إذا لم تضع مسحوق الزرقة تحت الشجيرة كلها، فستنبت بعض الزهور وردية. رولو بستاني، لا بد أنه يعرف هذا».

نظرت شارمين إلى أرجاء المطبخ المزدحم لكنها لم ترَ رولو في أي مكان بين حشود الزرق، فقالت شارمين «لعله أخبرك، لا لشيء سوى أنه يحب قطع الأشياء. أراهن أنه واصل سؤال الساحر إن كان يستطيع قطع الشجيرات والساحر رفض. لقد سألني ليلة البارحة...»

عندها برز رولو من جانب صحن كلاب قريبًا من قدمي شارمين. وعرفته غالبًا بسبب صوته الصغير الأجش عندما صاح «وقد سألتها حقًا! وهي تجلس في الدرب، ونزلت قبل قليل من السماء، هادئة كما يحلو لها، وتقول لي لا أريد إلا أن أستمتع. سيئة بقدر الساحر، هي كذلك!»

حملقت شارمين إليه وقالت «لستَ إلا شريرًا مخربًا صغيرًا. ما تفعله يثير المتاعب لأنك لم تحصل على ما تريد!»

فمد رولو ذراعًا. «أتسمعونها؟ أتسمعون هذا؟ مَنِ المخطئ هنا، أنا أم هي؟» وعلا صخب حاد رهيب من كل أنحاء المطبخ. فصرخ تمنز طلبًا للصمت، وبعد أن تحول الصخب إلى همس قال لشارمين «هل ستعطين الإذن بقطع تلك الشجيرات المخزية؟»

«لا، لن أفعل»، أخبرته شارمين. «إنها شجيرات العم الكبير وليم ويفترض بي الاعتناء بكل أشيائه من أجله. ورولو يثير المتاعب فحسب».

قال تمنز عاصرًا نظراته إليها «أهذا قولك الأخير؟»

قالت شارمين «نعم، إنه كذلك».

قال تمنز «إذن أنت وشأنك. لن ينجز لك أي كوبولد عملًا من الآن فصاعدًا».

وذهبوا جميعًا. هكذا، اختفى الجمع الأزرق من بين أباريق الشاي وصحون الكلاب والآنية الفخارية الوسخة، تاركين ريحًا صغيرة تحرك آخر الفقاعات القليلة والنار تشتعل متوهجة في الموقد.

«كان هذا غباء منك»، قال بيتر.

«ماذا تعني؟»، سألت شارمين بازدراء. «أنت الذي قلت إن الشجيرات يجب أن تكون هكذا. وها أنت ترى أن رولو حرضهم

عامدًا. لم أستطع السماح بأن يعود العم الكبير وليم إلى البيت ليجد حديقته قطعت كل أشجارها، صحيح؟»

«نعم، ولكن كان عليك أن تكوني أكثر دهاء»، أصر پيتر. «انتظرت أن تقولي إننا سنضع تعويذة للزرقة تلون كل الزهور بالأزرق أو شيئًا من هذا القبيل».

«نعم، ولكن رولو لم يزل يريد قطعها كلها»، قالت شارمين. «قال لي إني هادمة اللذات البارحة لأني لم أسمح له بذلك».

قال پيتر «كان عليك أن تكشفي لهم أمره، بدلًا من إغضابهم أكثر».

«لكني لم أضحك عليهم كما فعل العم الكبير وليم»، ردت شارمين. «هو الذي أغضبهم، ولست أنا!»

«وانظري إلى أين أوصله هذا!»، قال پيتر. «لقد نزعوا صنابيره وتركوا كل صحونه وسخة. وعلينا الآن أن نغسلها من غير ماء ساخن في الحمام».

ارتمت شارمين على الكرسي وبدأت مرة أخرى بفتح رسالة الملك. «ولماذا يجب علينا ذلك؟»، قالت. «ليس عندي أدنى فكرة عن غسل الصحون على أي حال».

ارتاع پيتر. «لا تعرفين؟ ولماذا؟»

فتحت شارمين الظرف وأخرجت الورقة المطوية المُنشَّاة الكبيرة الجميلة. «ربتني أمي لأكون لائقة»، قالت. «لم تسمح لي بالاقتراب من حجرة غسيل الأطباق أو المطبخ».

«لا أصدق هذا»، قال پيتر. «ولماذا يكون لائقًا ألا تحسني القيام بالأعمال؟ ألائق أن تشعلي نارًا بلوح صابون؟»

قالت شارمين متبجحة، «ذلك كان حادثًا. اهدأ من فضلك ودعني أقرأ رسالتي»، ورفعت نظارتها على أنفها وفتحت الورقة المنشاة.

عزيزتي السيدة بيكر، قرأت.

«حسن، سأذهب وأحاول»، قال پيتر. «واللعنة عليَّ إن قبلت أن يتنمر عليَّ جمع من الناس الزرق الصغار. وأرى أن فيك من الغرور ما يكفي لتساعديني في فعل ذلك».

«اخرس»، قالت شارمين وركزت في رسالتها.

عزيزتي السيدة بيكر

كان كرمًا منك أن تعرضي علينا مساعدتك. في الأساليب المتبعة، كنا سنرى مساعدة ابنتنا الأميرة هلدا كافية لحاجتنا، غير أن ما حدث أن الأميرة تنتظر استقبال زوار ذوي شأن وهي ملزمة بترك عملها في المكتبة طوال مدة الزيارة. ولذا فإننا سنقبل شاكرين عرضك الكريم، لمدة مؤقتة. فإن تكرمت بالمثول في القصر الملكي صباح الأربعاء المقبل، في نحو الساعة العاشرة والنصف، فسيسعدنا استقبالك في مكتبتنا وإرشادك في عملنا.

المضطر والشاكر

أدولفوس ركس نورلندي ألتي

خفق قلب شارمين وخبط وهي تقرأ الرسالة، ولم تدرك أن الأمر المذهل البعيد الاحتمال غير المعقول قد حدث حتى بلغت نهاية الرسالة: وافق الملك على السماح لها بمساعدته في المكتبة الملكية! انهمرت الدموع من عينيها، ولم تعرف السبب، واضطرت إلى خلع نظارتها. قرع قلبها فرحًا، ثم خوفًا. هل اليوم هو الأربعاء؟ هل فوّتت فرصتها؟

كانت تسمع، دونما انتباه، خبط پيتر بالقدور وركل صحون الكلاب جانبًا وهو يسير نحو الباب الداخلي. وها قد سمعته الآن يعود.

«أي يوم من الأيام هو اليوم؟»، سألته.

وضع پيتر قدرًا كبيرة يحملها لتهسهس على النار. «سأخبرك إن أخبرتني أين يحتفظ بصابونه»، قال.

«تبًا لك!»، قالت شارمين. «إنه في حجرة المؤن في كيس مكتوب عليه شيء مثل كانينيتز[1]. والآن هذا أي يوم؟»

«مناشف»، قال پيتر. «أخبريني أين المناشف أولًا. أعرفت أن في حجرة المؤن سلتين جديدتين من الثياب الوسخة؟»

«لا أعرف أين المناشف»، قالت شارمين. «هذا أي يوم؟»

---

(١) تقصد شارمين الكيس الذي رأته في حجرة المؤن وهو مليء بالصابون المبشور، لكن ما كتب عليه سيبيس كانينيكوس (أي طعام الكلاب)، ولا بد أن العم الكبير وليم استخدمه لتعبئة الصابون المبشور!

«المناشف أولًا»، قال بيتر. «إنه لا يجيبني عندما أسأل».

«لم يعرف أنك قادم»، قالت شارمين. «أهو الأربعاء؟»

«لا أدري لماذا لم يعرف»، قال بيتر. «لقد وصلته رسالتي. اسألي عن المناشف».

تنهدت شارمين وقالت «أيها العم الكبير وليم، يريد هذا الغبي أن يعرف أين المناشف من فضلك».

أجاب الصوت الحنون «أتعرفين يا عزيزتي أني كدت أنسى المناشف. إنها في جارور الطاولة».

«إنه يوم الثلاثاء»، قال بيتر، دافعًا الجارور وساحبًا إياه ليفتحه وكاد يصيب بطن شارمين. قال وهو يخرج لفافات من ورق التنشيف ومناشف الصحون «أعرف أنه يجب أن يكون الثلاثاء، لأني انطلقت من البيت يوم السبت، واستغرق وصولي إلى هنا ثلاثة أيام. سعيدة؟»

«شكرًا لك»، قالت شارمين. «هذا لطف منك. أخشى أن عليَّ الذهاب إلى المدينة غدًا. قد أغيب طوال النهار».

«ألست محظوظة لوجودي هنا لأعتني بالبيت من أجلك؟»، قال بيتر. «وإلى أين تهرعين؟»

«الملك»، قالت شارمين، بزهو كبير «طلب مني أن أذهب وأساعده. اقرأ هذه، إن لم تصدقني».

أخذ بيتر الرسالة وقرأها. «فهمت»، قال. «لقد رتبت أمرك لتكوني في مكانين في وقت واحد. يمكنك أن تساعديني كثيرًا في غسيل هذه الصحون الآن ما دام الماء ساخنًا».

«لماذا؟ لم أوسخها»، قالت شارمين. ودسَّت الرسالة في جيبها ووقفت. «سأخرج إلى الحديقة».

«ولا أنا وسختها»، قال بيتر. «وعمك هو الذي أغضب الكوبولد».

اكتفت شارمين بالمرور من جانبه ناحية غرفة الجلوس.

«لا تتمتعين بشيء من اللياقة»، قال بيتر. «كل ما في الأمر أنك كسولة».

لم تكترث شارمين وتقدمت نحو الباب الأمامي. تبعتها ويف، تقفز متوسلة حول كاحليها، لكن شارمين كانت غاضبة جدًا من بيتر فلم تهتم لويف، وقالت «دائم الانتقاد! لم يتوقف عن انتقادي مرة منذ قدومه إلى هنا. كأنه هو الكامل!»، قالت وهي تفتح الباب الأمامي.

فحبست أنفاسها. كان الكوبولد مشغولين. مشغولين جدًا، وسريعين جدًا. صحيح أنهم لم يقطعوا الشجيرات لأنها أخبرتهم بألا يفعلوا، لكنهم قطعوا كل زهرة وردية ومعظم الزهور البنفسجية أو البِيض. وتناثرت على الدرب الأمامي مظلات من زهور الكوبية الزهرية والليلكية ورأت مزيدًا منها واقعة بين الشجيرات. صرخت شارمين صرخة غضب واندفعت إلى الأمام لجمعها.

«كسولة، صحيح؟»، غمغمت وهي تجمع رؤوس الكوبية في تنورتها. «أوه، يا لعمي الكبير وليم المسكين! يا لها من فوضى. لقد أحبها بكل الألوان. آه من هؤلاء المتوحشين الزرق الصغار!»

وذهبت لتفرغ الزهور من تنورتها على الطاولة خارج نافذة المكتبة ووجدت سلة عند الحائط هناك. فأخذتها معها بين الشجيرات. وبينما غرفت شارمين رؤوس الكوبية المنتزعة بما يملأ السلة، تهادت ويف ونخرت حولها. وضحكت شارمين بلؤم عندما وجدت أن الكوبولد لم يعرفوا دائمًا أي الزهور زرقاء على وجه اليقين، فقد تركوا معظم الزهور المائلة إلى الخضرة وبعضًا من التي لها لون الخزامى، ورأت شجيرة لا بد أنهم واجهوا صعوبة حقيقية عندها، فكل زهرة على كل واحدة من سحاباتها كانت زهرية في الوسط وزرقاء في الأطراف. ونظرًا إلى أعداد آثار الأقدام حول هذه الشجيرة، فقد عقدوا اجتماعًا حولها. في النهاية، قطعوا نصف زهور الشجيرة وتركوا الباقي.

«أترون؟ الأمر ليس سهلًا»، قالت شارمين بصوت عالٍ، ليسمع أي كوبولد في الأنحاء. «والأمر في حقيقته تخريب متعمد وأرجو أنكم تشعرون بالخجل». وحملت سلتها الأخيرة عائدة إلى الطاولة وهي تردد «تخريب. سلوك سيئ. وحوش صغيرة»، وترجو أن يكون رولو في مكان ما يسمع.

كان لبعض الرؤوس الكبيرة سيقان طويلة، فجمعتها شارمين في طاقة كبيرة لونها زهري وبنفسجي وأبيض مائل إلى الخضرة،

ونشرت الباقي على الطاولة لتجففها في الشمس. تذكرت أنها قرأت في مكان ما أن تجفيف الكوبية ممكن وأنها تحتفظ بلونها وتكون زينة جميلة في الشتاء. وخطر لها أن العم الكبير وليم سيحبها.

«أترى أن الجلوس والقراءة الكثيرة مفيدة!»، أعلنت للهواء. في ذلك الوقت، رغم معرفتها بأنها تحاول إيجاد عذرٍ لنفسها أمام العالم -إن لم يكن أمام پيتر- لأنها أعجبت بنفسها أيما إعجاب لتلقِّيها رسالة من الملك. «أوه، طيب»، قالت. «تعالي يا ويف».

لحقت ويف بشارمين إلى البيت، لكنها ابتعدت عن باب المطبخ متعثرة. ورأت شارمين السبب عندما دخلت إلى المطبخ ونظر پيتر من فوق قدره التي يتصاعد منها البخار. لقد وجد مئزرًا في مكان ما ورصّ كل الآنية الفخارية في أكداس مرتبة على الأرض. ونظر إلى شارمين نظرة ألم صادق. «مهذبة جدًا»، قال. «أسألك أن تساعديني في الغسيل فتقطفي الزهور!»

«ليس تمامًا»، قالت شارمين. «لقد قطع الكوبولد اللعينون كل الزهور الوردية».

«حقًا؟»، قال پيتر. «هذا سيئ جدًا! سيستاء عمك عند عودته، صحيح؟ يمكنك وضع زهور في ذلك الطبق الذي فيه بيض».

نظرت شارمين إلى طبق الفطيرة المليء بالبيض بجانب كيس كبير من الصابون المبشور بين الأباريق على الطاولة. «وأين نضع البيض إذن؟ لحظة». وذهبت إلى الحمام ووضعت الكوبية في حوض

الغسيل. كان رطبًا يقطر على نحو سيئ، لكنها فضلت ألا تفكر في ذلك. وعادت إلى المطبخ وقالت «سأغذي شجيرات الكوبية بإفراغ أباريق الشاي عليها».

«محاولة جيدة. سيستغرق ذلك منك ساعات عديدة. أتظنين أن هذا الماء ساخن؟»

«يتصاعد منه البخار فقط»، قالت شارمين. «أظنه يجب أن يغلي. ولن يستغرق الأمر مني ساعات. انظر». وانتقت قدرين كبيرتين وأخذت تفرغ أباريق الشاي فيها. كانت تقول «للكسل بعض الفوائد، كما تعلم»، فأدركت أن الإبريق اختفى أنها حالما أفرغته وأعادته إلى الطاولة.

«اتركينا وشأننا»، قال پيتر قلقًا. «أود تناول شراب ساخن».

فكرت شارمين في هذا ووضعت الإبريق الأخير على الكرسي حذرة، فاختفى أيضًا.

«أوه يا سلام»، قال پيتر.

ولما بدا جليًا أنه يحاول ألا يكون ودودًا، قالت شارمين «يمكننا الحصول على شاي العصرية في غرفة الجلوس بعد أن أفرغ هاتين. وقد جلبت أمي حقيبة أخرى من الطعام عندما أتت».

ابتهج پيتر ابتهاجًا واضحًا. «يمكننا تناول طعام لائق عندما ننتهي من الغسيل»، قال. «سننجز هذا أولًا مهما قلت».

وأرضخ شارمين للأمر رغم اعتراضها. حين دخلت عائدة من

الحديقة، جاء بيتر وأخذ الكتاب من يديها وأعطاها منشفة تربطها حول خصرها. ثم أخذها إلى المطبخ، حيث بدأت العملية الغامضة الفظيعة. ودفع بيتر بمنشفة أخرى إلى يدها. «أنت تمسحين وأنا أغسل»، قال رافعًا القدر التي يتصاعد منها البخار عن النار وساكبًا نصف الماء الساخن على الصابون المبشور المتناثر في حوض المغسلة. ثم ملأ دلوًا من الماء البارد من المضخة وصب نصفها في حوض المغسلة أيضًا.

«لماذا تفعل هذا؟»، سألت شارمين.

«لئلا أحترق»، أجاب بيتر، مغرقًا السكاكين والشوك في مزيجه وألحق هذه بكومة من الصحون. «ألا تعرفين أي شيء؟»

«نعم»، قالت شارمين. وخطر لها مستاءة أن أيًا من الكتب الكثيرة التي قرأتها لم يذكر شيئًا عن غسل الصحون، فضلًا عن شرحه لذلك. راقبت بيتر وهو يستخدم الخرقة بنشاط ليزيل العشاء القديم عن الصحن المزخرف، فخرج الصحن من الرغوة لامعًا ونظيفًا. أعجبت شارمين بالعملية الآن وكادت تصدق أن هذا سحر. وراقبت بيتر يغمس الصحن في دلو أخرى ليشطفه، ثم ناولها إياه. «وماذا أفعل بهذا؟»، سألت.

«امسحيه ليجف طبعًا»، قال. «ثم ضعيه على الطاولة».

جربت شارمين. واستغرق الأمر الفظيع دهورًا. لم تمتص منشفة التجفيف الماء وظل الصحن ينزلق من بين يديها. وكانت أبطأ بكثير

في التجفيف من بيتر في الغسيل، وسرعان ما كوّم بيتر الصحون التي يسيل منها الماء بجانب المغسلة وأخذ ينفد صبره. طبعًا في تلك اللحظة انزلق أجمل الصحون المزخرفة من يدي شارمين تمامًا ووقع على الأرض، وانكسر بخلاف أباريق الشاي.

«أوه»، قالت شارمين تنظر أرضًا إلى الكسر. «كيف تلصقها؟»

أدار بيتر عينيه إلى السقف، وقال «لا نلصقها. احرصي ألا توقعي صحنًا آخر». وجمع كسر الصحن ورماها في دلو أخرى. «سأنشف أنا الآن. جربي يدك في الغسيل، وإلا استغرقنا النهار كله». وصرف الماء المائل إلى البُنِّي من حوض المغسلة، وجمع السكاكين والشوك والملاعق منه، ورماها في دلو الشطف. ودهشت شارمين لما رأتها كلها نظيفة ولامعة الآن.

وهي تراقب بيتر يملأ الحوض بالصابون والماء الساخن مرة أخرى، رأت حانقة ومتعقلة في الوقت نفسه أن بيتر اختار الجزء السهل من العمل.

ووجدت أنها مخطئة، إذ لم تجده سهلًا. فقد قضت دهورًا بطيئة في كل قطعة من الآنية الفخارية، وتبللت ثيابها من الأمام أثناء ذلك. وظل بيتر يعيد إليها صحونًا وفناجين وأطباق فناجين وأكوابًا، ويقول إنها ما زالت متسخة. ولم يسمح لها أن تغسل صحون الكلاب الكثيرة حتى تنتهي أواني بني البشر. رأت شارمين في هذا سلوكًا سيئًا، فقد لعقت ويف كل واحد منها ونظفته وأيقنت شارمين أنها ستكون أسهل في الغسل من أي شيء آخر. وإضافة

إلى هذا ذعرت لما رأت يديها تخرجان من الرغوة حمراوين تغطيهما تجاعيد غريبة.

«لا بد أنني مريضة!»، قالت. «أصبت بمرض جلدي فظيع!»

كانت غاضبة مستاءة حين ضحك پيتر عليها.

لكن العمل الشنيع أُنجز أخيرًا. شارمين، التي ابتلت ثيابها من الأمام وتجعدت يداها، ذهبت عابسة إلى غرفة الجلوس لتقرأ العصا السحرية ذات الأغصان الاثني عشر عند الضوء المائل للشمس الغاربة، تاركة لـپيتر أمر صفّ الأواني النظيفة في حجرة المؤن. في تلك اللحظة شعرت بأنها ستجن إذا لم تجلس وتقرأ قليلاً، وقالت في نفسها لم أكد أقرأ كلمة طوال النهار.

قاطعها پيتر سريعًا بدخوله حاملًا زهرية وجدها وملأها بزهور الكوبية، ووضعها أمامها على الطاولة. «أين الطعام الذي جلبته أمك كما قلت؟»، قال.

«ماذا؟»، قالت شارمين ناظرة إليه من بين أوراق الزهور.

«قلت الطعام»، قال لها پيتر.

وأيدته ويف بأن استندت إلى ساقي شارمين وتأوهت.

«أوه»، قالت شارمين. «نعم. الطعام. يمكنك أن تحصل على بعضه إن وعدتني ألا توسخ طبقًا واحدًا وأنت تأكل».

«لا بأس بهذا»، قال پيتر. «أنا أتضور جوعًا وقد ألعق السجادة».

فتوقفت شارمين عن القراءة على مضض وجرّت حقيبة الطعام من خلف الكرسي ذي المسندين، وأكل ثلاثتهم عددًا كبيرًا من فطائر السيد بيكر الشهية، متبوعة بشاي العصرية من العربة مرتين. أثناء تناول هذه الوجبة الهائلة، وضعت شارمين زهرية الكوبية على العربة لتبعدها جانبًا. وعندما نظرت إليها بعدئذ، وجدتها اختفت.

«أتساءل أين ذهبت؟»، قال پيتر.

«اجلس على العربة واكتشف ذلك»، اقترحت عليه شارمين.

لكن پيتر لم يرغب في الذهاب إلى هذا الحد، فخاب أمل شارمين. وأثناء تناولها الطعام، فكرت في سبل تقنع بها پيتر بالرحيل، بالعودة إلى مُنتالبينو. وليس ذلك لأنها كرهته كل الكره، بل لأنه أزعجها أن تقاسمه البيت. وعرفت متيقنة، كأن پيتر قد أخبرها بذلك، أن الأمر التالي الذي سيجعلها تفعله هو إفراغ أكياس الثياب الوسخة وغسيلها أيضًا، وارتجفت عند التفكير في مزيد من الغسيل.

وقالت في نفسها أنا لن أكون هنا غدًا على الأقل، فلا يمكنه إجباري على غسلها.

وفجأة أصابها توتر فظيع لأنها ذاهبة لرؤية الملك. لقد كانت مجنونة لكتابتها إليه، وعليها الآن الذهاب لرؤيته، وعندئذ لم تعد تشعر برغبة في الأكل، ورفعت نظرها عن كعكتها الكريمية الأخيرة ووجدت الظلام مخيمًا في الخارج. واشتعلت الأضواء السحرية في الداخل، مالئة الغرفة بما بدا ضوء شمس ذهبيًّا، لكن النوافذ سوداء.

«سأخلد إلى الفراش»، قالت. «لديَّ يوم طويل غدًا».

«لو كان لملكك أي عقل»، قال پيتر، «لطرَدكِ آنَ يراكِ. ثم تعودين هنا وتغسلي الثياب».

لم ترد عليه شارمين لأنها خشيت هذين الأمرين، واكتفت بحمل مذكرات طارد أرواح لتقرأ قراءة خفيفة، وسارت إلى الباب تتجه يسارًا حيث تقع غرف النوم.

الفصل السابع

وفيه يصل عدد من الأشخاص إلى القصر الملكي

قضت شارمين ليلة قلقة، ويعود جزء من هذا قطعًا إلى مذكرات طارد أرواح، الذي اتضح أن مؤلفه شُغل بكثير من المطاردات وغريبي الأطوار، وصفها كلها بأسلوب واقعي لم يترك مكانًا للشك في قلب شارمين بأن الأشباح حقيقية تمامًا وكريهة جدًا غالبًا. وقضت شطرًا كبيرًا من الليل ترتجف أوصالها وتتمنى أنها عرفت كيف تشعل المصباح.

وتسببت ويف في جزء من القلق، وقد أصرت على أن لها الحق في النوم على وسادة شارمين.

لكن معظم القلق عائد إلى التوتر، بوضوح وبساطة، وإلى عجز شارمين عن معرفة الوقت. فقد واصلت الاستيقاظ! وهي تقول أحسب أني أفرطت في النوم! فاستيقظت في الفجر الرمادي، تسمع تغريد العصافير في مكان ما، وعزمت على النهوض عندها، لكنها بصورة ما غطت في النوم ثانية، وعندما استيقظت لاحقًا وجدت أنه وضح النهار.



«النجدة!»، قالت ورمت عنها الأغطية، ورمت معها ويف بطريق الخطأ إلى الأرض أيضًا، وتعثرت في الغرفة لتجد ثيابًا جميلة وضعتها لهذا خصوصًا. وحين سحبت أجمل تنورة خضراء عندها، خطر لها أخيرًا أن تفعل الأمر الصائب. فنادت «أيها العم الكبير وليم، كيف أعرف الوقت؟»

«انقري على معصمك الأيسر فحسب»، أجابها الصوت الحنون، «وقولي «الساعة» يا عزيزتي». وفوجئت شارمين بأن الصوت أكثر خفوتًا وضعفًا مما كان عليه، ورجت أن يكون سبب هذا زوال الرقية، لا لأن العم الكبير وليم يزداد ضعفًا أينما كان.

«الساعة؟»، قالت وهي تنقر.

وانتظرت ظهور صوت، أو ساعة ربما. فالناس في هاي نورلند يبالغون في شأن الساعات، ففي بيتها سبع عشرة ساعة، منها واحدة في الحمام. وقد دهشت دهشة غامضة بأن العم الكبير وليم لا يملك ساعة الوقواق في مكان ما، ثم أدركت السبب وراء هذا حين عرفت الساعة. كانت الساعة الثامنة. «وسيستغرق سيري إلى هناك ساعة!»، قالت حابسة أنفاسها، وهي تدخل ذراعيها في أجمل بلوزة حريرية وهي تجري نحو الحمام.

زاد توترها أكثر من ذي قبل وهي تسرح شعرها هناك. فصورتها [في المرآة] -والماء يسيل عليها لسبب ما- بدت يافعة جدًا وشعرها في جديلة واحدة حمراء على كتفها. سيعرف أني لست إلا تلميذة مدرسة، قالت في نفسها. ولكن ليس عندها الوقت للتفكير

في هذا، إذ انطلقت شارمين مسرعة خارجة من الحمام وعائدة من الباب نفسه يسارًا ودخلت إلى المطبخ الدافئ المرتب.

كان قرب حوض المغسلة خمس سلال من الثياب الوسخة، لكن شارمين ليس عندها الوقت لتشغل نفسها بهذا. ركضت ويف نحوها، تعوي عواء يثير الشفقة، وركضت عائدة إلى المدفأة، إذ لم تزل النار مشتعلة مبهجة. كانت شارمين توشك على نقر المدفأة لتطلب الإفطار، عندما رأت مشكلة ويف. كانت ويف صغيرة جدًا فلا تستطيع أن تنقر بذيلها على المدفأة. فنقرت شارمين وقالت «طعام الكلاب من فضلك»، قبل أن تطلب الإفطار لنفسها.

جلست شارمين إلى الطاولة الفارغة تستعجل في تناول إفطارها، أما ويف فقد لعقت طعام الكلاب قرب قدميها، وأقرت شارمين على مضض بأن المطبخ النظيف والمرتب أجمل بكثير. أحسب أن لـپيتر فوائده، قالت في نفسها وهي تسكب لنفسها آخر فنجان من القهوة. لكنها شعرت حينها بوجوب نقر معصمها ثانية، وعرفت أن الساعة الآن التاسعة إلا ست دقائق فقفزت في هلع.

«كيف استغرقت هذا الوقت الطويل؟»، قالت بصوت عالٍ، وركضت عائدة إلى غرفتها لتجلب سترتها الأنيقة.

ربما لأنها لبست السترة أثناء جريها، اتجهت الاتجاه الخاطئ ووجدت نفسها في مكان غريب. كانت غرفة طويلة ضيقة مليئة بالأنابيب الممتدة في كل أنحائها، وفي وسطها مرجل كبير يرشح، يغطيه طلاء أزرق غامض.

«أوه، تبًا!»، قالت شارمين وعادت أدراجها من الباب.

فوجدت نفسها في المطبخ.

«لكني أعرف الطريق من هنا»، قالت وهي تقطعه نحو غرفة الجلوس وتركض إلى الباب الأمامي. في الخارج كادت تدوس على وعاء الحليب الذي لا بد أنه مخصص لرولو. «ولا يستحقه!»، قالت، وهي تغلق الباب الأمامي صافقة إياه.

ركضت إلى آخر الدرب الأمامي، بين شجيرات الكوبية المقطوعة الرؤوس، وخرجت من البوابة التي انغلقت خلفها بخبطة. ثم استطاعت أن تبطئ، لأن محاولتها جري الأميال الكثيرة إلى القصر الملكي مهما كانت أمر سخيف، لكنها سارت الطريق بمشي سريع حقًا، ووصلت إلى المنعطف الأول عندما خبطت بوابة الحديقة ثانية خلفها. فدارت شارمين. كانت ويف تركض خلفها، تعدو بأقصى ما مكنتها قوائمها الصغيرة. تنهدت شارمين وعادت نحوها، فوثبت ويف مرحًا وزعقت زعيق سرور صغير لما رأت شارمين قادمة.

«لا يا ويف»، قالت شارمين. «لا يمكنك المجيء. عودي إلى البيت». وأشارت حازمة ناحية بيت العم الكبير وليم. «إلى البيت!»

خفضت ويف أذنيها وجلست وتوسلت.

«لا!»، أمرتها شارمين وهي تشير ثانية. «عودي إلى البيت!»

انهارت ويف على الأرض وغدت كومة بيضاء بائسة، ولا شيء سوى طرف ذيلها يهتز.

«أوه صدقًا!»، قالت شارمين. ولما بدت ويف مصرة على ألا تتزحزح من وسط الطريق، اضطرت شارمين إلى حملها والإسراع بالعودة إلى بيت العم الكبير وليم. «لا أستطيع أخذك معي»، أوضحت وهي منقطعة الأنفاس في سيرهما. «يجب أن أقابل الملك، والناس لا يصطحبون الكلاب إلى لقاء الملك». فتحت البوابة الأمامية لمنزل العم الكبير وليم ورمت ويف على درب الحديقة. «هيا. ابقي مكانك الآن!»

وأغلقت البوابة الأمامية على وجه ويف المؤنِّب وسارت في الدرب ثانية. ونقرت على معصمها أثناء مشيها قلقة وقالت «الساعة؟» لكنها كانت خارج حدود أراضي العم الكبير وليم والرقية لا تعمل. وكل ما عرفته شارمين أن الوقت يتأخر، فانطلقت تعدو.

خلفها خبطت البوابة ثانية، فنظرت شارمين إلى الوراء لترى ويف تركض وراءها ثانية.

تذمرت شارمين، ودارت وركضت للقاء ويف، فحملتها ورمتها داخل البوابة. «كوني كلبة مطيعة وابقي مكانك!»، قالت تلهث وقد انطلقت مسرعة مرة أخرى.

خبطت البوابة وراءها مرة أخرى، وجاءت ويف تعدو خلفها. «سأجن!»، قالت شارمين. وعادت أدراجها وألقت بويف داخل البوابة للمرة الثالثة. «ابقي هنا أيتها الكلبة الصغيرة السخيفة!»، وانطلقت هذه المرة إلى المدينة جريًا.

وراءها، خبطت البوابة مرة أخرى وطقطقت أقدام صغيرة في الطريق.

دارت شارمين وركضت عائدة إلى ويف صائحة «أوه، عليك اللعنة يا ويف! سأتأخر!» فحملت ويف هذه المرة وركضت بها نحو المدينة تلهث. «حسن. لقد فزت. سيتوجب عليَّ أخذك لأني سأتأخر إن لم أفعل، لكنني لا أريدك يا ويف! أتفهمين؟»

كانت ويف مسرورة، وتلوت نحو الأعلى ولعقت ذقن شارمين.

«كلا، توقفي عن هذا»، قالت شارمين. «أنا لست مسرورة. أكرهك. أنت مزعجة. اجلسي هادئة وإلا رميتك».

وهدأت ويف بين ذراعي شارمين مطلقة زفرة ارتياح.

«غرررر!»، قالت شارمين وهي تسرع في سيرها.

وعندما دارت شارمين حول النتوء الضخم للجرف، عزمت على أن تنظر إلى الأعلى لتتأكد أن اللوبوك لم يأتِ قافزًا إليها من المرج، لكنها كانت في عجلة من أمرها فنسيت تمامًا أمر اللوبوك وهرولت ماضية في طريقها. ودهشت أيما دهشة عندما رأت المدينة أمامها حين استدارت عندَ المنعطف. لم تتذكر أنها قريبة جدًا. كان فيها بيوت وأبراج وردية تتلألأ في شمس الصباح على بعد مرمى حجر. أظن مُهر الخالة سمپرونيا أطال الرحلة، قالت شارمين في نفسها وهي تمشي بين أول البيوت.

غاص الطريق عبر النهر وأصبح شارع مدينة قذرًا. وتذكرت

شارمين أن هذا الطرف من المدينة فظ وكريه فواصلت سيرها بسرعة وتوتر. ورغم أن معظم من مرت بهم من الناس فقراء، فإنَّ أحدًا منهم لم ينتبه إلى شارمين تحديدًا، وإن فعلوا، فقد لاحظوا ويف تطل متحمسة من بين ذراعي شارمين. «كلب صغير جميل»، علَّقت امرأة تحمل خيوطًا من البصل إلى السوق حين مرت بها شارمين.

«وحش صغير جميل»، قالت شارمين. فتعجبت المرأة كثيرًا، وتلوت ويف معترضة. «نعم، أنت كذلك»، قالت لها شارمين حين أخذتا تدخلان شوارع أوسع وبيوتًا أجمل. «أنت متسلطة ومبتزة، وإن تسببت في تأخري فلن أسامحك».

عندما وصلتا إلى السوق، دقت الساعة الكبيرة لمجلس المدينة العاشرة تمامًا. وانتقلت شارمين فجأة من حاجتها إلى الإسراع إلى سؤالها كيف تطيل مدَّة مشي الدقائق العشر إلى نصف ساعة. كان القصر الملكي عند منعطف الزاوية من مكانها، ويسعها الآن أن تبطئ سيرها وتهدأ. بددت الشمس في هذا الوقت السديم من الجبال، وبسبب هذا وجسد ويف الدافئ، شعرت شارمين بحر شديد. فعرّجت على المتنزه الذي امتد فوق النهر، يندفع رشيقًا بنيًّا في طريقه إلى الوادي الكبير وراء المدينة، وأخذت تتمشى. كانت ثلاث من مكتباتها المفضلة تقع في هذا الشارع. فشقت طريقها بين المتنزهين الآخرين ونظرت متشوقة إلى الواجهة. «كلب صغير لطيف»، قال لها عدد من الأشخاص أثناء مشيها.

«هه!»، قالت شارمين لويف. «ليتهم يعرفون!»

وصلت الساحة الملكية عندما أخذت الساعة هناك تدق معلنة انقضاء نصف ساعة. فرحت شارمين، ولكن فرحها وشعورها بالحر تبددا وهي تعبر الساحة على هدير الساعة. فشعرت بالبرد والضآلة والتفاهة، وعرفت أنها غبية لقدومها. كانت حمقاء، لأنهم سينظرون إليها نظرة واحدة ويصرفونها. وثبط عزيمتها بريق البلاطات الذهبية على سطح القصر الملكي. وفرحت بلعق لسان ويف الصغير الدافئ لذقنها ثانية. كانت حينها ترتقي الدرجات نحو الباب الأمامي الثقيل للقصر، وهي شديدة التوتر وكادت أن تعود من حيث أتت.

لكنها قالت لنفسها صارمة إن هذا هو الشيء الوحيد في العالم الذي أردت فعله، رغم أني لست واثقة برغبتي الآن. والكل يعرف أن هذه البلاطات ليست إلا صفائح مسحورة لتبدو كالذهب! أردفت وهي ترفع المقرعة الكبيرة المطلية بالذهب وطرقت الباب بها بشجاعة. ثم أنذرتها ركبتاها بأنهما ستخوران وتساءلت إن كان بوسعها الهرب، فوقفت هناك مرتجفة الأوصال وتتشبث بويف.

فتح الباب خادمٌ هرمٌ، ربما كان كبير الخدم، كما خطر لشارمين وهي تتساءل أين رأت الرجل المسن من قبل. لا بد أني مررت به في المدينة في طريقي إلى المدرسة، قالت لنفسها. «إه...»، قالت. «أنا شارمين بيكر. كتب الملك إليَّ رسالة...»، وأبعدت يدًا عن ويف لتخرج الرسالة من جيبها، وقبل أن تخرجها، فتح كبير الخدم المسن الباب واسعًا.

«ادخلي من فضلك يا آنسة تشارمنغ»، قال بصوت هرم متهدج. «جلالته في انتظارك».

وجدت شارمين نفسها تدخل القصر الملكي على ساقين ترتجفان ارتجافًا يكاد يماثل ارتجاف كبير الخدم المسن. لقد كان شديد الانحناء بفعل العمر فبات وجهه في مستوى ويف حين ارتجفت شارمين وراءه.

أوقفها بيد مرتعشة. «أرجو أن تمسكي الكلب الصغير جيدًا يا آنستي. لن يكون مناسبًا تجواله في المكان».

ووجدت شارمين نفسها تهذر قائلة «أرجو ألا يكون إحضارها خطأً، فقد ظلت تلاحقني، وتوجب عليَّ في نهاية المطاف أن أحملها وآتي بها وإلا...»

«لا بأس تمامًا يا آنستي»، قال كبير الخدم مغلقًا الباب الكبير. «جلالته محب للكلاب. بل إنه تلقى عضات كثيرة وهو يحاول مصادقتها... حقيقة الأمر يا آنستي أن طاهينا الراجپوتي عنده كلب ليس مخلوقًا لطيفًا. فقد اشتهر بفتكه بالكلاب الأخرى إذا اعتدت على أرضه».

«أوه يا إلهي»، قالت شارمين بضعف.

«حرفيًا»، قال كبير الخدم المسن. «هلا تبعتني يا آنستي؟»

تلوت ويف بين ذراعي شارمين لأن شارمين تمسكها بقوة وهي تتبع كبير الخدم في ممر حجري عريض. كان داخل القصر

باردًا ومظلمًا بعض الشيء. ودهشت شارمين لما رأت المكان خاليًا من التحف ويكاد يخلو من أي أثر للفخامة الملكية، عدا لوحة أو اثنتين بنيتين كبيرتين في إطارين كامدين. وتوزعت على الجدران هنا وهناك مربعات كبيرة فاتحة في مكان اللوحات المزالة، لكن التوتر بلغ من شارمين كل مبلغ فلم تسأل عن ذلك. بل ازداد إحساسها بالبرد والضآلة والتفاهة، حتى خامرها شعور بأنها في حجم ويف.

توقف كبير الخدم وفتح بابًا هائلًا مربعًا من خشب البلوط له صرير. «الآنسة تشارمنغ بيكر يا صاحب الجلالة»، قال معلنًا. «وكلب»، ثم ارتعش مبتعدًا.

ارتجفت شارمين وهي تدخل الغرفة. وخطر لها أن الارتجاف معدٍ بلا ريب، ولم تجرؤ على الانحناء كيلا تخور ركبتاها.

كانت الغرفة مكتبة ضخمة. رفوف بنية داكنة من الكتب امتدت في كلا الاتجاهين، وطغت رائحة الكتب التي أحبتها شارمين طبعًا. وكانت أمامها مباشرة طاولة كبيرة من خشب البلوط، صُفت عليها أكداس عالية من الكتب وأكوام من الورق الأصفر العتيق، وبعض الورق الأكثر بياضًا وحداثة عند الطرف القريب. عند ذلك الطرف ثلاثة كراسي منقوشة كبيرة، صفت حول نار صغيرة من الفحم الحجري في مجمرة من الحديد. وضعت المجمرة فيما يشبه صينية الحديد، التي وضعت على سجادة أوشكت على البِلى. جلس شخصان هرمان على كرسيين من الكراسي المنقوشة. كان أحدهما رجلًا ضخمًا مسنًّا ذا لحية بيضاء حسنة التشذيب -حين تجرأت

شارمين على النظر إليه- وعينان هرمتان زرقاوان حنونان تحيطهما التجاعيد. وعرفت أن هذا هو الملك حتمًا.

«تعالي إلى هنا يا عزيزتي»، قال لها، «واجلسي. وأنزلي الكلب الصغير قرب النار».

تمكنت شارمين من فعل ما قاله الملك. وشعرت بالارتياح لأن ويف أدركت أن المرء يجب أن يتحلى بالتهذيب الجم هنا، فجلست بوقار على السجادة وهزت ذيلها بأدب. جلست شارمين على طرف الكرسي المنقوش وارتعدت أوصالها.

«دعيني أقدّمك إلى ابنتي الأميرة هلدا»، قال الملك.

كانت الأميرة هلدا عجوزًا أيضًا. ولولا أنها تعرف أنها ابنة الملك، لظنت الأميرة والملك في العمر نفسه. كان الفارق الواضح بينهما أن الأميرة بدت ملكية بقدر الملك ضعفين. إذ كانت سيدة كبيرة كوالدها، لها شعر بالغ الأناقة رمادي كالحديد وتلبس بدلة من قماش التويد خلوًا من الزينة ترابية اللون، فعرفت شارمين أنها بدلة شديدة الفخامة. والحلية الوحيدة خاتم كبير في يد عجوز معروقة.

«هذا كلب صغير حلو جدًا»، قالت، بصوت حازم وواضح. «ما اسمه؟»

«ويف يا صاحبة السمو»، تأتأت شارمين.

«وهل هو عندك منذ زمن طويل؟»، سألت الأميرة.

عرفت شارمين أن الأميرة تحدثها لتشعرها بالارتياح، وزاد هذا من توترها. «لا... إه... هذه»، قالت. «الحقيقة أنها كانت ضالة. أو... إه... هذا ما قاله العم الكبير وليم. ولا يمكن أن تكون عنده منذ وقت طويل لأنه لم يعرف أنها... كلـ... إه... أعني أنها بنت. وليم نورلند كما تعرفين، الساحر».

فقال الملك والأميرة معًا «أوه!»، لهذا، وقال الملك «أأنت قريبة الساحر نورلند إذن يا عزيزتي؟»

«صديقنا الرائع»، أضافت الأميرة.

«أنا.. إه.. هو العم الكبير للخالة سمپرونيا بالأحرى»، اعترفت شارمين.

وأصبح الحوار أكثر ودًا. قال الملك بشيء من التشوق «أحسب أنك لا تعرفين حال الساحر نورلند بعد؟»

هزت شارمين رأسها نفيًا. «أخشى أني لا أعرف يا صاحب الجلالة، لكنه بدا عليلًا جدًا عندما أخذه العفاريت».

«لا شيء يدعو إلى العجب»، قالت الأميرة هلدا. «مسكين وليم. والآن يا آنسة بيكر...»

«أوه... أوه.. ناديني شارمين من فضلك»، تلعثمت شارمين.

«جميل جدًا»، وافقت الأميرة. «ولكن علينا أن نبدأ العمل الآن يا صغيرتي، لأني سأتركك قريبًا لأهتم بضيفي الأول».

«ستجلس معك ابنتي ساعة أو نحوها»، قال الملك، «لتشرح لك ما تفعلينه هنا في المكتبة وكيف تكونين عونًا أفضل لنا. هذا لأننا فهمنا من خطك أنك لست كبيرة في العمر -وهذا ما تأكد الآن- ولا تتمتعين بالخبرة غالبًا». وابتسم لشارمين أعذب الابتسامات. «إننا شاكران حقًا لك لعرضك المساعدة يا عزيزتي. لم يفكر أحد قط في أننا قد نحتاج المساعدة».

شعرت شارمين بوجهها يمتلئ حرارة، وعرفت أنه احمرَّ احمرارًا شديدًا. «من دواعي سروري يا صاحب...»، تمكنت من الغمغمة.

«اسحبي كرسيك إلى الطاولة، وسنبدأ في العمل»، قاطعتها الأميرة هلدا.

نهضت شارمين وسحبت الكرسي الثقيل، فقال الملك مجاملًا «نرجو ألا تشعري بالحر الشديد لقربك من المجمرة. قد يكون الفصل صيفًا، لكننا كبار السن نشعر بالبرد هذه الأيام».

ما زالت شارمين مشلولة من توترها. «مطلقًا يا مولاي»، قالت.

«وويف سعيدة على الأقل»، قال الملك مشيرًا بإصبع كثيرة العقد. تدحرجت ويف على ظهرها رافعة قوائمها الأربع في الهواء تتنعم بالحرارة المنبعثة من المجمرة، وبدت أسعد بكثير من شارمين.

«إلى العمل يا أبي»، قالت الأميرة بصرامة. ورفعت نظارة تتدلى من سلسلة حول عنقها وأنبتتها على أنفها النبيل. ورفع الملك

نظارة أنفية، ورفعت شارمين نظارتها أيضًا. ولو لم تكن شديدة التوتر، لأرادت أن تضحك على لبسهم جميعًا النظارات. قالت الأميرة «والآن، عندنا في هذه المكتبة كتب وأوراق ولفائف من رَق الكتابة. بعد حياة من العمل، بالكاد استطعنا أنا وأبي إدراج نصف الكتب -باسمها واسم المؤلف- ومنحنا كلًّا منها رقمًا إلى جانب نبذة مختصرة عما في كل كتاب. سيواصل أبي القيام بهذا، أما أنت فستضطلعين بمهمتي الرئيسة أي تصنيف الأوراق واللفائف. أخشى أني بالكاد بدأت في هذا. هذه قائمتي». وفتحت ملفًا كبيرًا مليئًا بالأوراق المغطاة بخط عنكبوتي أنيق، وبسطت صفًا منها أمام شارمين. «عندي عناوين رئيسة كثيرة كما ترين: رسائل عائلية، حسابات منزلية، كتابات تاريخية، وهكذا. مهمتك استعراض كل صف من الأوراق والتحديد الدقيق لفحوى كل ورقة. ثم تكتبين وصفًا لها تحت العنوان الملائم، وبعدها تضعين الورقة بحذر في أحد هذه الصناديق ذوات العلامات. أهذا واضح حتى الآن؟»

كانت شارمين، التي مالت إلى الأمام لتنظر إلى القوائم المكتوبة بخط جميل، خائفة من أنها بدت شديدة الغباء. فسألت «وماذا أفعل إذا وجدت ورقة لا تتماشى مع أيٍّ من عناوينك يا سيدتي؟»

«سؤال وجيه جدًا»، قالت الأميرة هلدا. «نرجو أن تجدي أشياء كثيرة جدًا لا تتماشى معها. عندما تجدين واحدة، استشيري أبي في الحال إذا كانت الورقة مهمة. وإن كانت غير ذلك، فضعيها في الصندوق المسمى متفرقات. هاك أول رزمة من الأوراق. سأراقبك

وأنت تستعرضينها لأرى عملك. هذه ورقة لقائمتك، وهذا القلم والحبر. ابدئي من فضلك». ودفعت إلى شارمين برزمة مهلهلة بنية من الأوراق، رُبطت بشريط زهري، واستراحت لتراقبها.

قالت شارمين في نفسها لم أعرف شيئًا مرهقًا كهذا قط! وحلّت الشريط الوردي مرتجفة وحاولت بسط الرسائل قليلًا.

«احملي كل واحدة من الزاوية المقابلة، ولا تدفعيها»، قالت الأميرة هلدا.

«أوه، يا ربي! قالت شارمين لنفسها. ونظرت جانبًا إلى الملك، الذي أخذ كتابًا ذا غلاف جلدي لين بالي المظهر وقلّب صفحاته حذرًا. وقالت كنت أرجو أن أفعل ذلك. تنهدت وفتحت الرسالة المجعدة البنية الأولى حذرة.

«حبيبتي الأعز الجميلة الرائعة»، قرأت. «أشتاق إليك شوقًا موجعًا...»

«أمم»، قالت للأميرة هلدا، «هل لرسائل الحب صندوق خاص؟»

«نعم طبعًا»، قالت الأميرة. «هذا هو. دوِّني التاريخ واسم الشخص الذي كتبها. من كان بالمناسبة؟»

نظرت شارمين إلى نهاية الرسالة. «أمم، مكتوب «دولفي الكبير»».

فقال الملك والأميرة معًا «يا سلام!»، وضحكا، وضحك الملك

بحرارة أكبر. قالت الأميرة هلدا «هذه من أبي إلى أمي. ماتت أمي قبل سنوات عديدة. ولكن لا عليك من هذا. دونيها في قائمتك».

نظرت شارمين إلى حال الورقة المجعدة البنية ورأت أن سنوات كثيرة جدًا قد انقضت. ودهشت لما رأت أن الملك لم يرَ بأسًا في قراءتها الرسالة، ولم يبدُ القلق لا عليه ولا على الأميرة. ربما الأسر الملكية مختلفة، خطر لها وهي تنظر في الرسالة التالية. بدأت بـ«حبيبتي السمينة البدينة». أوه، طيب. وواصلت عملها.

بعد قليلٍ، وقفت الأميرة ودفعت كرسيها بأناقة إلى الطاولة، وقالت «يبدو هذا مريحًا تمامًا. عليَّ الذهاب، ستصل ضيفتي قريبًا. ما زلت أتمنى لو استطعت أن أسأل زوجها أيضًا يا أبتِ».

«لا شك في ذلك يا عزيزتي»، قال الملك دون أن يرفع نظره عن الملاحظات التي يكتبها. «هذا تعدٍّ على حقوق الغير، فهو ساحر البلاط لأناس آخرين».

«أوه، أعرف»، قالت الأميرة هلدا. «لكني على علم أيضًا أن إنغري فيها ساحران ملكيان، وساحرنا وليم المسكين عليل وقد يموت».

«الحياة ليست عادلة يا عزيزتي»، قال الملك، وهو ما زال يخربش بقلم الريشة. «ثم إن وليم لم ينجح أكثر مما فعلنا».

«أنا مدركة لهذا أيضًا يا أبت»، قالت الأميرة هلدا وهي تخرج من المكتبة. انغلق الباب بخبطة ثقيلة وراءها.

انحنت شارمين على رزمتها التالية، محاولة ألا تبدو كمن كان يصغي، فقد بدا شأنًا خاصًا. رُبطت هذه الكومة من الورق في رزمة زمنًا طويلًا فالتصقت كل ورقة بالتي تليها، وكلها يابسة ومائلة إلى البني، مثل عش دبابير وجدته شارمين ذات يوم في عِلِّيَّة البيت. وانشغلت كثيرًا في فصل الطبقات.

«إحم»، قال الملك. فرفعت شارمين نظرها لترى أنه يبتسم لها، وريشته في الهواء والتمعت عيناه من الجانب من فوق نظارته. «أرى أنك شابة عاقلة جدًا»، قال. «ولا بد أنك عرفت من حديثنا الآن أننا -وعمك الكبير معنا- نبحث عن أشياء بالغة الأهمية. ستمنحك عناوين ابنتي بعض الإشارات لتنتبهي لها. ستكون كلماتك المفتاحية «الخزينة» و«العائدات»، «الذهب» و«عطية العفريت». إن وجدت ذكرًا لأي منها يا عزيزتي، فأبلغيني فورًا من فضلك».

فكرة البحث عن أشياء مهمة جعلت أصابع شارمين على الورق المهترئ تغدو باردة خرقاء. «نعم. نعم بلا شك يا صاحب الجلالة»، قالت.

وشعرت بالارتياح لما وجدت أن تلك الرزمة من الورق لم تكن إلا قوائم لسلع وأسعارها، وكلها رخيصة رخصًا يثير العجب. «ثمن رطل الشمع پنسان، وعشرة أرطال ثمنها عشرون پنسًا»، قرأت. طيب، يعود تاريخها إلى مئتي عام. «وثمن ست أونصات من أجود أنواع الزعفران ثلاثون پنسًا. وثمن تسعة عيدان من خشب شجر التفاح الشذي الرائحة لتعطير الغرف الرئيسة ربع

پنس». وهكذا. كانت الصفحة التالية مليئة بأشياء من قبيل «ثمن أربعين ذراعًا من ستائر الكتان أربعة وأربعون شلنًا». دونت شارمين ملاحظات دقيقة، ووضعت هذه الصفحات في الصندوق المسمى حسابات منزلية وقشرت الصفحة التالية.

«أوه!»، قالت. فقد كتب في الصفحة التالية «إلى الساحر مِليكوت، ٢٠٠ جنيه لسحره مئة قدم مربع من التبليط بالقصدير لإضفاء مظهر الذهب على السطح».

«ما الأمر يا عزيزتي؟»، سأل الملك، واضعًا إصبعه حيثما وصل في كتابه.

قرأت شارمين الفاتورة القديمة له، فقهقه وهز رأسه قليلًا، وقال «لقد نفّذ باستخدام السحر إذن، صحيح؟ لطالما تمنيت أن يتبين أنه ذهب حقيقي، ألم تتمني ذلك؟»

«بلى، ولكنه يبدو كالذهب على أي حال»، قالت شارمين مواسية.

«وهي رقية جيدة جدًا أيضًا، أن تدوم لمئتي سنة»، قال الملك يومئ برأسه. «باهظة الثمن أيضًا، فقد كانت المئتا جنيه ثروة كبيرة في تلك الأيام. آه، حسن. لم أرجُ يومًا أن نحل مشاكلنا المالية على هذه الشاكلة. ثم سيكون الأمر صادمًا إن صعدنا ونزعنا كل البلاطات عن السطح. واصلي البحث يا عزيزتي».

تابعت شارمين البحث ولكن كل ما وجدته كان أحدًا يطلب جنيهين أجرًا لزراعة حديقة ورد وآخر يُدفع إليه عشرة جنيهات

مقابل تجديد الخزينة، لا ليس آخر بل الساحر مليكوت نفسه الذي كسا السطح!

«أتصور أن مليكوت كان متخصصًا»، قال الملك عندما قرأت هذا عليه. «يبدو لي امرأً واظب على عمله في صنع المزيف من المعادن النفيسة. لا شك أن الخزينة كانت فارغة في ذلك التاريخ. عرفت أن تاجي مزيف منذ سنوات. لا بد أنه عمل مليكوت هذا. هل تشعرين بالجوع يا عزيزتي؟ أو بقليل من البرد والتخشب؟ نحن لا نهتم بالغداء العادي -فابنتي لا تستحسنه- لكني عادة أسأل كبير الخدم أن يحضر لي وجبة خفيفة في مثل هذا الوقت. لمَ لا تنهضين وتمددين رجليك بينما أرن الجرس؟»

وقفت شارمين ومشت في أرجاء المكان، جاعلة ويف تتدحرج على أقدامها وتراقب بفضول، بينما عرج الملك نحو حبل الجرس قرب الباب. لقد كان بالغ الهزال وفارع الطول، كما خطر لشارمين، كأنما طوله كثير عليه. وانتهزت شارمين اللحظة لتنظر إلى الكتب على الرفوف، وهما ينتظران أحدًا يلبي رنين الجرس. كانت كتبًا عن كل شيء، يختلط فيها الحابل بالنابل، فكتب الرحلات بجانب كتب الجبر والشعر يجاور الجغرافيا. فتحت شارمين واحدًا عنوانه كشف أسرار الكون، فانفتح باب المكتبة ودخل رجل يعتمر قبعة طاهٍ عالية حاملًا صينية.

دهشت شارمين لما رأت الملك يقفز من فوق الطاولة قفزة رشيقة، وقال يحثها «احملي كلبتك يا عزيزتي!»

فقد دخل كلب آخر، ملتصقًا بساقي الطاهي كأنه لا يشعر بالأمان، كلب بني اللون عصبي الهيئة له أذنان كثيرتا العقد وذيل أشعث، ودخل وهو يصدر هريرًا. لم يساور شارمين شك في أن هذا هو الكلب الذي قتل الكلاب الأخرى فنزلت لترفع ويف.

غير أن ويف انزلقت من بين يديها وذهبت تعدو نحو كلب الطاهي. فعلا هرير الكلب الآخر وتحول إلى دمدمة، وانتصب الشعر الخشن على ظهره البني المهزول. وبدا متوعدًا فلم تجرؤ شارمين على الاقتراب منه. لكن ويف لم تشعر بأي خوف، بل تقدمت نحو الكلب المدمدم بأشد المرح، ورفعت نفسها على قوائمها الصغيرة ومرغت أنفها في أنفه بصفاقة. بوغت الكلب الآخر، وفوجئ كثيرًا فتوقف عن الدمدمة. ثم نصّب أذنيه المعجّرتين، ومرغ أنفه في أنف ويف هو الآخر تمريغًا بالغ الحذر. زعقت ويف زعيقًا متحمسًا ووثبت مَرَحًا. ثم أخذ الكلبان يقفزان سرورًا في كل أنحاء المكتبة.

«يا سلام!»، قال الملك. «أرى أن الأمور على ما يرام. ما معنى هذا يا جمال؟ لماذا جئت إلى هنا بدلًا من سِم؟»

جاء جمال -ذو العين الواحدة، كما لاحظت شارمين- وأنزل صينيته على الطاولة معتذرًا. «أخذت أميرتنا سِم لاستقبال الضيفة يا مولاي»، قال موضحًا. «فلم يبقَ إلاي لإحضار الطعام. وكلبي سيرافقني. أحسب»، أردف وهو يراقب الكلبين القافزين، «إن كلبي لم يعرف طعم الحياة إلا اليوم»، وانحنى لشارمين. «أحضري كلبك الصغير الأبيض مرارًا يا آنسة تشارمنغ [فاتنة]».

وصفر لكلبه، فتظاهر بعدم السماع. فمضى نحو الباب وصفر ثانية. «الطعام»، قال. «تعال لتناول الحبار». فجاء كلا الكلبين هذه المرة. وأصاب شارمين العجب والخوف حينما خرجت ويف تركض من الباب بجانب كلب الطاهي، وانغلق الباب وراءهم.

«لا داعي إلى القلق»، قال الملك. «إنهما صديقان، وسيعيدها جمال. جمال رجل مؤتمن. ولولا كلبه ذاك لكان طاهيًا مثاليًا. لنرَ ما الذي أحضره لنا، ما قولك؟»

جلب جمال إبريقًا من عصير الليمون وصحفة تكدست فيها أشياء بنية مقرمشة تحت قماشة بيضاء. قال الملك حين رفع القماشة متشوقًا «آه! تناولي واحدة ما دامت ساخنة يا عزيزتي»، ففعلت شارمين. وكفتها قضمة واحدة لتؤكد لها أن جمال طاهٍ يفوق أباها براعة، وقد اشتهر السيد بيكر بأنه أفضل طاهٍ في المدينة. كانت الأشياء البنية مقرمشة، وطرية في الوقت نفسه، وفيها نكهة حارة لم تعرفها شارمين من قبل، تثير تعطشك لعصير الليمون. لقد التهمت هي والملك الصحفة بكاملها وشربا كل العصير، ثم عادا لاستئناف العمل.

وباتا عندئذ صديقين مقربين، فلم تعد شارمين تشعر بالخجل من سؤال الملك عن أي شيء أرادت معرفته. «لماذا يحتاجون إلى بوشلين من بتلات الورد يا مولاي؟»، سألت وأجابها «كانوا يحبون وطأها في غرفة الطعام في تلك الأيام. ولكني أراها عادة تثير الفوضى. استمعي إلى ما قاله هذا الفيلسوف عن الجِمال يا

عزيزتي». وقرأ عليها صفحة من كتابه أثارت ضحك كليهما. جلي أن الفيلسوف لم يتآلف مع الجِمال.

مر وقت طويل حقًا، وانفتح باب المكتب وعدت ويف إلى الداخل، والسرور بادٍ عليها، يتبعها جمال يقول «رسالة من أميرتنا يا مولاي. لقد وصلت السيدة، وسِم يأخذ الشاي إلى الردهة الأمامية».

«آه»، قال الملك. «فطائر صغيرة؟»

«ومفن أيضًا»، قال جمال وذهب.

خبط الملك كتابه وأغلقه ونهض. «يجدر بي الذهاب لتحية ضيفتنا»، قال.

«سأتابع نظري في الفواتير إذن»، قالت شارمين. «سأضع جانبًا ما أريد السؤال عنه».

«لا، لا»، قال الملك. «تعالي أنت أيضًا يا عزيزتي. أحضري الكلبة الصغيرة، فستساعدنا على التخلص من الحرج كما تعرفين. هذه السيدة صديقة ابنتي، لم ألتقها أنا قط».

فاشتد التوتر بشارمين مرة أخرى. فقد رأت الأميرة هلدا مخيفة جدًا وملكية كثيرًا فلا تُشعر بالراحة، ولا بد أن صديقاتها على شاكلتها. لكنها ما استطاعت الرفض، إذ أمسك الملك بالباب المفتوح منتظرًا إياها. أما ويف فقد أخذت تركض وراءه سلفًا، فاضطرت شارمين إلى النهوض واللحاق به.

كانت الردهة الأمامية غرفة كبيرة تملؤها الأرائك ذوات المساند

البالية قليلًا والسُجُف المهترئة. على الجدران مزيد من المربعات الباهتة في مكان اللوحات التي عُلّقت هنا ذات يوم. وكان أكبر المربعات الباهتة يقع أعلى رف المدفأة الرخامية الفخم، التي اشتعلت فيها نار مؤنسة بعثت الارتياح في نفس شارمين. كانت الردهة غرفة باردة، كالمكتبة، وشعرت شارمين بالبرد من التوتر مرة أخرى.

جلست الأميرة هلدا مشدودة الظهر على أريكة قرب المدفأة، حيث دفع سِم عربة كبيرة للشاي. وحالما رأته شارمين يدفع العربة، عرفت أين رأته من قبل. حدث ذلك حينما ضلّت الطريق بجانب غرفة الاجتماعات ولمحت ذلك الرجل المُسن يدفع عربة في ممر غريب. فقالت في نفسها هذا غريب! وضع سِم وهو يرتعش صحنًا من الفطائر الصغيرة المدهونة بالزبدة في المصطلى. رأت ويف هذه الفطائر، فاختلج أنفها وانطلقت كالسهم نحوها، لكن شارمين أمسكت بها في الوقت المناسب. وعندما وقفت وهي تحكم قبضتها على ويف التي تتلوى بين ذراعيها، قالت الأميرة «آه، أبي، الملك». فنهض الكل في الردهة، وقالت الأميرة «اسمح لي يا أبي أن أعرفك على صديقتي الرائعة، السيدة صوفي پندراغن».

سار الملك يعرج نحوهما، مادًا يده جاعلًا الغرفة الكبيرة تبدو أصغر قليلًا. لم تدرك شارمين من قبل ضخامته، وخطر لها أنه طويل بقدر أولئك العفاريت.

«يسعدني لقاؤك يا سيدة پندراغن. أي صديق لابنتي صديق لنا»، قال.

أثارت السيدة پندراغن عجب شارمين فهي شابة جدًا، أصغر من الأميرة هلدا بكثير، ثيابها زُرق بلون الطاووس بنمط عصري تجعل شعرها الأحمر الذهبي وعينيها الزرقاوين المخضرتين آية في الكمال. إنها جميلة! خطر لشارمين بشيء من الحسد. انحنت السيدة پندراغن انحناءة صغيرة للملك وهما يتصافحان وقالت «أنا هنا لأفعل ما في وسعي يا مولاي. ولا يسعني قول المزيد».

«لا بأس، لا بأس»، أجابها الملك. «تفضلي بالجلوس. تفضلوا كلكم بالجلوس، ولنشرب بعض الشاي».

جلس الجميع، وبدأت همهمات حديث مهذب، وسِم يدور عليهم مقدمًا فناجين الشاي. شعرت شارمين بأنها دخيلة، وتيقنت أنها لا يجدر بها أن تكون هنا، فجلست في أقصى زاوية لأبعد أريكة وحاولت أن تخمن من يكون الأشخاص الآخرون. أثناء هذا جلست ويف رزينة على الأريكة بجوار شارمين، بادٍ عليها الحياء. لاحقت عيناها بشوق الرجل المحترم الذي يقدم الفطائر الصغيرة. كان هذا الرجل المحترم شديد الهدوء والرتابة فنسيت شارمين مظهره حالما أبعدت ناظريها عنه وتوجب عليها النظر إليه ثانية لتذكّر نفسها. أما الرجل المحترم الآخر، الذي يبدو فمه مغلقًا وإن كان يتكلم، فقد عرفت أنه مستشار الملك. وكأنما عنده الكثير من الأمور السرية التي يقولها للسيدة پندراغن، التي ظلت تهز رأسها ثم تطرف بعينيها قليلًا، كأن ما قاله المستشار أثار دهشتها. السيدة الأخرى، وهي عجوز، وصيفة الأميرة هلدا وبارعة جدًا في التحدث عن الطقس.

«ولن أستغرب إن لم تمطر الليلة مرة أخرى»، كانت تقول عندما اقترب الرجل الرتيب من شارمين وقدم إليها فطيرة. ودار أنف ويف متلهفًا يتبع الطبق.

«أوه شكرًا»، قالت شارمين، مسرورة بأنه لم ينسها.

«خذي اثنتين»، أشار عليها الرجل الرتيب. «سيأكل جلالته كل ما يبقى». كان الملك تلك اللحظة يأكل كعكتي مفن، واحدة مهروسة فوق الأخرى، ومترقبًا الفطائر بنهم مثلما فعلت ويف.

شكرت شارمين الرجل ثانية وأخذت قطعتين، كانتا أكثر الفطائر امتلاء بالزبدة مما تذوقته في حياتها. ودار أنف ويف ليدفع برفق يد شارمين، «طيب، طيب»، همست شارمين محاولة أن تقطع قطعة دون أن تنقط زبدة على الأريكة. سالت الزبدة على أصابعها وأوشكت أن تسيل نحو كمّيها. كانت تحاول مسحها بمنديلها، عندما انتهت الوصيفة من قول كل ما يُقال عن الطقس، واستدارت إلى السيدة پندراغن.

«تقول لي الأميرة هلدا إن عندك صبيًا صغيرًا فاتنًا»، قالت.

«نعم. مورغن»، قالت السيدة پندراغن. وبدا أنها تواجه مشكلة مع الزبدة هي الأخرى وأخذت تمسح أصابعها بمنديلها ويبدو عليها الارتباك.

«كم عمر مورغن الآن يا صوفي؟»، سألت الأميرة هلدا. «كان طفلًا عندما رأيته».

«أوه، يكاد يتم الثانية»، أجابت السيدة پندراغن، ممسكة بقطرة ذهبية كبيرة من الزبدة قبل أن تسقط على تنورتها. «تركته مع...»

انفتح باب الردهة، ودخل منه طفل صغير سمين يلبس بدلة زرقاء متسخة، والدموع تنهمر على وجهه. «ماما- ماما- ماما!»، كان يبكي وهو يتهادى في الغرفة. ولكنه عندما رأى السيدة پندراغن، انفرجت أساريره في ابتسامة مضيئة. ومد كلتا ذراعيه واندفع نحوها، ودفن وجهه في تنورتها. «ماما!»، صاح.

وفي أثره دخل كائن أزرق شكس الهيئة يطير وله شكل قطرة الدمع الطويلة وفي جزئها الأمامي وجه، كأنه مخلوق من ألسنة لهب. وقد أدخل معه نفحة دفء وشهق كل من في الغرفة. وأسرعت في أثره خادمة أكثر شكسًا منه.

وخلف الخادمة دخل ولد صغير، أكثر الأطفال ملائكية ممن رأته شارمين في حياتها. كان له جمّة من خصل شقراء تجمعت حول وجهه الملائكي الأبيض والزهري، وعيناه كبيرتين وزرقاوين وخجولتين. واستقر ذقنه الجذاب الصغير على كشاكش من القماش المخرم ناصع البياض، واكتسى باقي جسده الصغير الرشيق ببدلة من المخمل لونها أزرق فاتح لها أزرار فضية كبيرة. وامتد فمه الزهري الشبيه ببرعم الورد في ابتسامة خجولة عند دخوله، مظهرًا غمازة فاتنة في خده الناعم الصغير. لم تعرف شارمين السبب الذي دعا السيدة پندراغن إلى النظر إليه في ذعر، فقد كان طفلًا فاتنًا بحق، ويا لها من أهداب طويلة ملتفة!

«... مع زوجي وعفريت النار»، أنهت السيدة پندراغن كلامها. واحمر وجهها احمرار الغضب، ونظرت شزرًا إلى الصبي الصغير من فوق رأس الطفل.

الفصل الثامن

وفيه يواجه پيتر مشكلة في السباكة

«أوه، سيدتي، مولاي»، قالت الخادمة لاهثة. «توجب عليَّ إدخالهم، فقد كان الصغير شديد الغضب!»

قالت هذا في غرفة امتلأت بالفوضى، فقد نهض الجميع وأوقع أحدهم فنجان شاي. اندفع سِم لإنقاذ الفَنجان ونزل الملك وراءه ليحمل صحن الفطائر. وقفت السيدة پندراغن ومورغن بين ذراعيها، ولم تزل تنظر شزرًا إلى الصبي الصغير، ووثب المخلوق ذو شكل الدمعة أمام وجهها. «ليست غلطتي يا صوفي!»، ظل يردد بصوت مطقطق غاضب. «أقسم إنها ليست غلطتي! لم نتمكن من إيقاف مورغن عن البكاء بحثًا عنك».

وقفت الأميرة هادئة. «يمكنك الانصراف»، قالت للخادمة. «لا داعي إلى غضب أي أحد. عزيزتي صوفي، لم أعلم أنك لم تستأجري مربية».

«لا، ليس عندي. وكنت أرجو أن أحصل على فسحة»، قالت السيدة پندراغن. «لعلك تظنين»، قالت وهي تنظر غاضبة إلى الصبي

ذي الوجه الملائكي «إن ساحرًا وعفريت نار قادران على تولي طفل دارج صغير».

«الرجال!»، قالت الأميرة هلدا. «لا أرى أن الرجال قادرون على تولي أي شيء. لا بد أن يكون مورغن والصبي الصغير الآخر ضيفينا أيضًا، ما داما قد دخلا. ما المسكن المناسب لعفريت النار؟»، سألت الرجل الرتيب.

فبدا مشدوهًا تمامًا.

«سأكون شاكرًا إن حصلت على حطب جيد»، طقطق عفريت النار. «أرى أن عندكم نارًا جميلة في هذه الغرفة. أنا كالسيفر يا سيدتي».

علا الارتياح على وجهي الأميرة والرجل الرتيب، وقالت الأميرة «نعم، طبعًا. أظننا التقينا لقاء قصيرًا في إنغري قبل عامين».

«ومن هذا الفتى الصغير الآخر؟»، سأل الملك دمثًا.

«ثوفي خالتي»، أجاب الولد الصغير بصوت عذب يلثغ، رافعًا وجهه الملائكي وعينيه الزرقاوين الكبيرتين إلى وجه الملك.

بدت السيدة بندراغن تستشيط غضبًا.

«سررت بلقائك»، قال الملك. «وما اسمك يا رجلي الصغير؟»

«تِونكِل [لَمَّاع]»، همس الولد الصغير، مطأطئًا رأسه الأشقر الأجعد بحياء.

«تناول فطيرة يا تونكل»، قال الملك بود، وهو يمد إليه الطبق.

«ثكرًا لك»، قال تونكل بحرارة وهو يأخذ الفطيرة.

عندها مد مورغن يدًا سمينة متغطرسة وصاح «أنا، أنا، أنا!»، حتى أعطاه الملك فطيرة أيضًا. أجلست السيدة پندراغن مورغن على أريكة ليأكلها. ونظر سِم حوله وفطن لجلب منشفة من العربة، غرقت بالزبدة في الحال. ابتسم مورغن لسِم وللأميرة والوصيفة والمستشار، ووجهه يلمع. «فتيلة»، قال. «فتيلة سهية [فطيرة شهية]».

أثناء ذلك، أدركت شارمين أن السيدة پندراغن قد حبست تونكل الصغير وراء الأريكة التي تجلس عليها، ولم تستطع تجنب الاستماع إلى السيدة پندراغن تسأل «ماذا تظن أنك فاعل يا هاول؟» وبدت مغتاظة جدًا فقفزت ويف إلى حجر شارمين واختبأت هناك.

«لقد نثوا دعوتي»، أجاب صوت تونكل الصغير العذب. «هذه ثخافة. لا يمكنك هلّ هذه الفوذى وحدك يا ثوفي. أنت بحاجتي». [لا يمكنك حل هذه الفوضى وحدك يا صوفي].

«يبدو أن هذا الساحر نورلند قد أفسد الأمر»، قال كالسيفر.

«لا أظن العم الكبير وليم أفسد الأمور»، قالت شارمين. «فهو حبيب!»

«يبدو أنه بحث في الأماكن الخطأ»، قال كالسيفر. «لا ضرورة إلى أن تكوني لئيمة لتسببي فوضى. انظري إلى مورغن»، والتفَّ

مبتعدًا. خطر لشارمين أن له أسلوبًا في الاختفاء من مكان والظهور في آخر، مثل يعسوب يطير بخفة فوق بركة.

جاء الملك إلى شارمين مرحًا، وهو يمسح يديه على منديل منشَّى كبير. «الأفضل أن نعود إلى العمل يا عزيزتي. علينا أن نرتب المكان لليل».

«نعم بالتأكيد يا مولاي»، قالت شارمين وتبعته نحو الباب.

قبل أن يصلا، هرب تونكل الملائكي من السيدة پندراغن الغاضبة وجذب كُم الوصيفة «من فذلك»، قال بصورة ساحرة، «هل عندك تُمى؟»

وبدت السيدة حائرة. «أنا لا ألعب بالدمى يا حبيبي»، قالت.

التقط مورغن الكلمة منها. «طُمى!»، صاح ملوحًا بذراعيه وكعكة مفن مليئة بالزبدة ملتصقة بقبضته. «طُمى، طُمى، طُمى!»

فحط عفريت الصندوق أمام مورغن، دافعًا غطاءه، فبرز العفريت مطلقًا صوت بوينغ! ووقع بجانبه بيت دُمى كبير، تبعه وابل من الدببة المحشوة الهرمة. وبعد دقيقة، ظهر حصان هزاز متداعٍ بجانب عربة الشاي، فصاح مورغن بهجة.

«أظننا سنترك ابنتي تتولى شأن ضيوفها»، قال الملك قائدًا شارمين وويف خارج الردهة. وانغلق الباب على ظهور المزيد والمزيد من الدمى والصغير تونكل شديد الحياء، أما الآخرون فكانوا يركضون في المكان حائرين. «كثيرًا ما يكون السحرة ضيوفًا مفعمين بالحيوية»،

علق الملك في طريقهما إلى المكتبة، «رغم أني لا أعرف أنهم يبدؤون السحر في سن صغيرة. وأتخيل أن هذا متعب لأمهاتهم قليلًا».

بعد نصف ساعة، كانت شارمين في طريق عودتها إلى بيت العم الكبير وليم وويف تركض خلفها بادٍ عليها الحياء كالصغير تونكل.

«أوووف!»، قالت شارمين لها. «تعرفين يا ويف، لم أعش حياة فيها أحداث كثيرة مثلما فعلت في ثلاثة أيام!»، وأحست بقليل من الحزن. أن يعطيها الملك الفواتير ورسائل الحب أمر معقول، ولكنها تمنت أن تتمكن من المناوبة بينها وبين الكتب.

وأحبت أن تمضي شطرًا من النهار تتصفح مجلدًا عتيقًا جدًا عطن الرائحة غلافه من الجلد، فهذا ما تطلعت إليه. ولكن لا بأس، حالما تعود إلى بيت العم الكبير وليم ستدفن نفسها في العصا السحرية ذات الأغصان الاثني عشر، أو ربما كان مذكرات طارد أرواح أفضل، إذ كان من الكتب التي ستسعد أكثر بقراءتها في وضح النهار. أو لعلها تجرب كتابًا مختلفًا؟

كانت تتحرق شوقًا إلى كتاب جيد فلم تنتبه إلى المشي إلا لتحمل ويف عندما أخذت تلهث وتتعب. وأثناء ذلك ركلت بوابة العم الكبير وليم لتفتحها وصادفت رولو في منتصف الدرب، يعبس في كل أنحاء وجهه الصغير الأزرق.

«ما الأمر هذه المرة؟»، قالت شارمين، وتساءلت جادة إن كان عليها حمل رولو وإلقاؤه على شجيرات الكوبية. كان رولو صغيرًا

بما يكفي ليُرمى رمية جميلة، وإن كانت إحدى ذراعيها ملفوفة حول ويف.

«تلك رؤوس الزهور التي وضعتها على الطاولة الخارجية»، قال رولو. «أتنتظرين مني أن ألصقها أو شيئًا من هذا؟»

«لا، بالطبع لا»، قالت شارمين. «إنها تجف في الشمس. ثم سأدخلها إلى البيت».

«هه!»، قال رولو. «تجمّلين المكان، أليس كذلك؟ وهل ترين الساحر سيعجبه هذا؟»

«ليس من شأنك»، قالت شارمين متغطرسة، وسارت إلى الأمام حتى اضطر رولو إلى القفز بعيدًا عن طريقها. فصرخ قائلًا شيئًا خلفها وهي تفتح الباب الأمامي، لكنها لم تكترث لسماعه. وعرفت أنه شيء وقح، فصفقت الباب على صراخه.

في الداخل كانت رائحة غرفة الجلوس أكثر من نتنة، كانت شبيهة برائحة بركة آسنة. أنزلت شارمين ويف على الأرض وتشممت يملؤها الشك. ومثلها فعلت ويف. كانت أصابع بنية طويلة من شيء ما ترشح تحت الباب المؤدي إلى المطبخ، فمشت ويف على رؤوس أصابعها محترسة، وبالقدر نفسه من الاحتراس مدت شارمين إصبع قدمها ونخست بها أقرب سيل بني، فانخض مثل سبخة.

«أوه، ماذا فعل بيتر هذه المرة؟»، قالت شارمين، وفتحت الباب.

تموج الماء بارتفاع إنشين على أرضية المطبخ، ورأته شارمين يرشح داكنًا أعلى أكياس الثياب الوسخة الستة الكائنة بجانب الحوض.

«واه!»، صاحت وصفقت الباب وأغلقته، ثم فتحته ثانية ودارت يسارًا.

كان الممر مغمورًا، وتلألأ ضوء النهار من النافذة في نهاية الممر على الماء بصورة أوحت بقدوم تيار قوي من الحمام. خوّضت شارمين شاقة طريقها إلى هناك غاضبة. وقالت في نفسها كل ما وددت فعله هو الجلوس وقراءة كتاب، وعدت لأجد فيضانًا!

عندما وصلت إلى الحمام، وويف تخوّض وراءها تعسة، انفتح بابه واندفع بيتر خارجًا منه، مبللًا من رأسه إلى قدميه بادٍ عليه الإنهاك الشديد.

«أوه جيد، لقد عدت»، قال قبل أن تتمكن شارمين من الكلام. «في أحد الأنابيب ثقب هنا، وقد جربت ست رُقًى لإيقافه، ولكنها لم تفعل شيئًا بل جعلتْه يتنقل. كنت على وشك إغلاق الماء من الخزان ذي الفراء هنا -أو أحاول على أي حال- لكن ربما أمكنك فعل شيء آخر».

«الخزان ذو الفراء؟»، قالت شارمين. «أوه، تقصد هذا الشيء المغطى بفراء أزرق. وما الذي يدعوك إلى الظن بأنه سينفع؟ لقد غرق كل شيء!»

«هذا الشيء الوحيد الذي لم أجربه»، زمجر بيتر. «لا بد أن الماء

يأتي من هناك بصورة ما. تسمعينه يقطر. خطر لي أن أبحث عن محبس...»

«أوه، إنك عديم الفائدة!»، زمجرت شارمين ردًا عليه. «دعني ألقي نظرة». ودفعت بيتر جانبًا وتخبطت داخلة الحمام، رافعة صفحة الماء في طريقها.

كان الثقب حقيقيًا. وفي أحد الأنابيب الواقعة بين المغسلة وحوض الاستحمام شق طولي والماء ينضح منه في نافورة مضحكة. هنا وهناك بجانب الأنبوب فقاعات رمادية سحرية لا بد أنها رُقى بيتر الست عديمة النفع. وهذه غلطته! قالت لنفسها غاضبة، فهو من جعل الأنابيب ساخنة تتوهج احمرارًا. أوه، صدقًا!

فانطلقت نحو الصدع ووضعت كلتا يديها عليه غاضبة. «أوقف هذا»، قالت آمرة. ونضح الماء من بين يديها وفي وجهها. «أوقفه حالًا!»

وما حدث أن الشق تحرك جانبًا من تحت أصابعها على مبعدة ست إنشات ونضح الماء فوق جديلتها وكتفها اليمنى.

فضمت شارمين يديها لتغطيه ثانية. «أوقف ذلك! أوقفه!»

فتحرك الصدع جانبًا مرة أخرى.

«هكذا تريد الأمر إذن، صحيح؟»، قالت للأنبوب وشددت قبضتها، فتحرك الصدع. تبعته بيديها، وفي لحظة أو نحوها حاصرته فوق المرشاش والماء ينضح بلا أذى في حوض الاستحمام ويسيل

إلى فتحة المصرف. أبقته هناك باتكائها على الأنبوب بيد واحدة، وهي تفكر فيما تفعله بعد ذلك. وقالت لنفسها في شيء من الهمهمة أتعجب أن پيتر لم يفكر في هذا، بدلًا من الجري وهو يلقي رُقًى لا جدوى منها. «أيها العم الكبير وليم»، نادت، «كيف أوقف تسريب أنبوب الحمام؟»

لم يأتها رد. ربما لم يكن هذا بالأمر الذي ظن العم الكبير وليم أنها تحتاج معرفته.

«لا أظنه يعرف الكثير عن أمور السباكة»، قال پيتر من الباب. «ولا شيء مفيد في الحقيبة أيضًا. لقد أخرجت كل ما فيها لأرى».

«أوه، أحقًا فعلت؟»، قالت شارمين بلؤم.

«نعم. بعض المتاع فيها مثير»، قال پيتر. «سأريك إذا...»

«الزم الهدوء ودعني أفكر!»، وبخته شارمين. أدرك پيتر أن شارمين متكدرة المزاج، فكف عن الكلام وانتظر أثناء وقوف شارمين في حوض الاستحمام واتكائها على الأنبوب تفكر. لقد أوقفت التسريب بطريقتين، حتى لا ينزلق مرة أخرى. فقد ثبّته في مكان واحد ثم غطيته، ولكن كيف. بسرعة، قبل أن تغرق قدماي بللًا. «پيتر»، قالت، «اذهب وأحضر لي مناشف مطبخ. ثلاثًا على الأقل».

«لماذا؟»، قال پيتر. «لا تنوين...»

«الآن!»، قالت شارمين.

وارتاحت لرؤية پيتر يذهب حانقًا وهو يرشرش الماء، متذمرًا من القطط المتسلطة النكدة. وتظاهرت شارمين بأنها لم تسمع، وأثناء ذلك لم تجرؤ على ترك الصدع وظل الصدع ينضح الماء وهي تزداد بللًا كل ثانية. أوه اللعنة على پيتر! فوضعت يدها الأخرى على الطرف البعيد من الشق وأخذت تدفع يديها وتمررهما معًا بأقوى ما تستطيع. «التحم!»، أمرت الأنبوب. «توقف عن التسريب والتحم!» فانبثق الماء بوقاحة في وجهها، وشعرت بأن الصدع يحاول المراوغة لكنها رفضت السماح له، بل دفعت ودفعت. أنا أجيد أفعال السحر! قالت للأنبوب، فقد ركبت رقية، وأستطيع أن أجعلك تلتحم! «فالتحم!»

ونجح الأمر. عندما عاد پيتر يخوّض في الماء بمنشفتين فقط، قائلًا إنهما كل ما عثر عليه، كان البلل قد وصل إلى ثياب شارمين الداخلية لكن الأنبوب عاد سليمًا. أخذت شارمين المنشفتين وربطتهما حول الأنبوب من كل جانب في مكان الصدع. ثم انتزعت الفرشاة طويلة الظهر من جانب الحوض -كانت الشيء الوحيد الذي يشبه كثيرًا متاع ساحر فيما رأت- وضربت على المنشفتين به.

«ابقيا هنا، لا تتحركا!»، قالت للمنشفتين، وضربت على الصدع الملتحم «وابقَ أنت مغلقًا»، قالت له، «وإلا رأيت الأسوأ!» بعد ذلك أدارت ظهر الفرشاة إلى رُقى پيتر الرمادية ذوات الفقاعات وضربتها أيضًا. «اذهبي!»، قالت لها. «اختفي! فأنت عديمة الفائدة!»، فاختفت كلها طائعة. تورد وجه شارمين لإحساسها بالقوة العظيمة،

فضربت على صنبور المياه الساخنة قرب ركبتيها. «عد إلى حرارتك»، قالت له، «ولنبتعد عن الكلام الفارغ! وأنت»، أضافت، مادَّةً يدها لتضرب على صنبور المياه الساخنة في المغسلة. «ليعد كلاكما إلى الحرارة، ولكن ليست حرارة شديدة، وإلا آذيتكما. أما أنتما فأبقيا على برودتكما»، أمرت الصنبورين الباردين، وهي تضربهما. خرجت أخيرًا من حوض الاستحمام برشرشة كبيرة وضربت الماء على الأرضية. «وأنت اذهب. هيا، جف، انصرف. اذهب، وإلا!»

خوّض پيتر إلى المغسلة، وفتح صنبور المياه الساخنة ومد يده تحته. «إنه دافئ!»، قال. «لقد فعلتها حقًا! هذا مريح. شكرًا».

«هه!»، قالت شارمين، وهي مبللة نكدة وتشعر بالبرد. «سأذهب لألبس ثيابًا أخرى جافة وأقرأ كتابًا».

سأل پيتر بشيء من الاستعطاف «ألن تساعديني في مسح الأرضيات إذن؟»

لم تجد شارمين سببًا يدفعها إلى ذلك، لكن عينيها وقعتا على ويف المسكينة، وهي تحاول الوصول إليها والماء يحيط بجانبها السفلي. كأن الفرشاة لم تنجح مع الأرضيات. «حسن»، تنهدت. «لكنني أنجزت عمل يوم سلفًا كما ترى».

«وكذلك فعلت أنا»، قال پيتر متأثرًا. «كنت أجري طوال اليوم وأنا أحاول إيقاف تسريب ذلك الأنبوب. لنجفف المطبخ على الأقل».

لما كانت النار لم تزل تتوهج وتطقطق في موقد المطبخ، فقد بدا المطبخ شبيهًا بحمام بخار. خوضت شارمين في الماء الفاتر وفتحت النافذة. وبخلاف أكياس الثياب الوسخة التي تتضاعف تضاعفًا محيرًا، والتي كانت ندية، فقد بدا كل شيء جافًا إلا الأرضية، وشمل هذا الحقيبة المفتوحة على الطاولة.

من وراء شارمين، تكلم پيتر بكلمات غريبة وتأوهت ويف.

استدارت شارمين لتجد پيتر مادًّا ذراعيه، واشتعلت ألسنة لهب صغيرة عليهما، من أصابعه إلى كتفيه. «جفي يا أيتها المياه على الأرضية!»، قال مترنمًا. فأخذت ألسنة اللهب تشتعل في شعره وعلى وجهه الرطب أيضًا. تغير وجهه من العجرفة إلى الخوف وقال «أوه يا ربي!» وتموجت ألسنة اللهب فوقه وأخذ يحترق بشدة. عندئذ بدا عليه الذعر الصريح. «إنها حارة! النجدة!»

هرعت إليه شارمين، وأمسكت بإحدى ذراعيه المشتعلتين ودفعته فوق الماء على الأرضية، ولم يُجدِ هذا نفعًا. فحملقت شارمين إلى المنظر الغريب لألسنة اللهب المشتعلة تحت الماء والفقاعات المبقبقة التي تظهر حول پيتر، حيث أخذ الماء يغلي، فجرَّته إلى الأعلى ثانية بسرعة كبيرة في مطر من الماء الساخن والبخار. «تراجع عنها!»، صاحت مبعدة يديها عن كمّه الحار. «أي رقية استخدمت؟»

«لا أعرف كيف أتراجع!»، بكى پيتر.

«أي رقية؟»، زعقت شارمين.

«كانت رقية لإيقاف الفيضانات في سفر الطروس»، هذر بيتر، «ولا علم لي بكيفية التراجع عنها».

«أوه إنك لغبي!»، صاحت شارمين. وشدته من كتف مشتعلة وهزته. «تراجعي أيتها الرقية!»، صاحت. «آوتش! آمرك أن تتراجعي أيتها الرقية في الحال!»

فأطاعتها الرقية. وقفت شارمين تهز يدها المحترقة وراقبت ألسنة النار تختفي في أزيز، وفي غيمة من البخار ورائحة شياط ورطوبة. وخلّفت بيتر بنيًا مسفّعًا في كل مكان. كان وجهه ويداه زهرية فاقعة وشعره أقصر قصرًا ملحوظًا. «شكرًا!»، قال يترنح بارتياح.

دفعته شارمين ليقف. «إف! تفوح منك رائحة الشعر المحروق! كيف لك أن تكون بهذا الغباء؟! ما الرقى الأخرى التي كنت تجربها؟»

«لا شيء»، قال بيتر، وهو يجرف قطعًا محروقة من شعره. كانت شارمين واثقة كل الثقة بأنه يكذب، وما كان له أن يعترف ولو كان ذلك صحيحًا. «كما أنها ليست بهذا الغباء»، قال مجادلًا. «انظري إلى الأرضية».

نظرت شارمين إلى الأسفل لترى أن الماء كاد يختفي، وعادت الأرضية بلاطات فحسب، رطبة ولامعة ويتصاعد منها البخار، لكنها لم تعد مغمورة بالمياه. «لقد كنت محظوظًا جدًا»، قالت.

«أنا محظوظ معظم الوقت»، قال بيتر. «تقول أمي هذا أيضًا كلما ركّبت رقية فاشلة. أظنني سأضطر إلى تغيير ثيابي».

«وأنا أيضًا»، قالت شارمين.

فدخلا من الباب الداخلي، وحاول بيتر الاستدارة يمينًا فدفعته شارمين يسارًا، فسارا ووصلا إلى غرفة الجلوس. تصاعد البخار من النضح الرطب على السجادة وجف بسرعة، لكن رائحة الغرفة لم تزل مريعة. نخرت شارمين، وأدارت بيتر ودفعته يسارًا من الباب مرة أخرى. هنا، كان الممر رطبًا، لكنه لم يعد مغمورًا بالمياه.

«أترين؟»، قال بيتر وهو يدخل غرفته. «لقد نجحت».

«هه!»، قالت شارمين وهي تدخل غرفتها أيضًا. أتساءل ماذا فعل أيضًا، فأنا لا أثق به قيد شعرة.

كانت أجمل ثيابها متسخة مبللة. خلعتها شارمين حزينة وعلقتها في الغرفة لتجف، وما كان لشيء أن يصلح أثر الحرق الكبير أسفل مقدمة سترتها الأجمل. عليها أن تلبس ثيابًا عادية غدًا عند ذهابها إلى القصر الملكي. وهل أجرؤ على ترك بيتر وحده هنا؟ تساءلت. أراهن أنه سيقضي الوقت في تجربة الرقى، أعلم أنه سيفعل. ثم رفعت كتفيها قليلًا، حين أدركت أنها ليست بأفضل حالًا من بيتر صدقًا، فهي لم تقاوم الرقى في سفر الطروس أيضًا.

أخذت تشعر بمزيد من العطف على بيتر عندما عادت إلى المطبخ، وهي جافة مرة أخرى إلا شعرها وتلبس ثيابها القديمة وخفها.

«اعرفي لنا كيف نحصل على العشاء»، قال بيتر حين وضعت

شارمين حذاءها ليجف قرب المصطلى. «أنا أتضور جوعًا». كان يبدو أكثر ارتياحًا في بدلته الزرقاء القديمة التي جاء بها.

«يوجد طعام في الحقيبة التي أحضرتها أمي البارحة»، قالت شارمين مشغولة بترتيب حذائها في أفضل مكان.

«لا، ليس فيها طعام»، قال پيتر. «لقد أكلته على الغداء».

كفت شارمين عن الإحساس بالعطف على پيتر. «يا لك من خنزير جشع»، قالت وهي تضرب على المدفأة لتحصل على طعام لويف. وويف، رغم كل الفطائر التي تناولتها في القصر الملكي، فرحت برؤية آخر صحن للكلاب. «وأنت خنزيرة جشعة»، قالت شارمين تراقب ويف تزدرد الطعام. «أين تضعين كل هذا؟ كيف نحصل على العشاء أيها العم الكبير وليم؟»

كان الصوت الحنون خافتًا. «اطرقي على باب حجرة المؤن وقولي «العشاء» يا عزيزتي».

فذهب پيتر إلى باب حجرة المؤن أولًا. وجأر قائلًا «عشاء!»، وهو يخبط بقوة على الباب.

سمع كلاهما صوتًا مكعبرًا خابطًا من الطاولة، فدار كلاهما لينظرا. هناك، قرب الحقيبة المفتوحة، كانت قطعة لحم صغيرة وبصلتان ورأس لفت. فحملقت إليها شارمين وپيتر.

«كلها نيئة!»، قال پيتر مذهولًا.

«وليست كافية أيضًا»، قالت شارمين. «أتعرف كيف تطبخها؟»

«لا»، قال بيتر. «أمي هي من تطبخ في بيتنا».

«أوه!»، قالت شارمين. «صدقًا!»

الفصل التاسع

وفيه يتبين أن لبيت العم الكبير وليم دروبًا عديدة

ولا حاجة إلى القول إن شارمين وپيتر اجتمعا عند الموقد، وابتعدت ويف عن طريقهما حين طرقا على رف الموقد وصاحا، واحدًا في إثر واحد «الإفطار!»، لكن هذه الرقية لا تعمل جيدًا إلا صباحًا كما تبين.

«ما كنت لأرفض حتى أسماك الرنجة»، قالت شارمين وهي تبحث بائسة في الصينيتين. كان فيهما لفافات وعسل وعصير برتقال، ولا شيء آخر.

«أعرف كيف أسلق البيض»، قال پيتر. «هل ستأكل ويف قطعة اللحم هذه؟»

«ستأكل أي شيء»، قالت شارمين. «إنها سيئة مثل... مثلنا. لكني لا أظنها ستأكل اللفت. وأنا لن أفعل».

لم يشبعهما العشاء الذي تناولاه، فالبيض الذي سلقه پيتر صلب، وكي يصرف انتباه شارمين عنه، سألها عن وقتها في القصر

الملكي. فأخبرته شارمين رغبةً في صرف ذهنيهما عن عدم توافق البيض المسلوق مع العسل. وتعجب پيتر لبحث الملك عن الذهب، وازداد عجبًا بقدوم مورغن وتونكل.

فقال «وعفريت نار؟ طفلان لهما قوى سحرية وعفريت نار! أراهن أن الأميرة شُغلت كثيرًا. ما مدة إقامتهم؟»

«لا أعرف، لم يذكر ذلك أحد»، قالت شارمين.

«أراهنك باثنين من شاي العصرية وواحدة من قهوة الصباح أن الأميرة ستطردهم قبل حلول نهاية الأسبوع»، قال پيتر. «هل أنهيت طعامك؟ أريدك أن تلقي نظرة على محتوى حقيبة عمك الكبير».

«لكني أريد أن أقرأ كتابًا!»، قالت شارمين معترضة.

«لا، لا تريدين»، قال پيتر. «يمكنك فعل ذلك في أي وقت، لكن هذه الحقيبة مليئة بالمتاع الذي يجب أن تعرفيه. سأريك». فدفع صينية الإفطار جانبًا وسحب الحقيبة أمامها. تنهدت شارمين ووضعت نظارتها.

كانت الحقيبة طافحة بالورق، وفي أعلاه ملاحظة بخط العم الكبير وليم الجميل المرتعش تقول «إلى شارمين. مفاتيح البيت». وتحتها ورقة كبيرة رُسمت عليها خطوط متشابكة كالدوامة، وللخطوط مربعاتُ تسمياتٍ بينها فواصل، وكل خط ينتهي بسهم عند طرف الصفحة، كتبت بجانبه كلمة «لم يُكتشف».

«هذا هو المختصر»، قال پيتر لما رفعت شارمين الورقة. «أما

باقي المتاع في الحقيبة فالخريطة الكاملة. إنها مطوية. انظري». فأخذ الورقة التالية وسحبها، فخرجت معها الورقة التالية، ثم التي تليها، مطوية إلى الأمام وإلى الخلف لتتسع لها الحقيبة، وخرجت على الطاولة في شكل متعرج هائل. نظرت شارمين إليها ممتعضة. فقد رُسم على كل جزء منها غرف وممرات رسمًا دقيقًا، وكتبت ملاحظات بجانب كل شيء. قالت الملاحظات أشياء من هذا القبيل «استديري يسارًا مرتين هنا»، «وخطوتين يمينًا وواحدة يسارًا هنا». كان في الغرف مربعات للكتابة، بعضها بسيط مثل «المطبخ»، وبعضها بليغة كالتي تقول «مخزن معداتي السحرية، يُعاد التزود بها بوساطة رقية أفخر بها. أرجو أن تدرك أن المكونات على الجدار الأيسر بالغة الخطورة ويجب التعامل معها بحذر شديد». وبدت بعض الصفحات المتلاصقة ممرات متقاطعة معنونة بـ«إلى القسم الشمالي غير المرتاد»، «إلى الكوبولد»، «إلى الصهريج الرئيس»، أو «إلى صالة الرقص: وأشك في أننا سنجد فائدة لهذه يومًا».

«لقد أصبتُ في تركي هذه الحقيبة مغلقة»، قالت شارمين. «إنها أكثر الخرائط إثارة للحيرة مما رأيت في حياتي! لا يمكن أن تكون كلها لهذا البيت!»

«بلى. إنه ضخم»، قال بيتر. «وإن أمعنت النظر سترين أن طريقة طي الخريطة إشارة إلى كيفية الوصول إلى أقسامه المختلفة. انظري، هذه غرفة الجلوس في الصفحة العلوية، ولكن إن انتقلت إلى الصفحة

التالية، فلن تري غرفة مكتبته أو غرف النوم لأنها مطوية في الخلف، انظري. بل تصلين إلى المطبخ لأنها مطوية بالطريقة نفسها...»

أخذ رأس شارمين يدور وسدت أذنيها عن شروحات پيتر المتحمسة. ونظرت إلى الخطوط المدوّمة على قطعة الورق التي في يدها، إذ تكاد تكون أسهل. فهي تستطيع على الأقل أن ترى «المطبخ» وسطها، و«غرف النوم» و«حوض السباحة» و«غرفة المكتبة». «حوض السباحة؟» ليس صحيحًا، أليس كذلك؟ وأدت دوامة مثيرة إلى اليمين تحت هذه المربعات إلى شبكة تضم مربعًا كتب عليه «غرفة الاجتماعات»، وخرج سهم من هذا المربع يقول «إلى القصر الملكي».

قالت «أوه! يمكن الوصول إلى بيت الملك من هنا!»

«... خارجًا إلى مرج الجبل الذي يقول «الإسطبلات»، ولكني لا أعرف كيف نصل إلى هناك من مشغله بعد»، أوضح پيتر، وهو يبسط خطًا متعرجًا آخر من الصفحات. «وهنا «مخزن الطعام». يقول «رقى الثبات شغّالة»، أتساءل كيف نلغيها. ولكن ما يثير اهتمامي أماكن مثل هذا، حيث كتب «مكان للتخزين. سقط المتاع فقط؟ لا بد من التحقق منه ذات يوم». أتظنين أنه أنشأ هذا المكان المطوي بنفسه؟ أم أنه وجده عندما سكن البيت؟»

«وجده»، قالت شارمين. «من الأسهم التي تقول «غير مكتشف» ترى أنه لم يعرف بعد ما يوجد هناك».

«ربما تكونين على صواب»، قال بيتر بحصافة. «فهو لا يستخدم إلا الأجزاء الوسطى، صحيح؟ يمكننا أن نسدي إليه معروفًا فنستكشف المزيد منه».

«يمكنك إن شئت»، قالت شارمين. «سأذهب لقراءة كتابي». وطوت الورقة ذات الخطوط المتشابكة ودستها في جيبها، فقد توفر عليها رحلة الصباح.

في الصباح، لم تزل ثياب شارمين الأنيقة رطبة، فتعين عليها أن تتركها معلقة بائسة في غرفتها وتلبس ثاني أجمل ثيابها، وهي تتساءل إن أمكنها ترك ويف مع بيتر اليوم. لا تظن ذلك. فلربما جرب بيتر رقية ثانية واجتهد في قلب ويف من الداخل إلى الخارج أو شيء من هذا القبيل. جاءت ويف تركض خلف شارمين إلى المطبخ متحمسة، فنقرت شارمين المدفأة للحصول على طعام الكلاب، ثم بشيء من الشك نقرت للحصول على الإفطار. فلربما أبطلت هي وبيتر الرقية لأنهما طلبا الإفطار مساء البارحة.

ولكن، لا. حصلت اليوم على صينية كاملة، ولها أن تختار بين الشاي أو القهوة، وشرائح الخبز وصحن تكدس فيه عاليًا شيء معدٌّ من السمك والأرز، وثمرة خوخ تأكلها بعدها. قالت لنفسها أظن الرقية تعتذر. لم يعجبها السمك كثيرًا، فأعطت معظمه لويف التي أحبته مثلما تحب الطعام دائمًا وفاحت منها رائحة السمك وهي تركض خلف شارمين التي بسطت ورقتها المحيرة، مستعدة للذهاب إلى القصر الملكي.

حيّر شارمين النظرُ إلى الدوامات، ورأت أنها أكثر حيرة من المخطط في الحقيبة. فطوت الورقة إلى الخلف وإلى الأمام لتحاول أن تعيد ما كان في الحقيبة لكنه لم ينفعها. وبعد عدة دورات يمينًا ويسارًا، وجدت أنها تدخل مكانًا كبيرًا حسن الإضاءة بفضل النوافذ الكبيرة المطلة على النهر. لاح خلف النهر منظر جميل للمدينة، إذ استطاعت بكثير من الإحباط أن ترى السطح الذهبي للقصر الملكي يتلألأ في نور الشمس.

«لكني أحاول الذهاب إلى هناك، لا إلى هنا!»، قالت وهي تنظر حولها.

كان تحت النوافذ طاولات زُرق طويلة، مثقلة بأدوات غريبة ومزيد من الأدوات المكدسة وسط الغرفة. وملأت الجدرانَ الأخرى رفوفٌ رصت عليها مرطبانات وعلب صفيح وأوانٍ زجاجية غريبة الأشكال. تنشقت شارمين رائحة الخشب الجديد، الذي طغت عليه رائحة العاصفة الرعدية والتوابل التي تنشقتها في مكتبة العم الكبير وليم. وخطر لها أنها رائحة إتمام عمل سحري. لا بد أن هذا مشغله، وويف تعرف المكان جيدًا، فهي تركض في المكان مبتهجة.

«هيا يا ويف»، قالت شارمين متوقفة لتنظر إلى الورقة فوق الأدوات الغريبة وسط الغرفة، إذ تقول «يرجى عدم اللمس». «لنعد إلى المطبخ ونبدأ من جديد».

لم تنجح بهذه الصورة، فقد أخذهما الانعطاف يسارًا من المشغل إلى مكان شديد الدفء مفتوح على السماء، تموّج فيه حوض أزرق

صغير وسط محيط من الحجر الأبيض. سُيّج المكان بتعريشات من الحجر الأبيض ينمو عليها الورد، وقرب الزهور كراسي استرخاء بيضاء، كومت عليها مناشف كبيرة ناعمة، جاهزة للاستخدام بعد السباحة، كما افترضت شارمين. لكن ويف المسكينة اعتراها الذعر من هذا المكان، فجثمت قرب البوابة، تتأوه وترجف.

حملتها شارمين. «هل حاول أحد إغراقك يا ويف؟ هل كنت جروًا لم يرغب فيه أحدهم؟ لا بأس. لن أقترب من هذا الماء أنا أيضًا، فلست أجيد السباحة». ودارت يسارًا من البوابة، فخطر لها أن السباحة واحدة من من أشياء كثيرة لا تجيدها. وبيتر محق في استنكاره جهلها. «ليس هذا عائدًا إلى كسلي»، أوضحت لويف عندما وصلا إلى الإسطبلات، «أو غبائي. لكنني لم أكترث بتعلم طريقة أمي في القيام بالأشياء، كما ترين».

كانت رائحة الإسطبلات كريهة، وشعرت شارمين بالارتياح لرؤية أن الجياد التي تسكنها كانت في مرج يقع خلف سياج. وكانت الخيول من الأمور التي لا تعرف عنها شيئًا، لكن ويف لم تشعر بالخوف هنا على الأقل.

تنهدت شارمين وأنزلت ويف، ولملمت نظارتها ونظرت إلى المخطط المحير المعقد ثانية. كانت «الإسطبلات» هنا، في مكان ما من الجبال العالية. واحتاجت إلى دورتين يمينًا من هناك لتعود إلى المطبخ، ودارت يمينًا مرتين وويف تتهادى خلفها ووجدت نفسها في شبه عتمة خارج كهف كبير مزدحم بالكوبولد الزرق

المتعجلين. التفت كل واحد منهم ونظر إلى شارمين شزرًا، فدارت مسرعة نحو اليمين. ووجدت نفسها هذه المرة في مخزن للفناجين والأطباق وأباريق الشاي. تأوهت ويف، ونظرت شارمين إلى مئات الأباريق المصفوفة على الرفوف، من كل لون وحجم وأخذ يصيبها الهلع. تأخر الوقت، والأسوأ أنها حين وضعت نظارتها وتفحصت المخطط، وجدت أنها في مكان قريب من أسفل الجزء الأيسر من الدوامات، حيث يشير السهم إلى الطرف الذي يحمل ملاحظة تقول «تعيش مجموعة من اللوبوكن أسفل هذا الطريق. الحذر واجب».

«أوه»، قالت شارمين. «هذه سخافة! هيا بنا يا ويف». وفتحت الباب الذي جاءتا منه قبل قليل ودارتا يمينًا مرة أخرى.

كانتا هذه المرة في ظلام دامس، وشعرت شارمين بويف تتشمم قلقة عند كاحليها. تنشقت كلتاهما وقالت شارمين «آه!»، كان لهذا المكان رائحة حجر رطب تذكرتها من اليوم الذي وصلت فيه إلى البيت. فسألت «أيها العم الكبير وليم، كيف أخرج من هنا إلى المطبخ ثانية؟»

وارتاحت كثيرًا لما أجابها الصوت الحنون، وكان خافتًا جدًا وبعيدًا. «إن كنت هناك يا عزيزتي، فقد ضللت الطريق، اسمعي جيدًا. دوري دورة واحدة في اتجاه عقارب الساعة...»

ما عادت شارمين في حاجة إلى الاستماع، وبدلًا من أن تدور دورة كاملة، أخذت حذرة نصف دورة ونظرت إلى الأمام. وقطعًا

كان أمامها ممر حجري خافت الإنارة، يتقاطع مع الممر الذي تقف فيه. فسارت نحوه شاكرة وويف تجري خلفها، وانعطفت إلى ذلك الممر. عرفت أنها في القصر الملكي الآن، فهذا الممر نفسه الذي رأت فيه سِم يدفع عربة في يومها الأول في بيت العم الكبير وليم. لم تفُح منه رائحة مناسبة فحسب -روائح طعام خفيفة تغطي على رائحة الحجر الرطب- لكن الجدران لها هيئة القصر الملكي المعهودة، بالمربعات والمستطيلات الأفتح لونًا في مكان الصور المزالة. والمشكلة الوحيدة أنها لم تعرف في أي مكان من القصر كان هذا، ولم تساعدها ويف، فقد ألصقت نفسها بكاحل شارمين وارتعشت.

حملت شارمين ويف وسارت إلى آخر الممر، راجية أن تجد مكانًا تعرفه. وانعطفت زاويتين دون أن تعرف شيئًا ثم كادت تصطدم بالرجل الرتيب الذي قدم الفطائر البارحة. فقفز إلى الوراء، وقد دهش كل الدهشة.

«يا ربي»، قال ناظرًا إلى شارمين في العتمة. «لم أعلم أنك وصلت يا آنسة... إه... تشارمنغ، صحيح؟ هل ضللت الطريق؟ هل أساعدك؟»

«أجل من فضلك»، قالت شارمين بدهاء. «ذهبت إلى... إلى.. إه.. أم... تعرف، للسيدات، ولا بد أني سلكت الطريق الخطأ بعدها. هلا أخبرتني بطريق العودة إلى المكتبة؟»

«بل أستطيع أن أفعل أفضل من ذلك»، قال الرجل الرتيب. «سأقودك، اتبعيني فقط».

فدار وتقدم عائدًا من حيث أتى في ممر معتم آخر، وعبر بهو بارد حيث قلبة من الدرج الحجري تؤدي إلى الأعلى. أخذ ذيل ويف يختلج قليلًا كأنها وجدت المكان مألوفًا. لكن ذيلها توقف عن الحركة عندما وصلوا أمام الدرج. إذ جاء صوت مورغن هادرًا من أعلى القلبة.

«لا أريد! لا أريد! لا أريد!»

وانضم إلى صوته صوتُ تونكل الحاد «لن أضع هذه الملابث! أريد الملابث المختتة [المخططة]!»

وتردد صوت صوفي پندراغن أيضًا «لتلزما الهدوء! وإلا سأفعل شيئًا رهيبًا، إني أحذركما! لقد نفد صبري!»

فأجفل الرجل الرتيب، وقال لشارمين «يضفي الأطفال الصغار حياة على المكان، أليس كذلك؟»

نظرت شارمين إليه وهي تنوي أن تهز رأسها موافقة وتبتسم. لكن شيئًا جعلها ترتجف بدلًا من ذلك، ولم تعرف السبب. واستطاعت أن تومئ إيماءة صغيرة فقط قبل أن تتبع الرجل الرتيب إلى قنطرة تلاشى فيها هدير مورغن وصراخ تونكل من بعيد.

عند زاوية أخرى، فتح الرجل الرتيب بابًا عرفته شارمين بأنه باب المكتبة. «وصلت الآنسة شارمين يا مولاي»، قال وهو ينحني.

«أوه، جيد»، قال الملك، وهو يرفع نظره عن الكتب ذوات الأغلفة الجلدية. «ادخلي واجلسي يا عزيزتي. وجدت مجموعة

لامحدودة من الأوراق لك ليلة البارحة. لم أعرف أن عندنا الكثير هكذا».

شعرت شارمين بأنها لم تغادر قط. جلست ويف، وتدحرجت وبطنها إلى الأعلى في الحرارة المنبعثة من المجمرة. وجلست شارمين هي الأخرى أمام كومة متداعية من الأوراق مختلفة الأحجام، ووجدت قلمًا وورقة وبدأت العمل. كان المكان مؤنسًا جدًّا.

بعدها قال الملك «ظن أحد أسلافي -الذي كتب هذه اليوميات- نفسه شاعرًا. ما قولك في هذه؟ إلى محبوبته طبعًا.

«ترقصين برشاقة عنزة، يا حبي

وتغنين بنعومة مثل بقرة في الجبال».

«أتصفين هذا بالرومانسية يا عزيزتي؟»

ضحكت شارمين «إنه فظيع. أرجو أنها هجرته. إه... يا صاحب الجلالة، من الرجل الر... إه... الرجل المحترم الذي أدخلني قبل قليل»

«أتعنين قهرماني؟»، قال الملك. «أتعرفين أنه معنا منذ سنوات وسنوات وسنوات، ولا أستطيع تذكر اسم الرجل المسكين. عليك أن تسألي الأميرة يا عزيزتي، فهي تتذكر أشياء من هذا القبيل».

فقالت شارمين لنفسها آه، طيب. سأناديه الرجل الرتيب إذن.

مر اليوم بسلام. وشعرت شارمين بأن هذا تغيير سارّ بعد البداية

المفعمة بالتوتر. صنّفت الأوراق ودونت الملاحظات عن فواتير يعود تاريخها إلى مئتي عام، وفواتير من مئة عام، وفواتير من أربعين سنة. الغريب أن الفواتير الأقدم كانت لمبالغ مالية أكبر من نظيرتها الأحدث، وكأنما نفقات القصر الملكي آخذة في التناقص. كما صنفت شارمين الرسائل من أربعمئة سنة، وتقارير أحدث من السفراء في سترانغيا وإنغري وراجيُت. أرسل بعض السفراء قصائد، وقرأت شارمين أسوأها على الملك. وفي أسفل كومة الأوراق وجدت إيصالات، وأوراقًا تقول أشياء من مثل «أجر صورة شخصية لسيدة، يُظن أنها ستكون تحفة رائعة، ٢٠٠ جنيه»، أخذت تظهر أكثر فأكثر، وكلها تعود إلى ستين عامًا مضت. وخيّل إلى شارمين أن القصر الملكي كان يبيع لوحاته في فترة حكم الملك، وعزمت على ألا تسأل الملك عنها.

وصل الغداء، مزيد من أطباق جمال الشهية الحرّيفة. عندما أحضره سِم، قفزت ويف تهز ذيلها، وتوقفت وقد بدت الخيبة على وجهها وركضت خارجة من المكتبة. ولم تعرف شارمين إن كانت ويف تريد كلب الطاهي أم الغداء، لكنها ترجح الغداء.

عندما وضع سِم الصحفة على الطاولة، سأل الملك مرحًا «كيف تجري الأمور هناك الآن يا سِم؟»

«بقليل من الضوضاء يا مولاي»، أجاب سِم. «لقد تلقينا قبل قليل الحصان الهزاز السادس. يبدو أن السيد مورغن راغب في قرد حي، ويسعدني أن أقول إن السيدة پندراغن رفضت أن تسمح له

به، فنجم عن ذلك هرج ومرج. كما أن السيد تونكل مقتنع بأن أحدًا يمنع عنه بنطالًا مخططًا، وكان شديد الغضب بسبب ذلك صباح اليوم يا مولاي. واتخذ عفريت النار من النار في الردهة الأمامية مسكنًا له باختياره. هل ستشرب الشاي معنا في الردهة الأمامية اليوم يا مولاي؟»

«لا أظن ذلك»، قال الملك. «ليس عندي اعتراض على عفريت النار، ولكن المكان يغدو مزدحمًا قليلًا بوجود كل هذه الأحصنة الهزازة. فتكرّم بجلب بعض الفطائر الصغيرة لنا هنا في المكتبة إن سمحت يا سِم».

«من غير شك يا مولاي»، قال سِم، وهو يتراجع مرتجفًا.

عندما أغلق الباب، قال الملك لشارمين «ليست الأحصنة الهزازة هي السبب، وأنا أحب الضوضاء. لكن هذا يذكرني بأني كنت أحب أن أصبح جدًا. آسف على هذا».

«إه...»، قالت شارمين، «يردد الناس في المدينة أن الأميرة هلدا خُذلت في الحب، ألهذا لم تتزوج قط؟»

كأنما فوجئ الملك. «ليس بما أعرف»، قال. «لقد اصطف أمراء ودوقات سنوات للزواج بها عندما كانت أصغر سنًا. لكنها ليست من النوع الذي يناسبه الزواج، ولم تتمنَ الأمر، وهذا ما تقوله لي. تفضّل حياتها هنا ومساعدتي، لكنها خسارة. سيكون وريثي الأمير لودڤيك، ابن أحمق لابن عمي. ستلتقينه قريبًا، إن استطعنا تحريك حصان هزاز

أو نحوه، أو لعلها ستستخدم الردهة الكبيرة بدلًا من ذلك. لكن الخسارة الحقيقية ألا يكون في القصر مزيد من الشباب هذه الأيام».

لم يُظهر الملك تعاسة كبيرة، فقد بدا راضيًا بالأمر الواقع أكثر من كونه حزينًا، لكن شارمين حزنت فجأة على حال القصر الملكي، ضخم وخالٍ وحزين. «أفهمك يا صاحب الجلالة».

ابتسم الملك وقضم من طعام جمال الشهي، وقال «أعرف أنك تفهمين، فأنت شابة شديدة الذكاء. سترفعين رأس العم الكبير وليم ذات يوم».

طرفت شارمين بعينيها لهذا الوصف قليلًا، ولكن قبل أن يزداد توترها من هذا الثناء، أدركت ما الذي أغفله الملك. فقالت في نفسها بقليل من الحزن قد أكون ذكية، لكني لست باللطيفة ولا العطوفة، بل لعلي قاسية القلب. انظر إلى معاملتي لپيتر.

وفكرت في هذا ما بقي من العصرية، وعندما حان الوقت للتوقف وعاد سِم إلى الظهور وويف تتجول خلفه، وقفت شارمين وقالت «شكرًا لك على لطفك الجم معي يا صاحب الجلالة».

فوجئ الملك وأخبرها ألا تهتم بهذا. فقالت لنفسها لكني أهتم. فقد كان شديد اللطف ويجب أن يكون هذا درسًا لي. عزمت شارمين على أن تكون لطيفة مع پيتر عندما تعود إلى بيت العم الكبير وليم، وهي تتبع سير سِم الوئيد وويف التي بدت ناعسة سمينة جدًا تسعى وراءهما.

كاد سِم يصل إلى الباب الأمامي، عندما تجاوزه تونكل مندفعًا من مكان ما، يدحرج طوقًا كبيرًا بنشاط. ولحق به مورغن مسرعًا، مادًا كلتا ذراعيه ويجأر «أوق، أوق، أوق! [طوق]» أخذ سِم يدور، وحاولت شارمين أن تلصق نفسها بالجدار حين انطلق تونكل عائدًا كالسهم. مرت بها لحظة ظنت فيها أن تونكل نظر إليها نظرة غريبة متفحصة وهو يركض قربها، لكن نباح ويف جعلها تهرع لإنقاذها ولم تعد إلى التفكير في الأمر. قلبت ويف رأسًا على عقب فغضبت كثيرًا من ذلك، وحملتها شارمين وكادت تصطدم بصوفي پندراغن وهي تلاحق مورغن.

«من أي اتجاه؟»، قالت صوفي لاهثة.

أشارت إليها شارمين، فرفعت صوفي تنورتها عاليًا وركضت، تغمغم شيئًا عن الأمعاء ورباط الساق[1].

ظهرت الأميرة هلدا من بعيد وتوقفت لتجر قدم سِم. «أعتذر حقًا يا آنسة تشارمنغ»، قالت عندما وصلتها شارمين. «ذلك الطفل سمكة إنقليس، بل كلا الطفلين. عليَّ اتخاذ الخطوات اللازمة، وإلا لن يبقى للمسكينة صوفي انتباه تحل به مشاكلنا. هل أنت بخير الآن يا سِم؟»

---

(١) هذا تعبير اصطلاحي. عندما تقول إنك ستحول أمعاء أحد إلى رباط للساق، فذلك يعني أنك ستنزل به أشد العقاب.

«تمامًا يا سيدتي»، قال سم وانحنى إلى شارمين وسمح لها بالخروج من الباب الأمامي إلى نور شمس العصر الساطع، كأن شيئًا لم يحدث.

وكلمت شارمين نفسها وهي تمشي في الساحة الملكية وويف بين ذراعيها، قائلة إن تزوجتُ يومًا، فلن أنجب الأطفال، لأنهم سيجعلوني قاسية غليظة القلب بعد أسبوع. ربما سأفعل ما فعلته الأميرة هلدا ولا أتزوج أبدًا. هكذا، قد تسنح لي الفرصة لأتعلم اللطف. على أي حال، سأتمرن على بيتر، لأنه مُجِدٌّ في العمل.

كانت مفعمة بالعزيمة الطيبة الثابتة عندما وصلت إلى بيت العم الكبير وليم. وساعدها في ذلك عدم وجود أثر لرولو، وهي تمشي الدرب بين صفوف الكوبية الزُّرق. فقد أيقنت أن التلطف مع رولو أمر لن تفعله أبدًا.

«ليس بالأمر الممكن إنسانيًا»، عقبت لنفسها وهي تنزل ويف على سجادة غرفة الجلوس. أثارت الغرفة ذهولها لنظافتها وترتيبها على غير العادة. كل شيء مرتب، من الحقيبة الموضوعة بأناقة بجانب واحد من الكراسي ذوات المسندين إلى الزهرية المليئة بزهور الكوبية المتعددة الألوان على طاولة القهوة. قطبت شارمين جبينها لهذه الزهرية. فقد كانت قَطعًا الزهرية التي اختفت عندم وضعها على العربة. ربما طلب بيتر قهوة الصباح وعادت الزهرية، كما خطر لها بشيء من الحيرة لأنها تذكرت فجأة أنها تركت ملابس رطبة في أنحاء غرفتها وأغطية السرير تتدلى على الأرض. اللعنة! علي أن أرتب.

فوقفت قليلًا بباب غرفتها، لقد رتب أحد فراشها. وثيابها، وقد جفت، مطوية أعلى خزانة الأدراج. كانت إهانة، وانطلقت شارمين إلى المطبخ كالعاصفة، تشعر بأي شيء إلا اللطف.

كان پيتر جالسًا إلى طاولة المطبخ، ويبدو شديد الصلاح فعرفت شارمين أنه بصدد القيام بشيء. وراءه على النار قدر كبيرة سوداء تغلي فوَّاحةً بروائح غريبة شهية خافتة.

«ماذا تقصد بترتيبك غرفتي؟»، سألته شارمين.

تألم پيتر، رغم يقين شارمين بأنه يضج بأفكار مثيرة سرية. «ظننتك ستسعدين»، قال.

«لم أفعل!»، قالت شارمين. وتعجبت لما رأت أنها تكاد تبكي. «لقد بدأت أتعلم أن الشيء سيظل مرميًا على الأرض حيث ألقيته ما لم أرفعه، وإذا عثت فسادًا في المكان فأنا مَن عليه ترتيبه لأنه لن يترتب من تلقاء نفسه، ثم تذهب أنت وترتبه لي! إنك سيئ مثل أمي!»

«توجب عليّ فعل شيء ما دمت وحدي طوال النهار»، اعترض پيتر. «أم أنك تنتظرين مني أن أكتفي بالجلوس».

«يمكنك فعل ما تشاء»، صاحت شارمين. «ارقص، أو قف على رأسك. اسخر من رولو، ولكن لا تفسد عليّ مسيرتي في التعلّم!»

«خذي راحتك في التعلم»، رد عليها پيتر. «فأمامك درب طويل. لن ألمس غرفتك ثانية. أأنت مهتمة بمعرفة الأشياء التي تعلمتها اليوم؟ أم أنك شديدة الأنانية؟»

غالبت شارمين دمعها. «كنت أنوي أن أحسن إليك هذا المساء، لكنك جعلت الأمر شديد الصعوبة».

«تقول أمي إن الصعوبات تساعدك على التعلم»، قال بيتر. «يجب أن تفرحي. سأخبرك بشيء واحد تعلمته اليوم وهو كيف نحصل على عشاء كافٍ». فأشار بإبهامه إلى القدر التي تغلي، ولُفّ حول تلك الإبهام خيط أخضر، أما الإبهام الأخرى فلف حولها خيط أحمر وواحدة من أصابعه تحلت بخيط أزرق.

كان يحاول الذهاب في ثلاثة اتجاهات في وقت واحد، هذا ما خطر لشارمين. فقالت وهي تحاول جاهدة لتبدي الود «كيف تحصل على عشاء كافٍ إذن؟»

«واصلت الطرق على باب حجرة المؤن»، قال بيتر، «حتى هبطت أشياء كافية على الطاولة. ثم وضعتها في هذه القدر لأسلقها».

نظرت شارمين إلى القدر «أي أشياء؟»

«كبدة ولحم مقدد»، قال بيتر. «ملفوف، المزيد من اللفت وقطعة من لحم الأرنب. بصل وقطعتان من رِيَش اللحم وكراثة. كان ذاك سهلًا حقًا».

قالت شارمين في نفسها ياع! ولئلا تقول شيئًا بالغ الوقاحة، استدارت للذهاب إلى غرفة الجلوس.

ناداها بيتر «ألا تريدين أن تعرفي كيف استعدت زهرية الورد؟»

«جلست على العربة»، قالت شارمين ببرود، وذهبت لتقرأ

العصا السحرية ذات الأغصان الاثني عشر. لكن هذا لم يُجدِ نفعًا، فقد ظلت ترفع نظرها لترى زهرية الكوبية ثم تنظر إلى العربة وتتساءل إن كان بيتر قد جلس على العربة فعلًا واختفى مع شاي العصرية، ثم تساءلت عن عودته. وكلما نظرت أدركت أن عزمها على الإحسان إلى بيتر لم يتحقق منه شيء. فاحتملت ذلك ما يقارب الساعة وعادت إلى المطبخ وقالت «أعتذر. كيف استعدت الزهور؟»

كان بيتر يقلّب الأشياء في القدر بملعقة. «لا أظن هذا ناضجًا بعد، فهذه الملعقة تتذبذب»، قال.

«أوه، هيا»، قالت شارمين. «لقد تأدبت».

«سأخبرك على العشاء»، قال بيتر.

ووفى بوعده بصورة تثير الحنق، فلم يكد ينطق كلمة ساعةً، حتى سكب محتوى القدر في وعاءين. لم تكن قسمة الطعام بالأمر السهل لأن بيتر لم يهتم بتقشير أي شيء أو تقطيعه قبل وضعه في القدر، فتوجب عليها تقطيع الملفوف بملعقتين. ولا تذكَّر بيتر أن اليخنة تحتاج ملحًا. كل شيء -لحم مقدد أبيض وكتلة كبيرة من لحم الأرنب، وملفوفة صحيحة وبصل رخو- طاف في عصير خفيف تفه. وللتلطف في التعبير نقول إن الطعام شنيع. ولم تقل شارمين إنه كذلك، لأنها تبذل قصارى جهدها لتكون لطيفة.

والحسنة الوحيدة أن ويف أحبته، فلعقت العصير الخفيف ثم

أكلت حذرة قطع اللحم من بين الملفوف. وفعلت شارمين الأمر نفسه وحاولت ألا ترتجف، فقد سرّها أن تصرف انتباهها بالاستماع إلى ما عند پيتر من كلام.

«هل أنت على علم»، بدأ بالقول بشيء من التفاخر رأته شارمين. لكنها عرفت أنه رتب الأمر في ذهنه على شكل قصة وسيرويها كما رتبها. «هل أنت على علم بأن الأشياء حين تختفي من العربة تعود إلى الماضي؟»

«حسن، أحسب أن الماضي مكب نفايات جيد»، قالت شارمين. «وما دمت واثقًا حقًا أنه الماضي وأن الأشياء لا تتعفن...»

«أتريدين الاستماع أم لا؟»، سألها پيتر.

كوني لطيفة، قالت شارمين لنفسها. وأكلت قطعة أخرى من الملفوف المريع وهزت رأسها إيجابًا.

«وأن أجزاء من هذا البيت تقع في الماضي؟»، تابع پيتر. «تعرفين أني لم أجلس على العربة، بل ذهبت أستكشف حاملًا قائمة من الدروب التي أحتاج معرفتها وعرفتها بطريق الصدفة. لا بد أنني ضللت مرة أو اثنتين».

لا يفاجئني هذا، قالت شارمين لنفسها.

«على أي حال»، قال پيتر، «وصلت إلى مكان فيه مئات من سيدات الكوبولد وكلهن يغسلن أباريق الشاي ويضعن الطعام على صوانٍ من أجل طعام الإفطار والشاي وما إلى ذلك. وقد أصابني

شيء من القلق منهن، ذلك بسبب إغضابك الكوبولد في أمر الكوبية، لكني حاولت إبداء اللطف وأنا أمر بينهن وأومئ وأبتسم وما إلى ذلك. وفوجئت عندما بادلنني الإيماء والابتسام لي وقلن «صباح الخير» بود تام. لذا واصلت الإيماء والابتسام والسير، حتى وصلت إلى غرفة لم أرها من قبل. وعندما فتحت الباب، كان أول ما رأيته زهرية الورد موضوعة أمام طاولة طويلة طويلة، ثم رأيت الساحر نورلند يجلس وراء الطاولة...»

«يا رب السماوات!»، قالت شارمين.

«فوجئت أنا أيضًا»، قال پيتر معترفًا. «فاكتفيت بالوقوف والتحديق، إن أردت الصدق. وبدا في أتم الصحة -قويًّا ومتوردًا، وعنده شعر أكثر مما أتذكر- وكان مشغولًا بالعمل على المخطط الموجود في حقيبته. فقد بسطه أمامه على الطاولة ولم ينهِ إلا ربعه، وأحسب أن في هذا إشارة. على أي حال، رفع نظره وقال بتهذيب جم «هلا أغلقت الباب من فضلك؟ فقد هب الهواء منه». وقبل أن أقول شيئًا رفع نظره ثانية وقال «من أنت بحق السماء؟» فقلت «أنا پيتر ريجس». فقطب جبينه ثم قال «ريجس، ريجس؟ هل أنت قريب لساحرة مُنتالبينو، ربما؟»

«إنها أمي»، قلت. فقال «لم أحسب أن عندها أطفالًا». فقلت «ليس عندها غيري. قتل والدي في انهيار أرضي كبير في ترانسمونتن بعد مولدي». فقطب أكثر وقال «ولكن هذا الانهيار وقع الشهر الماضي أيها الشاب. يقولون إن لوبوكًا أطلقه وقد قتل أناسًا كثيرين

قطعًا.... أم أننا نتكلم عن الانهيار الذي وقع قبل أربعين عامًا؟» وبدا صارمًا جدًا غير مصدق لي.

تساءلت كيف أجعله يصدق ما حدث، فقلت «أقسم إنها الحقيقة. لا بد أن جزءًا من بيتك يعود إلى الماضي. ذلك يحدث حين يظهر شاي العصرية. وقد وضعنا -لأثبت لك هذا- زهرية ورد على العربة قبل يومين وعادت إليك هنا». فنظر إلى الزهرية، لكنه لم يقل شيئًا. فقلت «جئت إلى بيتك لأن أمي اتفقت معك لأكون تلميذك».

فقال «هل فعلت صدقًا؟ لا بد أنني أردت مجاملتها كثيرًا، فأنت لا تبدو لي ممن يتمتع بموهبة فذة». قلت «أجيد ممارسة السحر، لكن أمي يمكنها ترتيب أي شيء حين تريد». قال «صحيح، فهي تتمتع بشخصية قوية التأثير. وماذا قلت لدى قدومك؟»

قلت «لم تقل شيئًا، فلم تكن موجودًا. بل ثمة فتاة تدعى شارمين بيكر تعتني ببيتك... أو هذا ما يجدر بها فعله، لكنها ذهبت وعملت لدى الملك والتقت عفريت نار...» فقاطعني عندئذ مبديًا الدهشة «عفريت نار؟ هذه كائنات شديدة الخطر أيها الشاب. أتقول لي إن ساحرة اليباب ستكون في هاي نورلند قريبًا؟» فقلت «لا، لا. أحد سحرة البلاط في إنغري قضى على ساحرة اليباب قبل ما يقارب ثلاث سنوات. تقول شارمين إن هذا يزمع أداء عمل للملك. أظنها مولودة للتو من زاوية رؤيتك للأمور، لكنها تقول إنك مريض وأخذك العفاريت لعلاجك وخالتها سمپرونيا رتبت أمر اعتناء شارمين بالبيت أثناء غيابك»».

فبدا مستاء لهذا، فاعتدل في جلسته ورمش قليلًا. «عندي حفيدة أخي اسمها سمپرونيا»، قال بروية وهو يفكر بالأمر. «لعل هذا ممكن، فقد تزوجت سمپرونيا في عائلة شديدة الاحترام، وأحسب...» فقلت «أوه، إنهم كذلك! عليك أن تلتقي والدة شارمين، فهي فائقة الاحترام ولا تسمح لشارمين بفعل شيء».

شكرًا جزيلًا لك يا پيتر! قالت شارمين لنفسها. سيظن الآن أنني عديمة الفائدة!

«لكنه لم يبدِ أي اهتمام»، واصل پيتر كلامه. «أراد أن يعرف ما الذي أمرضه ولم أستطع إخباره. هل تعرفين؟»، سأل شارمين. فهزت رأسها نفيًا، ورفع پيتر كتفيه وقال «ثم تنهد وظن أن هذا ليس مهمًا، لأنه يتعذر اجتنابه. لكنه قال بعد ذلك بصورة محزنة وكله حيرة «لكني لا أعرف أي عفريت!» فقلت «قالت شارمين إن الملك هو الذي أرسل العفاريت».

«أوه»، قال وبدا أسعد. «هكذا الأمر حتمًا! فللعائلة المالكة نسب من العفاريت – صاهرَ كثيرونَ منهم العفاريت وهؤلاء يحافظون على أواصر القربى». ثم نظر إليَّ وقال «هكذا تأخذ القصة في التماسك». قلت «لا بد لها قطعًا، فكلها حقيقة. لكن الذي لا أفهمه ما الذي فعلته لإغضاب الكوبولد منك».

قال «أؤكد لك أني لم أفعل شيئًا. الكوبولد أصدقائي، وكانوا كذلك لسنوات. وهو يؤدون مهمات رائعة لي، ولن أُغضب كوبولدًا مثلما لن أُغضب صديقي الملك».

وبدا مستاء من هذا حتى ظننت أنه يحسن بي تغيير الموضوع. فقلت «هل يمكنني أن أسألك عن هذا البيت؟ هل بنيته أم وجدته؟»

قال «أوه، وجدته. أو بالأحرى اشتريته عندما كنت ساحرًا متخبطًا في ريعان شبابي، لأنه بدا صغيرًا وزهيد الثمن. ثم وجدت أنه متاهة لدروب عديدة. وأقول لك الحق إنه اكتشاف جميل. ويبدو أنه كان يومًا ملكًا للساحر مليكوت، الرجل نفسه الذي صنع سطح القصر الملكي ليظهر أنه ذهب. لقد رجوت دائمًا أن يكون الذهب الحقيقي الذي ملأ الخزينة الملكية قبلًا مُخبَّأً في مكان ما داخل هذا البيت. الملك يبحث عنه منذ سنوات، كما تعرف».

قال بيتر «تخيلي كم جعلني ذلك أنصّب أذنيّ. لكني لم يتسن لي أن أسأله المزيد، لأنه قال وهو ينظر إلى الزهرية على الطاولة «يوجد في المستقبل زهور إذن؟ هلا أخبرتني بنوع هذه من فضلك؟» فدهشت لأنه لا يعرف، فأخبرته بأنها الكوبية من حديقته. «الزهور الملونة التي انتزعها الكوبولد»، قلت. ونظر إليها وغمغم بأنها بديعة، وخاصة أن لها ألوانًا عدة. «سأبدأ في زراعتها لنفسي، فألوانها أكثر من ألوان الورد»، قال.

قلت «تستطيع استنباتها زرقاء أيضًا. تستخدم أمي رقية مع مسحوق النحاس لزهورنا». وبينما هو يغمغم بشأن ذلك، سألته إن كنت أستطيع أن أعيدها معي، لأثبت لك أني التقيته.

فرد قائلًا «طبعًا، طبعًا. إنها تسد الطريق هنا. وأخبر سيدتك

الشابة التي تعرف عفريت النار بأني أرجو أن أنهي مخطط البيت عندما تبلغ من العمر ما يكفي لتحتاجه».

فأخذت الزهور وعدت. «أليس هذا ساحرًا؟!»، قال پيتر.

«جدًا»، قالت شارمين. «ما كان ليزرع الكوبية لو لم يقطعها الكوبولد وما كنت لأحملها وما كنت لتضل الطريق... هذا يصيبني بالدوار». فنحّت جانبًا وعاءها المليء من يخنة الملفوف واللفت. سأكون لطيفة معه، سأفعل، سأفعل! «ما رأيك يا پيتر لو مررت غدًا بأبي في طريق عودتي وطلبت منه كتاب طبخ؟ لا بد أنه يملك المئات، فهو أبرع طهاة المدينة».

وبدا الارتياح الكامل على پيتر فقال «فكرة حسنة. لم تعلمني أمي الطبخ كثيرًا، فهي التي تطبخ دائمًا».

وأقسمت شارمين بقولها لن أعترض على الصورة التي رسمها للعم الكبير وليم عني. بل سأكون لطيفة، ولكن إن فعل هذا مرة ثانية...

الفصل العاشر
وفيه يصعد تونكل إلى السطح

في الليل خطر لشارمين خاطر مقلق. إن استطاعت السفر عبر الزمن في بيت العم الكبير وليم، فما الذي يمنع وصولها إلى القصر الملكي قبل عشر سنوات، لتجد أن الملك لم يكن في انتظارها؟ أو عشر سنوات في المستقبل، لتجد أن الأمير لودفيك هو الحاكم؟ كان هذا كافيًا لتعقد العزم على السير إلى القصر عبر الدرب المعتاد.

وهكذا انطلقت شارمين في الصباح التالي إلى الطريق، وويف تتبختر خلفها حتى وصلتا إلى الجرف حيث يقع مرج اللوبوك، عندما غدت ويف منقطعة الأنفاس مثيرة للشفقة فحملتها شارمين. كالعادة، قالت شارمين في نفسها. أشعر بأني فتاة راشدة عاملة عادية، أردفت قائلة لنفسها أثناء سيرها نحو المدينة وويف تحاول أن تلعق ذقنها سعيدة.

أمطرت السماء أثناء الليل مرة أخرى، لكنه الآن أحد الأصباح ذوات السماء الزرقاء الفاتحة والغيوم البِيض الضخمة. كانت الجبال زرقًا وخضرًا ناعمة، وفي المدينة تلألأت الشمس على الحصى المبللة

وتوهجت على النهر. وغمر شارمين شعور بالارتياح، فقد تطلعت كثيرًا إلى نهار من تصنيف الأوراق والحديث مع الملك.

عندما عبرت الساحة الملكية، سطعت الشمس على السطح الذهبي للقصر الملكي سطوعًا قويًا اضطرت معه شارمين إلى الإطراق والنظر إلى الحصى. رمشت ويف وأطرقت ثم فزّت عندما انبعث من القصر صوت زعيق عالٍ.

«انظري إليّ! انظري إليّ!»

نظرت شارمين، فوجدت عينيها مغرورقتين بالدمع من اللمعان، ونظرت مرة أخرى تحت يد حررتها من ويف. كان الطفل توِنكل يجلس منفرج الساقين على السطح الذهبي، عاليًا في الهواء مئة قدم تمامًا، يلوح لها سعيدًا. كاد يفقد توازنه بفعله هذا، ونسيت شارمين لدى رؤيته كل الأفكار القاسية التي كونتها عن الأطفال البارحة، وألقت ويف على الحصى وركضت إلى باب القصر، إذ طرقت بالمقرعة الكبيرة ورنت الجرس رنينًا مهتاجًا.

«الولد الصغير!»، قالت لاهثة لسِم عندما فتح الباب بأناة وارتعاش. «تونكل، يجلس على السطح! لا بد أن ينزله أحد!»

«أحقًا؟»، قال سِم. فركض خارجًا إلى الدرجات، واضطرت شارمين إلى انتظاره حتى ركض إلى موضع يمكّنه من رؤية السطح ورفع رأسه إلى الأعلى مرتعشًا. «إنه هناك حقًا يا آنستي»، قال موافقًا. «العفريت الصغير، سيقع. فذلك السطح زلِق كالثلج».

كانت شارمين تقفز نافدة الصبر. «أرسل أحدًا ينزله! بسرعة!»

«لا أعرف من»، قال سِم ببطء. «لا أحد في هذا القصر يجيد التسلق. أحسب أنه يمكن إرسال جمال، ولكن بعينه الوحيدة لن يحسن التوازن».

كانت ويف تتبختر في المكان، وتنبح لتُحمل على الدرجات، فتجاهلتها شارمين. «أرسلني إذن»، قالت. «أخبرني كيف أصل إلى هناك. الآن. قبل أن ينزلق من أحد الجانبين».

«فكرة حسنة»، وافق سِم. «خذي السلالم الواقعة في نهاية البهو يا آنستي، وواصلي الارتقاء. ستكون القلبة الأخيرة من خشب وستجدين بابًا صغيرًا...»

لم تنتظر شارمين أكثر، وتركت ويف لتدبر أمرها وركضت إلى آخر الممر الحجري الرطب حتى وصلت إلى البهو ذي السلالم الحجرية. وهنالك بدأت ترتقي بكل ما أوتيت من قوة، ونظارتها ترتد على صدرها ووقع قدميها يتردد بين الجدران. صعدت إلى الأعلى قلبتين طويلتين، وذهنها مزدحم بالخواطر المروعة لجسم صغير يهوي ويرتطم بالحصى بـ... حسن... برشرشة، في المكان الذي تركت فيه ويف. فأسرعت شديدة اللهاث ترتقي قلبة ثالثة أضيق، كأنها بلا نهاية. ثم وصلت إلى السلالم الخشبية وقعقعت ترتقيها، تكاد تنقطع أنفاسها، كأن هذه بلا نهاية هي الأخرى. أخيرًا، وصلت إلى باب خشبي صغير. فتحت شارمين الباب على وهج من ضوء الشمس والذهب، وهي تدعو أنها وصلت في الوقت المناسب.

«حثبتك [حسبتك] لن تأتي»، قال تونكل من منتصف السطح. كان يلبس بدلة من المخمل الأزرق الفاتح وشعره الذهبي يتوهج لامعًا كالسطح. وبدا عليه الهدوء التام، أشبه بملاك ضل طريقه من صبي واقع في مأزق على سطح.

«أأنت خائف؟»، قالت شارمين لاهثة قلقة. «تمسك جيدًا ولا تتحرك وسأحبو لأمسك بك».

«افعلي ذلك رذاء [رجاء]»، قال تونكل بأدب.

خطر لشارمين أنه لا يعرف الخطر المحدق به! علي أن ألتزم الهدوء. وخرجت بحذر شديد من الباب الخشبي وناورت حتى باتت تجلس منفرجة الساقين على السطح مثل تونكل. لم تكن بالجلسة المريحة بتاتًا. ولم تعرف شارمين أيهما أسوأ: حقيقة أن بلاطات الصفيح ساخنة رطبة حادة زلقة، أم الطريقة التي يبدو أن السطح يشطرها بها نصفين. وعندما اختطفت نظرة جانبية إلى الساحة الملكية، بعيدًا بعيدًا في الأسفل، اضطرت إلى تذكير نفسها بجد بالغ، أنها ركبت رقية قبل ثلاثة أيام أنقذتها من اللوبوك وتبين أنها تستطيع الطيران. فلربما يمكنها الإمساك بتونكل من وسطه والطيران نحو الأسفل معه.

أدركت عندها أن تونكل يتراجع بعيدًا عنها وهي تشق طريقها نحوه. فقالت «كف عن ذلك! ألا تعرف خطورة هذا؟»

«أعرف تبعًا»، رد تونكل. «فالمردفعات تحيفني يا ثحيفة. ولكن هثا هو المتان الوحيد الذي أحدثك فيه من دون أن يثمعنا أحد. تعالي

إلى وثط الثطح حتى لا أثرخ. وأثرعي. فالأميلة هلدا جلبت ملبية لي ولمولغن. ثتأتي الفتاة التعثة في أي لحظة»[1].

بدا هذا شبيهة بكلام الراشدين فتعجبت شارمين وحملقت إليه. فرد عليها تونكل بابتسامة ساحرة، بعينيه الزرقاوين وشفتيه الحمراوين الآسرتين. «هل أنت طفل عبقري أو شيء من هذا؟»، سألته.

«حثن، هثا أنا الآن»، قال تونكل. «لما تان عمري ثتة، تنت عاديًا، وتبعًا عندي موهبة دوية من الثحر. تعالي»[2].

«أحاول»، قالت شارمين وشرعت تدفع نفسها على السطح، حتى غدت على مبعدة قدم من الطفل. «فما الذي يفترض بنا أن نتكلم عنه؟»، قالت حانقة.

«الثاحر نوللند أولًا»، قال تونكل. «يقولون إنك تعرفينه».

«ليس تمامًا»، قالت شارمين. «إنه العم الكبير بالمصاهرة لخالتي الكبرى، وأنا أعتني ببيته أثناء مرضه»، لم ترغب في الإتيان على ذكر بيتر.

---

(١) «أعرف طبعًا»، رد تونكل. «فالمرتفعات تخيفني يا سخيفة. ولكن هذا هو المكان الوحيد الذي أتحدث فيه من دون أن يسمعنا أحد. تعالي إلى وسط السطح حتى لا أصرخ. وأسرعي. فالأميرة هلدا جلبت مربية لي ولمورغن. ستأتي الفتاة التعسة في أي لحظة».

(٢) لما كان عمري ستة كنت عاديًا، وطبعًا عندي موهبة قوية من السحر.

«وما ثكل بيته؟»، سأل تونكل. ثم أردف متبسطًا «أعيش في دلعة متحركة. هل يتحرد بيت نوللند؟»

«لا»، قالت شارمين. «لكن في وسطه باب يأخذك إلى مئة غرفة مختلفة. يقولون إن الساحر مليكوت بناه».

«آه، مليكوت»، ترنم تونكل، وقدا بدا شديد السرور. «فلعلي أود المجيء ولؤيته، مهما قال كالثيفل. أتمانعين؟»

«أبدًا»، قالت شارمين. «لماذا؟»

قال تونكل موضحًا «لأن ثوفي وكالثيفل وأنا أوكلت إلينا مهمة معرفة مصير الذهب في خذينة الملك. بل إننا نذن أن هذا ما يريدون، لكنهم ليسوا واضحين جدًا. فيقولون فنصف الوقت إن ما أضاعوه شيء يدعى عطية القذم ولا أحد يعرف ما عطية القذم. وطلبت الأميلة هلدا من ثوفي أن تعرف ما يظل يحدث للمال من الظرائب، وهذا أمر محتلف. لقد باعوا ثورًا كثيرة وأشياء أحرى وما ذالوا فقراء مثل فئران كنيسة... لا بد أنك أدركت ذلك».

هزت شارمين رأسها إيجابًا. «أدركته، ألا يسعهم فرض ضرائب أكثر؟»

«أو بيع بعض محتويات مكتبتهم»، أشار تونكل. ثم رفع كتفيه، فمال متأرجحًا فأغمضت شارمين عينيها. «لقد كاد كالثيفر أن يؤمر بالرحيل ليلة البارحة عندما أشار إلى بيع بعض الكتب. أما الظرائب، فيقول الملك إن أهل هاي نورلند في بحبوحة ورغد، وإن

مزيدًا من الظرائب سيحتفي غالبًا. لثا فلا فائدة منه. ما أريد منك فعله...»

سمعت صرخة بعيدة من الأسفل. ففتحت شارمين عينيها ونظرت جانبًا. لقد تجمع حشد من الناس في الساحة، وكلهم يظللون أعينهم ويشيرون إلى السطح. «أسرع»، قالت. «سيجلبون جسر الإطفائية في أي لحظة».

«أعندهم واحد؟»، سأل تونكل. «أنتم متحظرون هنا»، وابتسم واحدة من ابتساماته المتقدة. «ما نحتاج فعله...»

«أأنتما الاثنان سعيدان هنا؟»، سألهما صوت قريب خلف شارمين. كان قريبًا جدًا ومفاجئًا جدًا فزعت منه شارمين وكادت تفقد توازنها.

«انتبهي يا ثوفي»، قال تونكل ملحًّا. «لقد كدت توقعينها».

«وهذا يبين أنها خطة هوجاء، ولك أيضًا»، قالت صوفي. تبين من صوتها أنها تطل من الباب الخشبي، لكن شارمين لم تجرؤ على الالتفات لتنظر.

«هل صنعت السحر الذي أعطيته لك؟»، سأل تونكل وهو يميل جانبًا ليتكلم من خلف شارمين.

«نعم فعلت»، قالت صوفي. «والجميع يركضون في أنحاء القصر قلقين، وكالسيفر يحاول إيقاف تلك المربية السخيفة التي أصابتها نوبة جنون، واستدعى أحد من الخارج رجال الإطفاء.

لقد تمكنت من التسلل إلى المكتبة بتعويذتك في الفوضى. هل أنت راضٍ؟»

«كل الرضا»، ابتسم تونكل ابتسامة ملائكية أخرى. «ها أنت ترين ذتاء حطتي». ومال ناحية شارمين وقال لها «ما فعلته أني ألقيت تاويذة تجعل كل كتاب أو قطعة من ورق فيها أدنى أثر لمثتلة الملت تضيء بنور لا يراه أحد ثواك. عندما ترين واحدة مضاءة، أريد أن تدوني ملاحظة عنها وعما فيها. حفية تبعًا. ثمة حطأ هنا ولا نريد أحدًا أن يعرف ما تفعلين، تحثبًا لئلا تصل إلى الثحص مفتعل المثكلة. أتفعلين هذا لنا؟»[1].

«أظن ذلك»، قالت شارمين. بدا الأمر شديد السهولة، رغم أنها لم تعجبها فكرة إخفاء الأسرار عن الملك. «متى تريد ملاحظاتي؟»

«الليلة من فضلك، قبل أن يصل الأمير وريث العرش»، قالت صوفي من وراء شارمين. «لا حاجة إلى إقحامه في هذا، وسنكون شاكرين جدًا والأمر بالغ الأهمية. فهذا سبب قدومنا. والآن حبًا بالآلهة ليدخل كلاكما قبل أن يبدؤوا في رفع سلم الإطفاء».

«طيب»، قال تونكل. «نحن قادمان. انتبهي فقد أصل إليك في نصفين».

---

(١) «أنت ترين ذكاء حطتي». ومال ناحية شارمين وقال لها «ما فعلته أني ألقيت تعويذة تجعل كل كتاب أو قطعة من ورق فيها أدنى أثر لمشكلة الملك تضيء بنور لا يراه أحد سواك. عندما ترين واحدة مضاءة، أريد أن تدوني ملاحظة عنها وعما فيها. خفية طبعًا. ثمة خطأ هنا ولا نريد أحدًا أن يعرف ما تفعلين، تحسبًا لئلا تصل إلى الشخص مفتعل المشكلة. أتفعلين هذا لنا؟»

«تستحق ذلك»، قالت صوفي. بدأ السطح يهتز ويتموج تحت شارمين، وكادت تصرخ لكنها تشبثت بكلتا يديها، مذكّرة نفسها بقدرتها على الطيران. صحيح؟ وارتج السطح وتموج عائدًا بها من حيث أتت، بينما أمامها ارتج بتونكل متقدمًا. في لحظات أحست شارمين بصوفي تمسك بها من تحت إبطيها وتسحبها إلى الوراء، بقليل من الصعوبة إلى داخل القصر الملكي ثانية. ثم تقدمت صوفي وأمسكت بتونكل ورمت به بجانب شارمين.

رفع تونكل نظره إلى شارمين حزينًا. «عودة إلى التفولة ثانية»، قال متنهدًا. «لن تكشفي أمري، صحيح؟»

«أوه، كف عن الكلام الفارغ»، قالت صوفي. «شارمين ذكية»، قالت لشارمين، «اسمه الحقيقي هاول وهو يسلي نفسه كثيرًا حد القرف وهو يعيش طفولته ثانية. تعال معي يا رجلي الصغير». وسحبت تونكل تحت ذراعها وحملته نازلة السلالم، بكثير من الركل والصراخ.

تبعتهما شارمين وهي تهز رأسها.

في بسطة الدرج الرئيس في منتصف طريق النزول، اجتمع كل من في القصر -ومنهم عدد من الأشخاص لم ترهم شارمين من قبل- وكالسيفر بينهم يبرز من هنا ومن هناك. كان الملك موجودًا هو الآخر، يحمل ويف شارد الذهن. ودفعت الأميرة هلدا جانبًا شابة بدينة تمسك بمورغن وتنشج وصافحت يد شارمين.

«عزيزتي الآنسة تشارمنغ، شكرًا جزيلًا لك. لقد أصابنا الهلع. اذهب يا سِم وأبلغ رجال الإطفاء أننا لا نحتاج سلالمهم وأننا قطعًا لا نحتاج خراطيم المياه».

لم تسمعها شارمين إلا قليلًا، فقد رأتها ويف وقفزت مسرعة من ذراعي الملك، تنبح بارتياح عظيم لسلامة شارمين. ومن مكان ما في الخلف أجابها كلب جمال بعواء حزين.

واستمرت المربية السمينة «نشقة... هووه!»، ومورغن يجأر «أوووف! أوووف!» وهذر الباقون. وتونكل يصرخ من بعيد «أنا لثت مثاغبًا! أقول لك إني تنت حائفًا جدًا».

وأسكتت شارمين بعض الضجيج بحملها ويف، وأخرست الأميرة هلدا معظم الضجيج الباقي بتصفيقها وقولها «ليعد الجميع إلى العمل. خذي مورغن يا نانسي قبل أن يصيبنا كلنا بالصمم وأفهميه أنه لن يخرج إلى السطح أيضًا. هلا أخرست تونكل يا عزيزتي صوفي؟»

تحرك الجميع، وواصل تونكل «أنا لثت مثاغبًا...» ثم توقف كأن يدًا غطت فمه. وسرعان ما وجدت شارمين نفسها تنزل ما بقي من الدرج مع الملك، في طريقهما إلى المكتبة وويف تحاول مبتهجة أن تلعق لها ذقنها.

«هذا يذكرني»، قال الملك معلقًا. «لقد خرجت إلى السطح مرات عدة في صباي، وتسببت دائمًا في هلع سخيف. كاد رجال

الإطفاء يرشون علي الماء من الخراطيم بطريق الخطأ. سيظل الأولاد أولادًا يا عزيزتي. أأنت جاهزة للانكباب على العمل، أم تودين الجلوس والتقاط الأنفاس قليلًا؟»



«لا، أنا بخير»، أكدت له شارمين.

وقد شعرت اليوم بأنها في بيتها عندما جلست على مقعدها في المكتبة، تحيطها رائحة الكتب القديمة، وويف تحمّص بطنها عند المجمرة والملك يجلس قبالتها متفحصًا كومة مهترئة من دفاتر اليوميات القديمة. كان المكان شديد الهدوء فنسيت شارمين أمر تعويذة تونكل تمامًا. وانهمكت في تقشير كومة من الرسائل القديمة الرطبة بعضها عن بعض. كانت كلها من أمير من زمن بعيد يربّي الجياد وأراد من أمه أن تتملق الملك لتحصل على مزيد من المال. وصف الأمير وصفًا مفعمًا بالمشاعر جمال المهر الجديد الذي ولدته أحسن فرس عنده، عندما رفعت شارمين نظرها لترى عفريت النار يرفرف ببطء هناك وهناك في المكتبة.

رفع الملك نظره أيضًا. «صباح الخير يا كالسيفر»، قال ملاطفًا. «أتحتاج شيئًا؟»

«أستكشف فحسب»، أجاب كالسيفر بصوته الصغير المطقطق. «أفهم الآن رفضك بيع هذه الكتب».

«حقًا»، قال الملك. «أخبرني هل يقرأ عفاريت النار كثيرًا؟»

«ليس دائمًا»، أجاب كالسيفر. «تقرأ لي صوفي كثيرًا. أحب

القصص ذوات الألغاز، التي تخمن فيها من ارتكب جريمة القتل. أعندك أي منها هنا؟»

«ربما لا»، قال الملك. «لكن ابنتي مولعة بقصص الجريمة أيضًا. ربما يجدر بك أن تسألها».

«سأفعل، شكرًا لك»، قال كالسيفر واختفى.

هز الملك رأسه وعاد إلى دفاتره.

ثم، كأن كالسيفر حرك تعويذة تونكل، لاحظت شارمين فورًا أن دفتر اليوميات الذي يقلبه الملك يتوهج بخضرة خفيفة فاتحة. وكذلك فعل الشيء التالي في كومتها، الذي كان لفافة ممعوسة زينت بشريط ذهبي. أخذت شارمين نفَسًا كبيرًا وسألت «أفي دفتر اليوميات شيء مثير يا مولاي؟»

«حسن»، قال الملك، «إنها مقرفة قليلًا. هذا دفتر يوميات وصيفة واحدة من إحدى جداتي الكبريات. طافح بالنميمة. وها هي الآن مصدومة جدًا لأن ابنة الملك ماتت أثناء ولادتها ابنها ويبدو أن القابلة قتلت الطفل، قالت إنه كان أرجوانيًا وأثار خوفها. وسيحاكمون المسكينة السخيفة بتهمة القتل».

عاد شارمين بذاكرتها إلى بحثها هي وبيتر عن «اللوبوك» في موسوعة العم الكبير وليم. فقالت «أظنها حسبت الطفل لوبوكن».

«نعم، متطيرة وشديدة الجهل»، قال الملك. «لا أحد يؤمن باللوبوكن هذه الأيام»، وعاد إلى قراءته.

وتساءلت شارمين إن كانت ستقول إن القابلة من الماضي البعيد قد تكون محقة، فاللوبوك موجود، فلماذا لا توجد اللوبوكن أيضًا؟ لكنها متأكدة من أن الملك لن يصدقها فخربشت ملاحظة حول الأمر. ثم أخذت اللفافة المعوسة، وخطر لها قبل أن تفتحها أن تنظر إلى صف الصناديق التي يتوجب عليها أن تضع فيها ما قرأته من أوراق، لتتأكد من توهجها. توهج واحد فقط بضوء خافت. وعندما سحبته شارمين، وجدت أنها الفاتورة من الساحر مليكوت لجعل السطح يظهر بمظهر الذهب. كان هذا محيرًا، لكن شارمين دونت ملاحظة عن هذا أيضًا، قبل أن تفتح في النهاية الشريط الذهبي وتبسط اللفافة.

كانت شجرة عائلة لملوك هاي نورلند، مخربشة ومتعجلة، كأنها ليست إلا مخططًا لنسخة أكثر عناية. واجهت شارمين صعوبة في قراءتها، ففيها شطب كثير وأسهم صغيرة تؤدي إلى إضافات مخربشة ودوائر غير متناسبة فيها مزيد من الملاحظات. «أفي وسعك أن تشرح هذه لي يا مولاي؟»

«لنرَ»، أخذ الملك اللفافة وبسطها على الطاولة وقال «آه. عندنا النسخة الجميلة من هذه معلقة في غرفة العرش. لم أنظر إليها جيدًا لسنوات، لكني أعرف أنها أوضح من شجرة العائلة هذه، أسماء الحكام ومن تزوجوا وما إلى ذلك فحسب. في هذه ملاحظات كتبها أشخاص متعددون وفقًا لما يوحي به منظرها. لنرَ، هذا جدي أدولفوس الأول. والملاحظة بجانبها كتابة عتيقة تقول... هم...

«رفعت الأسوار حول المدينة بفضل عطية العفريت». لا أثر لهذه الأسوار اليوم، صحيح؟ لكنهم يقولون إن شارع السدّ قرب النهر جزء من الأسوار القديمة...»

«اعذرني يا مولاي»، قاطعته شارمين، «ولكن ما عطية العفريت؟»

«لا علم لي يا عزيزتي»، قال الملك. «ليتني أعرف. يقال إنها تجلب الرخاء والحماية للمملكة، أيًا كانت، ولكن يبدو أنها اختفت منذ أمد بعيد. هذا ساحر». مرر الملك إصبعه الكبيرة على ملاحظة تلو الأخرى. «هنا، بجانب زوجة جدي، تقول «كانت من العفاريت، عفريتة كما تدعى». لقد أخبروني دائمًا بأن الملكة ماتيلدا نصف عفريتة، ولكن ها قد كُتب بمحاذاة اسم ابنها هانز نكولاس «طفل عفريت» وربما لهذا السبب لم يصبح ملكًا. لا أحد يثق بالعفاريت، وهذا خطأ كبير في رأيي. لقد توجوا ابن هانز نكولاس بدلًا منه، وهو شخص شديد الملل اسمه أدولفوس الثاني لم يفعل يومًا شيئًا يذكر. إنه الملك في هذه اللفافة الذي ليس بجانب اسمه ملاحظة، وهذا يوحي لك بشيء. لكن ابنه -هذا هو- هانز بيتر أدولفوس، بجانبه ملاحظة تقول «أعاد أمان المملكة بعون عطية العفريت»، أيًا كان معنى ذلك. هذا مثير جدًا يا عزيزتي. هلا أسديت إلي صنيعًا بأن تُعِدّي نسخة جيدة مقروءة من أسماء هؤلاء الأشخاص والملاحظات بجانبها؟ يمكنك إغفال أبناء العمومة وما شابه إن لم يكن بجانب أسمائهم ملاحظات. أيضايقك هذا؟»

«مطلقًا يا مولاي»، قالت شارمين. كانت تتساءل كيف يمكنها كتابة كل هذا خفية من أجل صوفي وتونكل، وها قد سنحت لها الفرصة.

وقضت باقي ذلك اليوم وهي تكتب نسختين من اللفافة. كانت إحداهما مسودة أولية مضطربة، إذ اضطرت باستمرار إلى أن تسأل الملك عن هذه الملاحظة أو تلك، والنسخة الثانية في أحسن خطوطها من أجل الملك. وباتت مهتمة بقدر اهتمام الملك. ما الذي جعل ابن أخي هانز پيتر الثالث يتحول إلى «قطع الطريق في التلال»؟ ما الذي جعل الملكة غرترود «ساحرة يخشى جانبها؟» ولماذا وصمت ابنتها الأميرة إزولا «بعاشقة الرجل الأزرق»؟

لم يستطع الملك الإجابة عن هذه الأسئلة، ولكنه قال إنه يعرف معرفة كافية عن سبب وصم الأمير نكولاس أدولفوس بـ «السكّير». هل نظرت شارمين إلى حيث كتب أن والد الأمير، پيتر هانز الرابع كان يدعى «طاغية ظالم وساحر أيضًا؟» قال الملك «لم يكن كل أسلافي أناسًا صالحين. أراهن أن هذا تنمّر على المسكين نكولاس تنمرًا شديدًا. يقولون لي إن هذه هي حال الأمور إذا ثار دم القزم، لكني أظنه طبع الناس».

في وقت متأخر من النهار اقتربت شارمين من نهاية اللفافة، حيث كل حاكم يدعى أدولفوس، أو أدولفوس نكولاس أو لودڤيك أدولفوس، ابتهجت لوصولها إلى الأميرة موينا التي «تزوجت لوردًا كبيرًا من إنغري، لكنها ماتت أثناء ولادتها للوبوكن بشع». كانت

شارمين واثقة بأن موينا هي من ورد ذكرها في يوميات الوصيفة. ويبدو أن أحدًا صدق رواية القابلة، وعزمت على ألا تذكر ذلك للملك.

بعد ثلاثة أسطر إلى الأسفل وصلت إلى الملك نفسه «تائه بين كتبه»، والأميرة هلدا «التي رفضت الزواج بملك وثلاثة لوردات وساحر». لقد حشرا في جانب واحد لإفساح المكان لذرية عم الملك، نكولاس پيتر، الذي كان عنده أبناء كثيرون جدًا. وملأ أبناء الأبناء الصف السفلي بكامله. كيف يتذكرون من يكون كل منهم بحق السماء؟ تساءلت شارمين. سميت نصف البنات ماتيلدا والنصف الآخر إزولا، أما الأولاد فجلهم هانز أو هانز أدولفوس. لن تستطيع التفريق بينهم إلا من خلال الملاحظات الصغيرة المخربشة التي تصف أحدهم «بالمغفل الكبير، مات غريقًا»، وآخر «قتل بطريق الخطأ»، وثالثًا «مات خارج البلاد». وكانت البنات أسوأ حالًا. فإحدى الماتيلدات «فتاة مملة مغرورة»، وأخرى «يخشى جانبها كالملكة غرترود» وثالثة «بلا طباع حسنة». وكانت الإزولات إما «مقتولات بالسم» وإما «بأساليب شريرة». أما وريث الملك، لودڤيك نكولاس فبرز مما بدأت شارمين تظنه عائلة رهيبة، فلا ملاحظة بجانب اسمه بتاتًا، مثل أدولفوس الخامل من الزمن البعيد.

كتبت كل شيء الأسماء والملاحظات وكل شيء. وفي نهاية العصرية، غدت سبابتها خدرة وزرقاء من الحبر.

«شكرًا لك يا عزيزتي»، قال الملك عندما ناولته النسخة المرتبة. وبدأ يقرؤها متحمسًا فسهل على شارمين أن تحمل نسختها المخربشة وملاحظاتها الأخرى وتحشرها في جيوبها دون أن يراها الملك. عندما وقفت رفع الملك نظره ليقول «أرجو أن تعذريني يا عزيزتي. لن أحتاجك في اليومين القادمين. إذ تصر الأميرة على أن أخرج من المكتبة وأؤدي دور المضيف للأمير الشاب لودڤيك نهاية الأسبوع. لأنها لا تكون في أحسن حالاتها مع الذكور من الضيوف، كما تعرفين. لكنني سأراك ثانية يوم الاثنين كما أرجو».

«نعم طبعًا»، قال شارمين. فحملت ويف التي جاءت تتمشى نحوها من المطبخ، وانطلقت نحو الباب الأمامي تتساءل عما تفعله بنسخة اللفافة. لم تكن متأكدة من ثقتها بتونكل، فهل تثق بشخص يبدو ولدًا صغيرًا وهو ليس بولد صغير؟ ثم تذكرت ما قاله پيتر نقلًا عن العم الكبير وليم حول عفاريت النار. أتثق بأحد شديد الخطورة هكذا؟ فكرت في هذا بلا ابتهاج أثناء مشيها.

ووجدت نفسها وجهًا لوجه مع صوفي. «كيف سارت الأمور؟ هل وجدت أي شيء؟»، سألت صوفي مبتسمة لها.

كانت ابتسامة ودودة فرأت شارمين أنها تستطيع الثقة بصوفي، أو هذا ما ترجوه. «حصلت على بعض الأشياء»، قالت وهي تخرج الأوراق من جيوبها.

أخذتها صوفي بامتنان وحماس أكبر من حماس الملك عندما أخذ نسخته المرتبة. «بديع!»، قالت. «يجب أن تعطيني هذه إلماحة. نحن

جاهلون في هذه اللحظة. هاول -أقصد تونكل- يقول إن تعاويذ التنبؤ لا تعمل هنا، وهذا غريب لأني لا أظن الملك أو الأميرة هلدا يمارسان السحر، هل تظنين؟ أعني سحرًا كافيًا لإبطال تعويذة تنبؤ».

«لا»، قالت شارمين. «ولكن كثيرًا من أسلافهما فعلوا. ثم إن الملك أكثر تعقيدًا مما يبدو».

«أنت محقة»، قالت صوفي. «هل تستطيعين البقاء واستعراض هذه الملاحظات معنا؟»

«اسأليني يوم الاثنين»، قالت لها شارمين. «عليَّ أن أذهب للقاء أبي قبل إغلاق المخبز».

الفصل الحادي عشر

وفيه شارمين تربض على كيكة

كان المتجر مغلقًا عندما وصلت إليه شارمين، لكنها رأت بغير وضوح من خلال الزجاج أحدًا يتحرك في الداخل وينظف. قرعت شارمين على الباب، ولما لم ينفع هذا، ألصقت وجهها بالزجاج ونادت «أدخلوني!»

أسرع الشخص في الداخل وفتح الباب بما يكفي لإخراج وجهه. تبين أنه تلميذ في عمر پيتر لم تلتقِه شارمين قط. «لقد أغلقنا»، قال. وانتقلت عيناه إلى ويف بين ذراعي شارمين. انبعث من الباب المفتوح نفحة من روائح الكعك المبروم الجديد والتقطها أنف ويف وتنشقتها مبتهجة. «ولا نسمح بدخول الكلاب»، قال.

«أريد رؤية أبي»، قالت شارمين.

«لا يمكنك رؤية أحد»، قال التلميذ. «ما زال المخبز مشغولًا».

«أبي هو السيد بيكر»، قالت له شارمين، «وأعرف أنه سيقابلني. أدخلني».

«وكيف لي أن أعرف أنك صادقة؟»، قال التلميذ متشككًا. «إن هذا سيكلفني عملي...»

عرفت شارمين أنه الوقت الذي يجب أن تتحلى فيه بالذكاء والتهذيب، لكن صبرها نفد مثلما نفد مع الكوبولد. «أوه، يا لك من ولد سخيف!»، قاطعته. «إن عرف أبي أنك لا تسمح لي بالدخول، فسيطردك في الحال! اذهب ونادِه إن لم تصدقني!»

«متعجرفة!»، قال التلميذ. لكنه تراجع عن الباب قائلًا «ادخلي إذن، ولكن اتركي الكلب خارجًا، تفهمين؟»

«لا، لا أفهم»، قالت شارمين. «قد تسرق. إنها كلبة سحرية عالية القيمة، لعلمك، والملك نفسه يسمح لها بالدخول. وإن كان يستطيع، فأنت تستطيع».

بدا التلميذ هازئًا «قولي هذا للوبوك على التلال».

ولولا أن بيل، إحدى السيدات العاملات في المتجر دخلت من باب المخبز لازدادت الأمور صعوبة. كانت تعقد وشاح شعرها وتقول «سأغادر الآن يا تِمي. احرص على أن تغسل كل...»، وعندما رأت شارمين. «أوه، يا مرحبًا بشارمين! تريدين رؤية أبيك، صحيح؟»

«مرحبًا يا بيل. نعم أريد»، قالت شارمين. «لكنه لا يسمح لي بإدخال ويف».

نظرت بيل إلى ويف. وأشرق وجهها بابتسامة. «يا لها من مخلوقة

صغيرة حلوة! لكنك تعرفين رأي أبيك في دخول الكلاب. الأفضل أن تتركيها في المتجر ليعتني بها تمي. ستعتني بها يا تمي، صحيح؟»

تذمر التلميذ ونظر شزرًا إلى شارمين.

«لكني ألفت نظرك يا شارمين»، واصلت بيل كلامها بأسلوبها المثرثر المعهود، «إنهم مشغولون كثيرًا هناك. لديهم طلبية كيكة خاصة. فلن تطيلي المكوث، صحيح؟ أنزلي كلبتك الصغيرة هنا وستكون في أمان. وأنت يا تمي، أريدك أن تنظف هذه الرفوف جيدًا هذه المرة، وإلا كان لي معك حديث آخر غدًا. تا را، ليلة سعيدة!»

خرجت بيل من المتجر وتجاوزتها شارمين داخلة. وخطرت لشارمين أفكار للتسلل داخل المخبز مع ويف، لكنها تعرف أن تاريخ ويف مع الطعام ليس بالجيد. لذا أودعت ويف قرب المنضدة وأومأت إلى تمي إيماءة جافة -سيكرهني ما بقي من حياته، قالت لنفسها- وسارت وحدها متجاوزة الواجهات الزجاجية والرفوف الرخامية الباردة ومجموعات الطاولات والكراسي البِيض، التي اعتاد مواطنو هاي نورلند أن يجلسوا عليها لشرب القهوة وتناول الكيك الشهي. أطلقت ويف أنينًا يائسًا عندما فتحت شارمين باب المخبز، لكنها قسّت قلبها وأغلقت الباب وراءها.

كان المخبز مشغولًا مثل خلية نحل لاهب الحرارة، ومفعمًا بالشذى الذي سيثير نهم ويف قطعًا. ففيه رائحة العجين الجديد والخبز مثقلة بروائح تسيل اللعاب للكعكات والفطائر الرقيقة والوافل، وهذه كلها مثقلة بدورها بروائح الكريمة والزينة المنكهة

المنبعثة من الكيكة ذات الطبقات المتعددة التي يزينها أشخاص كثيرون على أقرب طاولة إلى الباب. ماء الورد! قالت شارمين وهي تتنشق هذه الروائح. ليمون وفراولة ولوز من جنوب إنغري، وكرز وخوخ!

كان السيد بيكر يتنقل من عامل إلى آخر، يعلّمهم ويشجعهم ويتفحص عملهم في سيره. «عليك أن تبذل جهدك في العجن يا جيك»، سمعته شارمين يقول عندما دخلت. وبعد قليلٍ «خففي العجن على تلك المعجنات يا نانسي. لا تخبطيها وإلا غدت كالصخر». ثم سار ناحية أفران الخبز في الطرف الآخر، مخبرًا الشاب الواقف هناك أيها يستخدم. وأينما توجه، لوقي بالانتباه الفوري والطاعة.

أيقنت شارمين أن أباها ملك في مخبزه، وخطر لها أنه ملك أكثر من الملك الحقيقي في القصر الملكي. فقد استقرت قبعته البيضاء على رأسه كالتاج، وتراها تناسبه تمامًا. فهو نحيل الوجه بني الشعر مثلها، وإن فاقها نمشًا.

ووجدته قرب المواقد يتذوق حشوة لحم شهية ويقول للفتاة التي تعدها إن توابلها كثيرة.

«لكن طعمها جيد»، قالت الفتاة معترضة.

«ربما»، قال السيد بيكر، «ولكن الفرق كبير بين الطعم الجيد والطعم الرائع يا لورنا. عجّلي وساعديهم في تزيين الكيكة وإلا ظلوا

يعملون عليها طوال الليل، وأنا سأصلح هذه الحشوة». ورفع القدر عن النار عندما أسرعت لورنا بالذهاب وقد بدا عليها الارتياح العظيم. فاستدار يحمل القدر ورأى شارمين. «مرحبًا يا حبيبتي! لم أتوقع رؤيتك!» ثم خامره شيء من الشك. «هل أرسلتك أمك؟»

«لا»، قالت شارمين. «لقد جئت من تلقاء نفسي. فأنا أعتني بمنزل العم الكبير وليم، أتتذكر؟»

«أوه، صحيح»، قال أبوها. «بمَ أخدمك؟»

«إه...»، قالت شارمين. كان قول هذا صعبًا وقد تذكرت أي خبير يكون أبوها.

فقال «انتظري لحظة»، واستدار ليبحث في صفوف مساحيق الأعشاب والتوابل على رف بجانب المواقد. واختار مرطبانًا وفتح غطاءه وذرّ رشة من شيء في القدر. ثم حرك المزيج وتذوقه وأومأ. «هذا يفي بالغرض الآن»، قال وهو ينزل القدر لتبرد. ثم نظر إلى شارمين متسائلًا.

«لا أحسن الطبخ يا بابا»، قالت بسرعة، «وطعام المساء يأتي نيئًا في بيت العم الكبير وليم. هل عندك أي إرشادات مكتوبة؟ لأجل التلاميذ وما شابه؟»

شد السيد بيكر ذقنه المنمشة بيده النظيفة النظيفة مفكرًا «قلت لأمك دائمًا إنك ستحتاجين معرفة شيء من هذه الأمور»، قال. «سواء أكانت محترمة أم لا. دعيني أرى. جل ما لدي سيكون

متقدمًا عن مستواك، كفطائر اللحم ووجبات الذواقة والصلصات وغيرها. وأتوقع من تلاميذي أن يأتوا إليَّ عارفين بهذه الأساسيات هذه الأيام. لكني أحسب أني ما زلت محتفظًا ببعض الملاحظات الأولية البسيطة من أيام بداياتي. لنذهب ونرَ، ما رأيك؟»

وتقدمها في المخبز، بين الطهاة المشغولين المحتشدين إلى الجدار البعيد. كان عنده بعض الرفوف المتداعية، ازدحمت عليها بلا ترتيب دفاتر وأوراق مبقعة بالمربى وملفات ثخينة مغطاة ببصمات الأصابع المشبعة بالدقيق. «انتظري لحظة»، قال السيد بيكر وهو يتوقف عند طاولة البقايا الواقعة بجانب هذه الرفوف. «يحسن بي أن أعطيك بعض الطعام لتأكليه وأنت تقرئين، صحيح؟»

تعرف شارمين هذه الطاولة حق المعرفة، وكانت ويف ستحبها. كان عليها قطع من مخبوزات لم تنجح تمامًا؛ فطائر رقيقة مكسورة وكعكات مائلة من أحد جانبيها وفطائر لحم متشققة، إلى جانب أشياء من المتجر لم تُبَع ذلك اليوم. كان مسموحًا للعاملين في المخبز أن يأخذوا هذه إلى بيوتهم إن أرادوا. أخذ السيد بيكر أحد الأكياس ذوات النسيج الخشن مما يستخدمه العاملون وأخذ يملؤه بهمة. وفي قعره نزلت كيكة بكريمة أعقبتها طبقة من فطائر اللحم، ثم الكعكات المدوّرة وأخيرًا كيكة جبن كبيرة. وترك الكيس المنتفخ على الطاولة وهو يبحث في الرفوف.

«ها هي»، قال وهو يسحب إلى الأمام دفترًا لينًا بني اللون داكنًا من الدسم القديم. «ظننت أنني ما زلت محتفظًا به! يعود هذا إلى

أيام بداياتي حين كنت فتى أعمل في مطعم في ساحة السوق. كنت جاهلًا مثلك عندها، لذا سيكون ما تحتاجينه تمامًا. هل تريدين الرقى التي تعزز الوصفات؟»

«الرقى؟»، قالت شارمين. «ولكن يا بابا...!»

لم ترَ شارمين السيد بيكر شاعرًا بالذنب هكذا من قبل، وللحظة غرق نمشه في حمرة. «أعرف، أعرف يا شارمين. كانت أمك ستصاب بسبعين نوبة [لسماع هذا]، إذ ستصر على أن السحر شيء وضيع سوقي. ولكني ولدت ممارسًا للسحر، ولا أستطيع تجنب ذلك وخاصة حين أطبخ. نستخدم السحر طوال الوقت في المخبز هنا. فكوني فتاة صالحة طيبة ولا تدعي أمك تعرف بالأمر، أرجوك». وسحب دفترًا رفيعًا أصفر اللون من الرفوف وقلّبه حزينًا. «الرقى هنا كلها رقى بسيطة واضحة تؤدي الغرض. أتريدين هذا؟»

«أجل من فضلك!»، قالت شارمين. «ولن أقول كلمة لأمي طبعًا. أعرف طباعها جيدًا مثلما تعرفها».

«فتاة مطيعة!»، قال السيد بيكر. ودس الدفترين في الكيس بجانب كيكة الجبن وناول الكيس شارمين. وتبادلا الابتسامة متآمرين. «اسعدي بالأكل»، قال السيد بيكر. «حظًا طيبًا».

«ولك أيضًا»، قالت شارمين. «وشكرًا لك يا بابا!». ومدت قامتها وقبلته على خده المنمش الملطخ بالدقيق، أسفل قبعة الطاهي ثم شقت طريقها خارج المخبز.

«يا لك من محظوظة!»، قالت لورنا من وراء شارمين وهي تدفع الباب لتفتحه. «لقد كانت عيني على كيكة الكريمة التي أعطاها لك».

«توجد اثنتان»، ردت شارمين من فوق كتفها، وهي تدخل إلى المتجر. هنالك فوجئت إذ رأت تمي جالسًا على المنضدة الزجاجية الرخامية وويف بين ذراعيه. فشرح بشيء من الدفاع عن النفس «لقد انزعجت كثيرًا عندما تركتها، وأخذت تعوي بأعلى صوتها».

فقالت شارمين لنفسها قد لا نكون عدوين مدى الحياة إذن!، وقفزت ويف من ذراعي تمي تزعق فرحًا. ورقصت حول كاحلي شارمين وأطلقت أصواتًا عالية فلم يسمع تمي طبعًا شارمين وهي تشكره. وحرصت على أن تبتسم ابتسامة كبيرة وتومئ إليه وهي تخرج إلى الشارع، وويف تقفز وتزعق مرحًا حول قدميها.

كان المتجر والمخبز يقعان على الجانب الآخر من المدينة من النهر والسد. ودت شارمين أن تعبره، لولا أن الذهاب عبر الشارع السريع أقصر، ذلك أن ويف عليها أن تمشي لأن شارمين تحمل الكيس المنتفخ. ورغم أن الشارع السريع هو أحد الشوارع الرئيسة، فإنه لم يبدُ كذلك. فهو ملتف وضيق من دون أرصفة، لكن المتاجر على جانبيه بعض من أرقى المتاجر. مشت شارمين ببطء، وهي تتفرج على المتاجر لتتيح الوقت لويف لتلحق بها، متجنبة آخر المتسوقين والناس الذين يتمشون قبل العشاء، وتفكر. انقسمت أفكارها بين الرضا -ليس لپيتر العذر الآن لإعداد طعام مريع- وبين الدهشة. بابا مستخدم للسحر! وهذه حاله دائمًا. إلى

تلك اللحظة وشارمين تشعر بكثيرٍ من الإحساس الخفي بالذنب لتجربتها سفر الطروس، لكنها رأته يتلاشى الآن. أظنني ورثت سحر بابا! أوه يا للروعة! أعرف إذن أني أستطيع تركيب الرقى. ولكن لماذا يفعل بابا دائمًا ما تقوله أمي؟ يصر على أن أكون محترمة بقدر إصرار أمي. يا للآباء صدقًا! وأحست شارمين بسرور شديد حيال هذا.

في تلك اللحظة سمعت قعقعة هائلة لحوافر خيول قادمة من ورائها، مخلوطة بهدير وصيحات عميقة «أفسحوا الطريق! أفسحوا الطريق!»

نظرت شارمين حولها فوجدت فرسانًا يلبسون زيًا موحدًا ويملؤون الشارع، قادمين مسرعين حتى كادوا يدهسونها. وألصق المشاة من الناس أجسادهم بجدران المتاجر الواقعة على جانبي الشارع. وتعثرت على عتبة باب أحدهم وكادت تربض على كيس الطعام، لكنها أمسكت بويف وتمكنت من ألا تُسقِط الكيس. وتراجعت إلى أقرب جدار، وهي تحمل ويف والكيس، عندما خبطت قوائم الخيول وأقدام الرجال قي ركابها مارة من أمامها. وأتبع هذه سلسلة كاملة من خيول راكضة، سوداء براقة عليها تسريجات جلدية طويلة والسوط يفرقع على ظهورها. وهدرت خلفها عربة ملونة كبيرة، تتلألأ من الذهب والزجاج والدروع المطلية، ورجلان يعتمران قبعتين مريّشتين يتمايلان في مؤخرتها. ولحق بها مزيد من البزات على خيول تعدو عدوًا يصم الآذان.

ثم اختفوا، بعيدًا في آخر الشارع حول المنعطف التالي. فتأوهت ويف وارتاحت شارمين وهي تستند إلى الجدار. «ما هذا بحق السماء؟»، قالت للشخص الذي التصق بالجدار بجوارها.

«هذا»، قالت المرأة، «ولي العهد الأمير لودڤيك، في طريقه لزيارة الملك، كما أظن». كانت سيدة جميلة في هيئتها شيء من القوة، ذكّرت شارمين قليلًا بصوفي پندراغن. كانت ممسكة بصبي صغير، كاد يذكِّر شارمين بمورغن، عدا أنه لم يصدر عنه صوت قط. بدا شاحبًا مصدومًا، مثلما شعرت شارمين.

«كان عليه أن يحسن التقدير فلا يأتي مسرعًا في شارع ضيق كهذا!»، قالت شارمين غاضبة. «فقد يصاب أحد بأذى!»، ونظرت في كيسها فوجدت أن كيكة الجبن قد انقسمت نصفين وانثنت، وزادها هذا غضبًا على غضب. «لماذا لم يذهب من ناحية السد، فالمكان واسع هناك؟»، قالت. «ألا يهتم؟»

«لا يهتم كثيرًا»، قالت المرأة.

«إني لأرتجف لتخيّل ما سيكون عليه إن أصبح ملكًا!»، قالت شارمين. «سيكون كريهًا!»

نظرت إليها المرأة نظرة غريبة ذات معنى. «لم أسمعك تقولين هذا»، قالت.

«لماذا؟»، سألت شارمين.

«لودڤيك لا يحب الانتقاد»، قالت المرأة. «إن عنده لوبوكن

لفرض آرائه. لوبوكن، أتسمعين يا بنت؟! لنأمل أني الوحيدة التي سمعت ما قلته». ورفعت الصبي الصغير بين ذراعيها أكثر وابتعدت.

فكرت شارمين في هذا وهي تمشي في المدينة تتأبط ويف تحت ذراع وتجر الكيس بالأخرى. وأملت بقوة أن ملكها أدولفوس العاشر سيظل على قيد الحياة زمنًا طويلًا. أو لعلي أشعل ثورة، قالت لنفسها، ويا ربي، يبدو الطريق إلى بيت العم الكبير وليم طويلًا اليوم!

وصلت إليه في نهاية المطاف، وأنزلت ويف على درب الحديقة بارتياح. داخل البيت كان بيتر في المطبخ يجلس على أحد أكياس الثياب الوسخة، ينظر نكدًا إلى قطعة لحم حمراء كبيرة على الطاولة، وبجانبها ثلاث بصلات وجزرتان.

«لا أعرف كيف أطبخ هذا»، قال.

«لست مضطرًّا»، قالت شارمين وهي تضع كيسها على الطاولة. «ذهبت لرؤية أبي هذا المساء. وهذه»، أضافت وهي تنقب عن الدفترين، «وصفات ورقى تعززها». كان الدفتران في حال أسوأ بسبب كيكة الجبن، فمسحتهما شارمين بتنورتها وناولته إياهما.

ابتهج بيتر أيما ابتهاج وقفز من فوق كيس الثياب الوسخة. «هذا مفيد حقًا!»، قال. «وكيس الطعام أفضل».

أخرجت شارمين كيكة الجبن المنثنية وفطائر اللحم المشققة والكعكات المسحوقة. وكان في كيكة الكريمة في قاع الكيس بعجة على شكل ركبة وسال من كريمتها على فطائر اللحم. فأغضبها هذا

من الأمير لودڤيك مرة أخرى، وقصّت على پيتر الحكاية كلها وهي تحاول ترتيب الفطائر.

«أجل، تقول أمي إنه يتمتع بصفات الطاغية الحقيقي»، قال پيتر بشيء من الشرود لأنه يقلّب الدفترين. «تقول إنها تركت هذه البلاد لهذا السبب. هل أركب هذه الرقى أثناء إعداد الطعام أو قبله أو بعده، هل تعرفين؟»

«لم يقل بابا. عليك أن تكتشف ذلك»، قالت شارمين وذهبت إلى غرفة مكتبة العم الكبير وليم لتجد كتابًا مهدئًا تقرؤه. كان العصا السحرية ذات الأغصان الاثني عشر مثيرًا، لكنه أشعرها أن عقلها انكسر إلى مئة قطعة صغيرة. فلكلُّ غصنٍ من العصا السحرية اثنا عشر غصنًا؛ يتفرع من كلِّ واحدٍ منها اثنا عشر غصنًا أخرى. سأتحول إلى شجرةٍ بعد قليلٍ، قالت شارمين وهي تبحث في الرفوف. واختارت كتابًا عنوانه **رحلة الساحر**، ورجت أن يكون قصة مغامرات. وقد كان كذلك بصورة ما، لكنها سرعان ما أدركت أنه سرد مفصل لكيفية اكتساب الساحر مهاراته.

فأعادها هذا إلى التفكير في اكتشافها لاستخدام أبيها للسحر. وحدثت نفسها: وأعلم أني ورثت هذا، فقد تعلمت الطيران وأصلحت الأنابيب في الحمام في وقت قصير. ولكن يجب أن أتعلم كيف أفعل ذلك بهدوء وسلاسة، بدلًا من الصراخ والتنمر على الأشياء. ما زالت جالسة تتفكر في هذه الأمور عندما صاح بها پيتر لتأتي وتأكل.

«لقد استخدمت الرقى»، قال. كان فخورًا بنفسه، إذ سخّن فطائر اللحم وصنع مزيجًا شهيًا حقًا من البصل والجزر. وأضاف قائلًا «وأنا متعب جدًا بعد يوم من الاستكشاف».

«بحثًا عن الذهب؟»، قالت شارمين.

«هذا ما يجدر بي فعله»، قال بيتر. «فنحن نعرف أنه في مكان ما من هذا البيت. لكن ما وجدته بدلًا من ذلك هو المكان الذي يعيش فيه الكوبولد. إنه شبيه بكهف كبير وكانوا كلهم هناك يصنعون أشياء، جلها من ساعات الوقواق، غير أن بعضهم صنع أباريق الشاي، وبعضهم صنع شيئًا يشبه أريكة قرب المدخل. لم أتحدث إليهم، ولم أعرف إن كانوا في الماضي أو الحاضر، لذا اكتفيت بالابتسام والمراقبة، فلم أرد إغضابهم ثانية. ماذا فعلت اليوم؟»

«أوه يا ربي!»، قالت شارمين. «كان يومًا متعبًا. فقد بدأ بوجود تونكل على السطح، فخفت كثيرًا!»، وقصت عليه الأمر كله.

عبس بيتر وقال «هذا التونكل وهذه الصوفي، أأنت واثقة بأنهما لا يخططان لشر؟ قال الساحر نورلند إن عفاريت النار كائنات خطرة كما تعرفين».

«لقد خطر لي هذا السؤال»، أقرت شارمين. «لكني أظنهما صالحين. يبدو أن الأميرة هلدا استدعتهما طلبًا للمساعدة. ليتني أعرف كيف أجد ما يبحث عنه الملك، فلقد تحمس كثيرًا حين

وجدت شجرة العائلة. أتعرف أن الأمير لودڤيك له ثمانية أقرباء من الدرجة الثانية، وأسماء معظمهم هانز وإزولا، وأنهم كلهم ماتوا ميتات شنيعة؟»

«لأنهم جمع من الأشرار»، قال پيتر. «تقول أمي إن هانز المتوحش مات مسمومًا على يد إزولا القاتلة، وقُتلت هي على يد هانز السكّير حين كان مخمورًا. ثم وقع هانز هذا من الدرج ودُقت عنقه، وشُنقت أخته إزولا في سترانغيا لمحاولتها قتل زوجها اللورد... كم واحدًا ذكرت؟»

«خمسة»، قالت شارمين مبهورة تمامًا. «بقي ثلاثة».

«هؤلاء ماتيلدتان وهانز واحد»، قال پيتر. «اسمه هانز نكولاس ولا أعرف كيف مات، سوى أنه كان خارج البلاد عند موته. وإحدى الماتيلدتين ماتت حرقًا عندما اشتعلت النيران في قصر عزبتها، ويقولون إن الثانية ساحرة خطرة حبسها الأمير لودڤيك في علّية في قلعة جوي. ولا يجرؤ أحد على الاقتراب منها، حتى الأمير لودڤيك، فهي تقتل الناس بالنظر إليهم فقط. لم أخطئ حين أعطيت ويف قطعة اللحم، صحيح؟»

«ربما»، قالت شارمين. «إن لم تَغَصّ. كيف تعرف كل شيء عن هؤلاء الأقارب؟ لم أسمع بهم قط من قبل».

«هذا لأنني من مُنتالبينو»، قال پيتر. «الكل في مدرستي يعرفون عن الأقارب التسعة الأشرار من هاي نورلند. لكني أحسب أن في

هذه البلاد لا يريد الملك ولا الأمير لودڤيك أن يُذاع أن أقاربهما لئيمون جدًّا. يقولون إن الأمير لودڤيك شرير كالبقية».

«ونحن بلاد لطيفة حقًّا!»، اعترضت شارمين. فقد حزنت لأن بلادها هاي نورلند أنجبت تسعة أشخاص شنيعين كهؤلاء، وبدا ذلك قاسيًا على الملك أيضًا.

الفصل الثاني عشر

ويدور حول الغسيل وبيوض اللوبوك

استيقظت شارمين باكرًا اليوم التالي، لأن ويف حشرت أنفها الصغير البارد في أذنها، ولا بد أنها تفكر في أن عليهما الذهاب إلى القصر الملكي كالمعتاد.

«لا، لا يتوجب عليَّ الذهاب!»، قالت شارمين شكسة. «فعلى الملك الاهتمام بالأمير لودڤيك اليوم. ابتعدي يا ويف، وإلا تحولت إلى إزولا وسممتك! أو إلى ماتيلدا وألقيت عليك سحرًا خبيثًا. ابتعدي!»

ركضت ويف مبتعدة حزينة، لكن شارمين استيقظت. وسرعان ما نهضت وهي تخفف من غضبها بوعدها لنفسها بقضاء يوم جميل كسول في قراءة رحلة الساحر.

استيقظ پيتر أيضًا وفي ذهنه أفكار أخرى. «سنغسلُ، اليومَ، قسمًا من هذه الثياب المتسخة»، قال. «هل لاحظت أن في المطبخ عشرة أكياس وعشرة أخرى في غرفة نوم الساحر نورلند؟ وأظن أن في حجرة المؤن عشرة أيضًا».

نظرت شارمين شزرًا إلى أكياس الثياب الوسخة، ولم تنكر أنها أخذت تملأ المطبخ.

«دعنا لا نتجشم العناء»، قالت. «لا بد أن هذا من صنع الكوبولد».

«لا، ليس من صنعهم»، قال پيتر. «تقول أمي إن الثياب المتسخة تتكاثر إذا لم تغسلها».

«عندنا غسّالة»، قالت شارمين. «ولا أعرف كيف أغسل الأشياء».

«سأعلمك»، قال پيتر. «كفي عن الاختباء خلف جهلك».

وتساءلت شارمين غاضبة كيف تمكن پيتر دائمًا من إجبارها على العمل، وسرعان ما وجدت أنها تضخ بقوة من المضخة في الفناء، تملأ الدلاء بالمياه ليحملها پيتر إلى حجرة الغسيل ويفرغها في المرجل النحاسي الكبير. وبعد الدلو العاشرة عاد پيتر قائلًا «علينا إشعال النار تحت المرجل الآن، لكني لا أجد أي وقود. أين يحفظه برأيك؟»

أبعدت شارمين شعرًا متعرقًا عن وجهها بيد منهكة. «لا بد أنها تشتعل كنار المطبخ»، قالت. «سأذهب وأرى». وتقدمته إلى حجرة الغسيل وهي تفكر. وإن لم ينجح هذا، فيمكننا الكف عن المحاولة. جيد. «نحتاج شيئًا يشتعل»، قالت لپيتر.

فنظر حوله مشدوهًا، فلم يكن في داخل الحجرة شيء إلا كومة من الأحواض الخشبية وصندوق من الصابون المبشور. عاينت شارمين المكان عند قاع المرجل، كان أسود بفعل نار قديمة. وعاينت الأحواض أيضًا، كبيرة جدًا. وتفحصت الصابون المبشور وعزمت

على ألا تجازف بإحداث عاصفة أخرى من الفقاعات. فخرجت واقتلعت غصنًا من الشجرة اليابسة. وألقت به إلى الموقد المسود، وضربت على جانب المرجل وقالت «نار!» واضطرت إلى التراجع قفزًا عندما اضطرمت ألسنة اللهب تحت المرجل. «هيا»، قالت لپيتر.

«جيد»، قال. «لنعد إلى المضخة، يجب أن نملأ المرجل الآن».

«لماذا؟»، قالت شارمين.

«لأن عندنا ثلاثين كيسًا من الثياب طبعًا»، قال پيتر. «علينا أن نضع بعضًا من الماء الساخن في بعض هذه الأحواض لِنَقْع الحرائر وغسل الثياب الصوفية. ثم سنحتاج ماء للشطف. دلاء ودلاء».

«لا أصدق هذا!»، تذمرت شارمين لويف، التي شغلت نفسها بالمراقبة. وتنهدت وعادت إلى المضخة.

عندها جلب پيتر من المطبخ كرسيًا ووضعه في حجرة الغسيل. ثم، أمام شارمين المتعضة، صف الأحواض في صف وأخذ يصب فيها دلاء من الماء الذي تعبت في جلبه. «حسبت هذه الدلاء لأجل المرجل!»، قالت معترضة.

ارتقى پيتر الكرسي وأخذ يلقي حفنات من الصابون المبشور في المرجل الذي يفورُ. «كفي عن الجدل واستمري في ضخ الماء»، قال پيتر. «تكاد تكون حرارته مناسبة لغسل الثياب البِيض. ويجب أن تفي بهذا الغرض أربعة دلاء أخرى، ثم يمكنك وضع القمصان والأشياء فيه».

ونزل من الكرسي ودخل إلى البيت. وعندما عاد، كان يجر كيسي غسيل، تركهما مسندين إلى حجرة الغسيل وعاد لجلب المزيد. ضخت شارمين الماء ولهثت ونظرت شزرًا وارتقت الكرسي وصبت دلاءها الأربعة في غيوم البخار المفعمة بالصابون المتصاعدة من المرجل. ثم، أخذت تحل الخيوط التي تربط أول أكياس الغسيل، وهي فرحة لقيامها بشيء آخر. كان فيه جوارب ومبذل سحرة أحمر، وبنطالان وقمصان وثياب داخلية تحت هذا، تفوح منها كلها رائحة العفن بسبب فيضان پيتر في الحمام. والغريب أن شارمين عندما حلت الكيس الثاني وجدت فيه الأشياء نفسها تمامًا.

«لا بد أن يكون غسيل الساحر مميزًا»، قالت شارمين. وأخذت ملء ذراع من الثياب، وارتقت الكرسي ورمت الثياب إلى المرجل.

«لا، لا، لا! توقفي!»، صاح پيتر عندما أفرغت شارمين الكيس الثاني في المرجل. وجاء مسرعًا على العشب، يجر ثمانية أكياس أخرى مربوطة كلها معًا.

«ولكنك قلت لي أن أفعل ذلك!»، اعترضت شارمين.

«ليس قبل أن تفرزي الثياب أيتها الحمقاء!»، قال پيتر. «لا تُغلى إلا الثياب البِيض!»

«لم أعرف»، قالت شارمين متجهمة.

وقضت بقية الصباح تفرز الثياب في أكوام على العشب، وپيتر يرمي بالقمصان إلى المرجل لغليها ويصب الماء والصابون

في الأحواض لنقع المباذل والجوارب وعشرين بنطالًا من ثياب السحرة.

قال في النهاية «أظن القمصان نالت كفايتها من الغليان»، وقدّم حوض الشطف بالماء البارد. «أطفئي النار ريثما أصب الماء الساخن».

ولم تعرف شارمين كيف تطفئ نارًا سحرية. فجربت أن تضرب جانب المرجل، فحرق يدها وقالت «آو! انطفئي أيتها النار!»، في شيء من الصراخ. فانخفضت النار مطيعة الأمر واختفت. فلعقت أصابعها وراقبت بيتر يفتح الصنبور في أسفل المرجل ويطلق رغوة زهرية يتصاعد منها البخار وتسيل إلى المصرف. ونظرت شارمين من خلال البخار أثناء تدفق المياه من الصنبور.

«لم أعرف أن الصابون زهري»، قالت.

«لم يكن كذلك»، قال بيتر. «أوه، يا إلهي! انظري إلى ما فعلته!» وقفز صاعدًا الكرسي وأخذ يرمي القمصان المغلية بعصا متشعبة مصنوعة لهذا الغرض. كل واحد من القمصان، حين بلَّله الماء البارد، تحول إلى اللون الزهري المشرق بلون الكرز. وبعد القمصان، رفع خمسة عشر جوربًا منكمشًا صغيرًا، كلها صغيرة جدًا على مورغن، وبنطال سحرة قياسه قياس طفل. وأخيرًا، أخرج مبذلًا أحمر صغيرًا ورفعه لتراه شارمين متهمًا، وهو يقطر ويتصاعد منه البخار. «هذا ما فعلته»، قال. «لا تضعي أبدًا صوفًا أحمر مع قمصان بيضاء، لأن صباغه سيسيل. وقد تحولت كلها إلى ثياب صغيرة جدًا على الكوبولد. إنك شديدة الغباء!»

«وكيف لي أن أعرف؟»، سألت شارمين حزينة. «لقد عشت حياة مريحة. لم تسمح لي أمي قط بالاقتراب من حجرة الغسيل».

«لأنه ليس أمرًا لائقًا، أعرف»، قال پيتر ممتعضًا. «وتحسبين أني يجب أن أشعر بالأسى لحالك! حسن، لست كذلك، ولن أئتمنك على الاقتراب من المكواة الأسطوانية. وحده الرب يعلم ما ستفعلين بها! سأجرب رقية تبييض وأنا أكوي الثياب. اذهبي واجلبي حبل الغسيل وحوض الملاقط من حجرة المؤن وانشري كل شيء ليجف. هل أثق بأنك لن تشنقي نفسك أو ما شابه وأنت تفعلين ذلك؟»

«أنا لست غبية»، قالت شارمين متعجرفة.

بعد ساعة أو نحوها، عندما جلس پيتر وشارمين، وكلاهما منهك ورطب من البخار، يمضغان بقايا فطائر البارحة في المطبخ، لم تستطع شارمين إلا أن تفكر في أن محاولاتها في حبل الغسيل أنجح من محاولات پيتر في كي الثياب ورقية التبييض. فقد تعرج حبل الغسيل عشر مرات إلى الأمام والخلف في الفناء، لكنه ظل مرتفعًا، والقمصان المنشورة التي ترفرف عليه الآن من الملاقط لم تكن بيضاء. كان بعضها مخططًا بالأحمر، وعلى بعضها زخرفات زهرية غريبة وأخرى زرقاء فاتحة. وشعرت شارمين بأنها شديدة الذكاء لعدم ذكرها لـپيتر أن العفريت الذي يطأطئ ويتجنب تعرجات الغسيل المنشور وقف يحملق إليه بدهشة وقورة.

«ثمة عفريت في الخارج!»، قال پيتر بفمه المليء طعامًا.

ازدردت شارمين ما بقي من فطيرتها وفتحت الباب الخلفي لترى ما يريده. حنى العفريت رأسه الطويل الجميل تحت الباب ومشى إلى وسط المطبخ، إذ وضع الصندوق الزجاجي الذي يحمله على الطاولة. كان داخل الصندوق ثلاثة أشياء بِيض مدورة بحجم كرة المضرب. حملق بيتر وشارمين إليها ثم إلى العفريت الذي اكتفى بالوقوف دون أن ينطق بكلمة.

«ما هذه؟»، قال بيتر أخيرًا.

انحنى العفريت قليلًا وقال «هذه بيوض اللوبوك الثلاث التي أخرجناها من الساحر وليم نورلند. كانت عملية بالغة الصعوبة، لكننا نجحنا في إجرائها».

«بيوض لوبوك!»، قال بيتر وشارمين متعجبين في وقت واحد. وشعرت شارمين بأن وجهها يشحب وتمنت كثيرًا أنها لم تأكل فطيرتها. وأصبح نمش بيتر بني اللون على وجهه. أما ويف التي كانت تتسول الغداء تحت الطاولة، فقد أطلقت أنينًا مضطربًا.

«لماذا... لماذا أحضرت البيوض إلى هنا؟»، تمكنت شارمين من القول.

قال العفريت هادئًا «لأننا وجدنا كسرها مستحيلًا، فقد قاومت كل محاولاتنا السحرية منها وغير السحرية. فخلصنا في نهاية الأمر إلى أن عفريت النار وحده من يقدر على تحطيمها. وأخبرنا الساحر نورلند الآنسة شارمين تعرف عفريت نار».

«هل الساحر نورلند على قيد الحياة؟ هل يكلمكم؟»، سأل پيتر متلهفًا.

«بلا شك»، قال العفريت. «إنه يتعافى وسيكون مستعدًا للعودة في غضون ثلاثة أيام أو أربعة على أبعد تقدير».

«أوه، أنا مسرورة جدًا!»، قالت شارمين. «أكانت بيوض اللوبوك ما تجعله عليلًا؟»

قال العفريت موافقًا. «صحيح. يبدو أن الساحر صادف لوبوكًا قبل بضعة أشهر وهو يمشي في مرج جبلي. ولأنه ساحر فقد تسبب هذا في تشرّب البيوض سحره وبات تحطيمها أمرًا شبه مستحيل. أحذركما من لمس البيوض أو محاولة فتح الصندوق الذي وضعت فيه، فهي بالغة الخطورة. ويجدر بكما الحصول على خدمة عفريت النار في أسرع وقت ممكن».

ابتلع پيتر وشارمين ريقهما ونظرا إلى هذه البيوض الثلاث في صندوقها، فانحنى العفريت انحناءة صغيرة أخرى وسار مبتعدًا عبر الباب الداخلي. فتمالك پيتر نفسه وركض خلفه، صارخًا ليعرف المزيد. لكنه وصل إلى غرفة الجلوس ليجد الباب الأمامي ينصفق مغلقًا. وعندما اندفع، تتبعه شارمين تتبعها ويف، خارجًا إلى الحديقة الأمامية، لم يجد أثرًا للعفريت. لمحت شارمين رولو يسترق النظر خلسة عند سيقان الكوبية، لكن العفريت اختفى تمامًا.

حملت ويف ووضعتها بين ذراعي پيتر وقالت «أبقِ ويف هنا

يا بيتر. سأذهب لإحضار كالسيفر في الحال». وانطلقت تجري في درب الحديقة.

«أسرعي!»، صاح بيتر خلفها. «أسرعي جدًا!»

لم تحتج شارمين إلى أن يقول لها بيتر هذا. فقد ركضت، يتبعها نباح ويف اليائس الزاعق، وركضت وواصلت الركض حتى لفت الجرف الكبير ورأت المدينة أمامها. هنالك كان عليها أن تمشي مشيًا سريعًا وتحتمل الألم الحاد في جنبيها، لكنها حافظت على سرعتها قدر ما استطاعت. كان تخيل هذه البيوض البيضاء المدورة موضوعة على طاولة المطبخ كافيًا لجعلها تتحول إلى العدْو حالما استعادت أنفاسها. ربما فقست البيوض قبل أن تجد كالسيفر. ربما فعل بيتر شيئًا غبيًا، كأن يحاول وضع رقية عليها. ربما... حاولت أن تصرف تفكيرها عن كل الاحتمالات المريعة الأخرى بقولها لنفسها لاهثة «أنا شديدة الغباء! كان عليَّ أن أسأل ذلك العفريت عن عطية العفريت! لكني نسيت أمرها تمامًا. كان علي أن أتذكر. أنا غبية!» لكنها لم تشغل بالها بالأمر، فكل ما تصورته في ذهنها بيتر وهو يغمغم رقًى على الصندوق الزجاجي، فهو لا يتوانى عن التجربة.

انهمر المطر عندما دخلت المدينة، ففرحت شارمين. لا بد أن يصرف هذا ذهن بيتر عن بيوض اللوبوك، إذ عليه أن يسرع إلى الخارج لإدخال الغسيل قبل أن يتبلل ثانية. ما دام لم يرتكب شيئًا غبيًا قبل ذلك!

وصلت إلى القصر الملكي مبللة ومنقطعة الأنفاس، إذ قرعت

المقرعة ورنت الجرس بهياج أكبر مما فعلته حين كان تونكل على السطح، وكأنما انقضى دهر قبل أن يفتح سِم الباب.

«أوه يا سم»، قالت لاهثة. «أحتاج رؤية كالسيفر في الحال! أيمكنك أن تخبرني أين هو؟»

«قطعًا يا آنستي»، أجاب سم دون أن يهتم لمرأى شعر شارمين المبلل وثيابها التي تقطر. «السير كالسيفر الآن في الردهة الكبرى. اسمحي لي أن أدلك».

وأغلق الباب وتهادى، وشارمين تقطر وهي تتبعه إلى آخر الممر الطويل المعتم، متجاوزين الدرج الحجري إلى ممر كبير في مكان قريب من آخر القصر، وهو مكان لم تدخله شارمين من قبل.

«في الداخل هنا يا آنستي»، قال فاتحًا الباب الكبير المتداعي.

دخلت شارمين إلى هدير أصوات وجمع من الناس المتأنقين، الذين بدا أنهم يتبادلون الصراخ وهم يمشون ويأكلون الكيك من صحون صغيرة أنيقة. كانت الكيكة أول ما رأته، فقد انتصبت بمهابة على طاولة خاصة وسط الغرفة. ورغم أنه لم يبقَ إلا نصفها، فقد كانت قطعًا الكيكة نفسها التي عمل في تزيينها طهاة أبيها مساء أمس. كانت رؤيتها كرؤية صديق قديم بين كل هؤلاء الأشخاص المتأنقين في مخمل بزرقة منتصف الليل ودمقس أزرق داكن، التفتوا لينظروا بعجرفة إلى شارمين ثم تبادلوا نظرات اشمئزاز مع السيدة الواقفة بجوارهم. كانت هذه السيدة تلبس -ليس فستان حفلة ولا

فستان شاي! برأي شارمين- من فاخر الحرير والساتان ما سيجعل الخالة سمپرونيا تظهر رثة الثياب لو أنها كانت هنا. لم تكن الخالة سمپرونيا موجودة، لكن اللورد العمدة موجود وزوجته أيضًا، وجل أكابر الناس في المدينة.

سأل الرجل الذي يلبس أزرق منتصف الليل «من هذه الصغيرة المبللة من العوام يا سِم؟»

«الليدي تشارمنغ»، أجاب سِم، «المساعدة الجديدة لصاحب الجلالة، يا صاحب السمو». والتفت إلى شارمين «اسمحي لي أن أقدمك إلى سموه، ولي العهد الأمير لودڤيك يا سيدتي»، وتراجع وخرج من الغرفة وأغلق الباب.

شعرت شارمين بأن الأرضية ستسدي إليها معروفًا إن هي انفتحت تحت قدميها المبللتين وأسقطتها في القبو. لقد نسيت تمامًا أمر زيارة ولي العهد الأمير لودڤيك. لا شك أن الأميرة هلدا دعت أكابر أهل هاي نورلند للقاء الأمير. أما هي، شارمين بيكر من العوام، فقد اقتحمت حفلة الشاي.

«سررت بلقائك يا صاحب السمو»، حاولت أن تقول، فخرج منها الكلام شبيهًا بهمس الخائف. ربما لم يسمعها الأمير لودڤيك، فضحك وقال «هل ليدي تشارمنغ اسم مستعار يناديك به الملك أيتها الفتاة الصغيرة؟»، وأشار بشوكة الكيك إلى السيدة التي تلبس فستانًا لا يشبه فساتين المساء. «أسمّي مساعدتي ليدي موني باغز [أكياس المال]. فهي تكلفني ثروة كما ترين».

فتحت شارمين فمها لتوضح اسمها الحقيقي، لكن الليدي التي تلبس فستانًا لا يشبه فساتين المساء قالت قبلها «لا حاجة إلى قول ذلك!»، قالت غاضبة. «يا لك من خبيث!»

ضحك الأمير لودڤيك واستدار ليكلم الرجل الرتيب الذي يقترب لابسًا بدلة رمادية حريرية رتيبة. كانت شارمين ستتسلل في الحال للبحث عن كالسيفر، لولا أن الأمير عندما التفت شع عليه الضوء القادم من الثريا فوق رأسه في نظرة جانبية، والعين التي رأتها لمعت باللون الأرجواني الداكن.

وقفت شارمين كتمثال بارد من الرعب. كان الأمير لودڤيك لوبوكن. لهنيهةٍ لم تستطع حراكًا وهي تعرف أنها تبدي خوفها، وتعرف أن الناس سيرون مدى خوفها ويتساءلون عن السبب. كان الرجل الرتيب ينظر إليها سلفًا، بفضول في عينيه البنفسجيتين الفاتحتين. يا رب السماوات! إنه لوبوكن أيضًا. هذا ما أثار قلقها من قبل عندما صادفته قرب المطبخ.

لحسن الحظ أن اللورد العمدة ابتعد من جانب طاولة الكيكة عندها، وانحنى بشدة أمام الملك، ولمحت شارمين حصانًا هزازًا، بل رأت شارمين أحصنة هزازة كثيرة. فألهاها هذا عن خوفها. ولسبب ما، صُفَّت الأحصنة الهزازة عند جدران القاعة الكبيرة. وكان تونكل يجلس على أقربها من المدفأة الرخامية الكبيرة، يحملق إليها بجدية. عرفت شارمين أنه علم بما أصابها من صدمة وأرادها أن تخبره عن السبب.

وأخذت تمشي نحو المدفأة، فجعلها هذا ترى مورغن، يجلس قرب الحاجز الرخامي ويلعب بصندوق من مكعبات التركيب، وصوفي تقف قربه. ورغم فستان صوفي الأزرق زرقة الطاووس وهيئتها بأنها جزء من حفلة الشاي، فإنَّ شارمين تخيَّلت صوفي -للحظةٍ- لبؤة كبيرة تكشر عن أنيابها، وتقف لحراسة شبلها الصغير.

«أوه مرحبًا يا شارمين»، قالت الأميرة هلدا في أذن شارمين بصورة ما. «أتودين تناول بعض الكيك ما دمت هنا؟»

نظرت شارمين إلى الكيكة نظرة حسرة وتنشقت رائحتها الزكية. «لا، وشكرًا لك يا سيدتي»، قالت. «لقد جئت أحمل رسالة إلى إه... السيدة پندراغن». أين كالسيفر؟

«حسن، ها هي هناك»، قالت الأميرة هلدا وهي تشير إليها. «علي القول إن الطفلين يحسنان التصرف تمامًا هذه اللحظة. ليت هذا يدوم!»

وأسرعت تخفّ وهي تعرض الكيك على شخص متأنق آخر. لم يكن فستانها، بكل حفيفه، جميلًا بقدر ثياب الأخريات في الغرفة. فقد كان باهت اللون أبيض في بعض الأماكن وذكّر شارمين قليلًا بالغسيل بعدما ألقى پيتر تعويذة التبييض. أوه، أرجوك لا تسمح لـپيتر أن يجرب تعويذات على بيوض اللوبوك! صلَّت شارمين وهي تتقدم نحو صوفي.

«مرحبًا»، قالت صوفي تبتسم بقليل من التوتر. وخلفها تونكل

يهز الحصان الهزاز كريك كرييك، بصورة تثير الغيظ. ووقفت المربية البدينة إلى جواره وقالت «انزل يا سيد تونكل من فضلك. إنك تحدث إزعاجًا يا سيد تونكل. لا أريد أن أكرر كلامي يا سيد تونكل!» مرة بعد أخرى، وكان هذا أكثر إثارة للغيظ.

جثت صوفي وناولت مورغن مكعبًا أحمر، ومد مورغن المكعب إلى شارمين. «متعب أذرد [مكعب أزرق]»، قال لها.

فجثت شارمين هي الأخرى وقالت «لا، ليس بأزرق. حاول مرة ثانية».

غمغمت صوفي من جانب فمها «تسرني رؤيتك. لست أهتم بهذا الأمير بتاتًا، ولا تلك المرأة السيئة المفرطة التأنق التي ترافقه، ماذا عنك؟».

«برجواني؟»، خمن مورغن وهو يمد المكعب مرة أخرى.

«لست ألومك»، همست شارمين لصوفي. «لا، إنه ليس أرجوانيًا، بل أحمر. لكن الأمير أرجواني، أو عينيه أرجوانيتان. إنه لوبوكن».

«ماذا؟»، قالت صوفي حائرة.

«أحمد؟»، سأل مورغن ناظرًا إلى مكعبه غير مصدق. كريك كريك استمر الحصان الهزاز.

«نعم، أحمر»، قالت شارمين. «لا أستطيع الشرح هنا. أخبريني أين كالسيفر... سأشرح له وهو يخبرك. أحتاج إلى كالسيفر في الحال».

«ها أنا ذا»، قال كالسيفر. «لأي شيء تحتاجيني؟»

نظرت شارمين حولها. كان كالسيفر يحترق بين الحطب المشتعل في المدفأة، مازجًا لهبه الأزرق باللهب البرتقالي للحطب مبديًا هدوءًا شديدًا فلم ترَه شارمين حتى تكلم. «أوه، حمدًا للرب!» قالت. «أيمكنك القدوم معي حالًا إلى بيت الساحر نورلند؟ لدينا حالة طارئة هناك ولا يحلها إلا عفريت نار. أرجوك!»

الفصل الثالث عشر

وفيه يكون كالسيفر مشغولًا جدًا

انتقلت عينا كالسيفر البرتقاليتان إلى صوفي وسألها «أتحتاجيني في الحراسة هنا؟ أم تستطيعين تدبر أمرك بوجودكما؟»

نظرت صوفي قلقة إلى الجمع المتأنق وقالت «لا أظن أحدًا سيحاول فعل أي شيء الآن. ولكن عد سريعًا، يخامرني إحساس مروّع بالخطر. ولست أثق بالرجل ذي العينين البنفسجيتين قيد أنملة، ولا بذاك الأمير اللئيم».

«حسن. لنسرع. قفي أيتها الشابة تشارمنغ. سأجلس على يديك»، معمع كالسيفر.

نهضت شارمين، متوقعة أن تحترق -أو تشيط- في أي لحظة. واعترض مورغن على ذهابها وهو يلوح لها بمكعب أصفر ورافعًا صوته بصراخ مدوٍّ قائلًا «أحتر، أحتر، أحتر!»

«إششش!»، قالت صوفي وتونكل معًا، وأضافت المربية البدينة «يجب ألا نصرخ يا سيد مورغن، وخاصة في حضرة الملك».

«إنه أصفر»، قالت شارمين وهي تنتظر الوجوه المحدقة أن تشيح بأنظارها. أخذت تدرك ألا أحد من الضيوف الأكابر عرف أن كالسيفر جزء من النار وأنه أراد أن يظل الأمر كذلك.

حالما فقد الجميع الاهتمام وعادوا إلى هذرهم، قفز كالسيفر من النار وحط فوق أصابع شارمين بما يشبه صحن كيك، ولم يؤلمها بتاتًا، بل إن شارمين لم تكد تشعر به.

«ذكي»، قالت.

«تظاهري بحملي»، أجابها كالسيفر، «واخرجي بي من الغرفة».

ثنت شارمين أصابعها حول الصحن المزيف وسارت نحو الباب. وارتاحت لابتعاد الأمير لودفيك، لكن الملك كان قادمًا نحوها، وأومأ إلى شارمين وابتسم.

«اجلبي لنفسك بعض الكيك»، قال. «لذيذة، أليست كذلك؟ ليتني أعرف لماذا نملك كل هذه الأحصنة الهزازة. لست تعرفين، صحيح؟»

هزت شارمين رأسها نفيًا وابتعد الملك ولا يزال مبتسمًا. «لماذا نملك كل هذه الأحصنة الهزازة؟»، سألت شارمين.

«حماية»، قال صحن الكيك. «افتحي الباب ولنخرج من هنا».

رفعت شارمين يدًا من الصحن وفتحت الباب وانسلت خارجة إلى الممر المعتم الذي يردد الصدى. «ولكن حماية لمن ومن أي شيء؟»، سألت وهي تغلق الباب بهدوء قدر المستطاع.

«مورغن»، قال صحن الكيك. «وصلت رسالة مجهولة إلى صوفي هذا الصباح. تقول «أوقفي تحرياتك وغادري هاي نورلند، وإلا أصاب طفلك الأذى». لكننا لا نستطيع الرحيل، لأن صوفي وعدت الأميرة بأنها ستبقى حتى نعرف مكان اختفاء المال. سنتظاهر غدًا بأننا...»

قاطع كالسيفر نباحٌ حاد. فقد جاءت ويف مسرعة من عند الزاوية وألقت بنفسها مبتهجة على كاحلي شارمين. فقفز كالسيفر وطار حرًا في شكله المعتاد، على هيئة قطرة زرقاء قوية تحوم عند كتف شارمين. فحملت شارمين ويف وقالت «كيف استطعت...؟»، وهي تحاول أن تبعد وجهها عن لسان ويف المشتاق. ثم أدركت أن ويف لم تُصبِها قطرة من مطر. «أوه يا كالسيفر، لا بد أنها جاءت من الطريق السريع عبر البيت! أتستطيع أن تدلني على غرفة الاجتماعات؟ أستطيع العودة بنا من هناك».

«هذا سهل»، انطلق كالسيفر مثل مذنّب أزرق بسرعة كبيرة وجدت شارمين صعوبة في مواكبته. وانعطف عددًا من الزوايا ودخل الممر الذي تفوح منه روائح المطبخ. وفي لمح البصر كانت شارمين تقف وظهرها إلى باب غرفة الاجتماعات وويف بين ذراعيها وكالسيفر يطير عند كتفها، وحاولت أن تتذكر الطريق من هنا. فقال كالسيفر «هكذا»، وتعرج في طريقه أمامها، فتبعته شارمين بأقصى سرعتها ووجدت نفسها في الممر الذي تقع فيه غرف النوم. كان ضوء الشمس يسطع في النافذة الواقعة وراء غرفة

مكتبة العم الكبير وليم. وهرع پيتر نحوهم، شاحبًا متعجلًا. «أوه، يا لك من كلبة مطيعة يا ويف!»، قال. «أرسلتها لإحضارك. تعالي وألقي نظرة على هذا!»

ودار وركض عائدًا إلى الطرف الآخر من الممر، إذ أشار وهو يرتعش قليلًا إلى المنظر الواقع خارج النافذة.

في مرج الجبل، كان المطر يمر بغيوم كبيرة رمادية داكنة ذائبة لا تزال تمطر على المدينة. وتقوس قوس قزح عبر الجبال، متوقدًا أمام الغيوم وباهتًا سديميًا عبر المرج. ولمع عشب المرج وتلألأ بالبلل المضاء بنور الشمس، فداخت شارمين لحظة ولم تر ما يشير إليه پيتر.

«هذا اللوبوك»، قال پيتر بصوت أجش. «صحيح؟»

كان اللوبوك موجودًا طويلًا ضخمًا أرجوانيًا وسط المرج. كان منحنيًا قليلًا ليستمع إلى كوبولد يقفز إلى الأعلى والأسفل، مشيرًا إلى قوس قزح ويصرخ باللوبوك.

«هذا هو اللوبوك قطعًا»، قالت شارمين راجفة. «وذلك رولو».

ولما قالت ذلك ضحك اللوبوك ودوّر حزمة الألياف البصرية لأعين الحشرة نحو قوس قزح. وتراجع إلى الوراء حذرًا حتى بدت الخطوط السديمية لقوس قزح بجانب قدميه الحشريتين. ثم انحنى وسحب جرة فخارية صغيرة من العشب. فحجل رولو في المكان.

«لا بد أن هذه قدر الذهب في نهاية قوس قزح!»، قال پيتر متعجبًا.

وراقبوا اللوبوك يمرر الجرة إلى رولو الذي أخذها بين ذراعيه. كانت ثقيلة بلا شك، فتوقف رولو عن الحجل وتهادى مرجعًا رأسه إلى الوراء فرحًا جشعًا. ودار ليتهادى مبتعدًا، فلم ير أن اللوبوك مدّ بمكر مجساته الأرجوانية الطويلة وراءه. ولم ينتبه عندما طعنت المجسات ظهره، بل غاص في عشب المرج ولم يزل متشبثًا بالجرة وضاحكًا. وضحك اللوبوك أيضًا، وهو يقف وسط المرج ويلوح بذراعيه الحشريتين.

«لقد وضع بيوضه في رولو»، همست شارمين، «ولم ينتبه!» أصابها الغثيان، فقد كاد الشيء نفسه يحصل لها. واخضر وجه پيتر وارتجفت ويف. قالت شارمين «اسمع، أظن اللوبوك وعد رولو بجرة من الذهب ليوقع بين الكوبولد والعم الكبير وليم».

«أنا متأكد من ذلك»، قال پيتر. «قبل وصولك سمعت رولو يصرخ بأنه يريد أجره».

فخطر لشارمين أنه فتح النافذة واستمع، ذلك الغبي السخيف.

«يجب أن أعلن الحرب»، قال كالسيفر. فلقد أصابه الوهن والشحوب. فأردف في هسهسة صغيرة تهدجت قليلًا «علي أن أحارب ذلك اللوبوك وإلا فلن أكون جديرًا بالحياة التي منحتني إياها صوفي. لحظة». فكف عن الكلام وتعلق في الهواء طويلًا متخشبًا مغمضًا عينيه البرتقاليتين.

«أأنت عفريت النار؟»، سأل پيتر. «لم أرَ واحدًا من قـ...»

«الزم الصمت»، قال كالسيفر. «إني أركز. يجب أن يكون هذا دقيقًا».

وسمعوا هديرًا خفيفًا من مكان ما. ثم من فوقهم عبر النافذة في الخلف، تناهى ما حسبته شارمين في البدء غيمة رعدية. فقد ألقت على المرج ظلًا كبيرًا أسود يشبه البرج، وسرعان ما وصل إلى اللوبوك الجذل. نظر حوله حين سقط الظل عليه وشُل للحظة. ثم أخذ يركض. حينها أتبع الظل الشبيه بالبرج القلعة التي يصدر عنها، قلعة عالية سوداء بنيت من آجر ضخم من الصخور السُّود ولها أبراج على الجوانب الأربعة. ورأوا الصخور الكبيرة التي بنيت منها تهتز وتجرش وهي تتحرك، ولحقت باللوبوك بأسرع من ركضه.

راوغ اللوبوك ودارت القلعة وراءه. فبسط اللوبوك جناحيه الصغيرين الأزغبين ليزيد سرعته وذهب يخبط في خطوات مضطربة إلى الصخور العالية في نهاية المرج. وعندما وصلها، دار وجاء مسرعًا إلى الاتجاه الآخر، نحو النافذة. ولا بد أنه وثب قبل أن ترتطم القلعة بالصخور. لكن القلعة حافظت على نفسها دون أدنى عناء ولحقت به أسرع من ذي قبل. وانبعثت من أبراج القلعة نفحات من الدخان الأسود وطارت عابرة قوس قزح المتلاشي. دوّر اللوبوك واحدة من أعينه الحشرية الكثيرة وهو يركض، ثم أنزل رأسه الحشري وارتمى في انعطافة كبيرة احتلت الحافة من الجرف، خافقًا بمجساته وضاربًا بأجنحته. ورغم أن أجنحته باتت غبشًا أرجوانيًا، فإنَّه لم يتمكن من

الطيران بها. وفهمت شارمين لماذا لم يحاول اللحاق بها وهي تنزل من الجرف، لأنه لن يتمكن من الطيران إلى الأعلى للعودة. وبدلًا من القفز من الجرف للهرب، واصل اللوبوك ركضه مغريًا القلعة باللحاق به والسقوط من الحافة.

ولحقت به القلعة، فجاءت تنفخ ويتصاعد منها البخار وتجرش بسرعة عند حافة الجرف، وبدت متوازنة كل الاتزان رغم أن نصفها تدلى من الحافة. صاح اللوبوك بنعيب اليأس، وغيّر اتجاهه مرة أخرى واندفع إلى وسط المرج. هنالك لعب حيلته الأخيرة وصغّر حجمه، فانكمش إلى حشرة أرجوانية صغيرة وغاص بين العشب والزهور.

وفي لحظات وصلت القلعة إلى ذلك المكان، وارتجت لتقف في مكان اختفاء اللوبوك وترددت هناك. أخذ اللهب ينبعث من جانبها السفلي المستوي، لهب أصفر أولًا ثم برتقالي ثم أحمر غاضب وأخيرًا حرارة بيضاء شديدة السطوع لا يمكن النظر إليها. وانبعثت ألسنة اللهب والأدخنة السوداء من جانبيها وانضمت إلى الأدخنة الداكنة المنبثقة من أبراجها، وامتلأ المرج بضباب أسود حار. ولعلها ليست إلا لحظات، لكنها بدت ساعات، كانت القلعة شكلًا داكنًا يدور فوق سطوع ذي أدخنة، كالشمس التي ترى من خلال الغيوم. ومن خلف النافذة السحرية سمع دوي الحريق.

«طيب»، قال كالسيفر. «أظن هذا وفى بالغرض». والتفت إلى شارمين التي لاحظت أن عينيه باتتا فضيتين لامعتين غريبتين. «هلا فتحت النافذة رجاء؟ يجب أن أذهب للتأكد».

وعندما أدارت شارمين المقبض وفتحت النافذة، نهضت القلعة وتحركت جانبًا. وتجمعت كل الأدخنة والضباب في نفثة كبيرة داكنة، تدحرجت من حافة الجرف وسقطت في الوادي، وهناك تبددت. عندما طار كالسيفر إلى المرج، كانت القلعة تقف وقوفًا رزينًا، ينبعث من كل برج فيها دخان خفيف، إلى جانب رقعة مربعة كبيرة من التراب الأسود. وتسللت من النافذة رائحة قذرة مريعة.

«ياع!»، قالت شارمين. «ما هذا؟»

«أرجو أن يكون لوبوكًا مشويًا»، قال پيتر.

وراقبا كالسيفر يطير إلى المربع المحروق، وتحول هناك إلى خط أزرق نشيط يدور في هذا الاتجاه وذاك خلال السواد حتى غطى كل ذرة صغيرة منه.

وعاد طائرًا وعادت عيناه برتقاليتين كعادتهما وقال مسرورًا. «انتهى الأمر. قضي عليه».

وكذلك قضي على الكثير من الزهور، قالت شارمين في نفسها، ولكن قول ذلك لم يبدُ لائقًا. المهم أن اللوبوك قد زال، زال حقًا. «ستنمو الزهور مرة أخرى العام القادم»، قال لها كالسيفر. «لأي شيء جئت لاستدعائي؟ هذا اللوبوك؟»

«لا. بيوض اللوبوك»، قال پيتر وشارمين معًا، وأخبراه بأمر العفريت وما قاله.

«أرياني»، قال كالسيفر.

فذهبوا كلهم إلى المطبخ إلا ويف التي تأوهت ورفضت الذهاب. هنالك رأت شارمين من النافذة منظرًا للفناء تضيئه الشمس، مليئًا بالثياب الزهرية والبِيض والحُمر التي تقطر ولم تزل منشورة على حبل الغسيل. واضح أن بيتر لم يكترث لإدخالها، وتساءلت عما كان يفعله. ما زال الصندوق الزجاجي على الطاولة، وما زالت البيوض فيه، لكنه غاص في الطاولة بصورة ما، ولم يظهر منه إلا نصفه.

«ما الذي جعله يبدو هكذا؟»، سألت شارمين. «السحر في البيوض؟»

بدا بيتر خجلًا قليلًا وقال «ليس تمامًا. لقد حدث هذا عندما ألقيت رقية الأمان عليه. كنت عائدًا إلى غرفة المكتبة للبحث عن رقية أخرى عندما رأيت رولو يكلم اللوبوك».

أليست هذه عادتك؟! يظن هذا الغبي أنه عالم بكل شيء! قالت شارمين في نفسها.

«رقية العفريت كافية»، قال كالسيفر وهو يطير فوق الصندوق المطمور.

«لكنه قال إنه خطر!»، اعترض بيتر.

«لقد زدته خطرًا»، قال كالسيفر. «لا يقتربن أي منكما. لا يمكن لأحد أن يلمس الصندوق. أيعرف أي منكما طبقة صلبة من الصخر يمكنني تحطيم هذه البيوض عليها؟»

حاول بيتر ألا يظهر إحساسه بالإهانة. وتذكرت شارمين

سقوطها من الجرف وأنها كادت تحط على صخور كبيرة قبل أن تبدأ بالطيران. فبذلت قصارى جهدها لتصف لكالسيفر أين تقع هذه الصخور الوعرة.

«تحت الجرف. فهمت»، قال كالسيفر. «ليفتح أحدكما الباب رجاء ثم ليتراجع». أسرع ييتر ليفتح الباب، ورأت شارمين أنه خجل جدًا مما فعله بالصندوق الزجاجي. لكن هذا لن يمنعه من فعل شيء سخيف مثل هذا في وقت آخر، ليته تعلم! قالت في نفسها.

طار كالسيفر فوق الصندوق الزجاجي دقيقة ثم أسرع ناحية الباب المفتوح. وفي منتصف الطريق كأنه علق يرتج ويرتجف، حتى أطلق تنهيدة قوية طاويًا نفسه مثل شرغوف أزرق كبير ثم ضاربًا نفسه ليستقيم ثانية، وانطلق إلى الأمام عبر الغسيل الملون. تحرر الصندوق الزجاجي مطلقًا صريرًا وصوتًا كأن أحدًا يرمي ألواحًا خشبية في المكان، وانطلق خلفه. وطار في الفناء، والبيوض تتبع كالسيفر المتخذ شكل القطرة الزرقاء الصغيرة. ذهب ييتر وشارمين إلى الباب وراقبا الصندوق الزجاجي يتلألأ في طريقه إلى الأعلى وخلال التل الأخضر نحو مرج اللوبوك، حتى غاب عن الأنظار.

«أوه!»، قالت شارمين. «نسيت أن أقول له إن الأمير لودڤيك لوبوكن!»

«هل هو كذلك؟ صدقًا؟»، قال ييتر وهو يغلق الباب. «هذا يفسر سبب ترك أمي البلاد إذن».

لم تهتم شارمين قط بوالدة بيتر، والتفتت نافذة الصبر ورأت الطاولة عادت مستوية وارتاحت لهذا. كانت تتساءل ما الذي تفعله بطاولة في وسطها حفرة مربعة الشكل. «أي رقية سلامة استخدمت؟»

«سأريك»، قال بيتر. «أريد أن ألقي نظرة ثانية على تلك القلعة. أتظنين أننا نستطيع فتح النافذة والخروج والاقتراب منها؟»

«لا»، قالت شارمين.

«لكن اللوبوك ميت من غير شك»، قال بيتر. «فلا ضير في الذهاب».

راود شارمين إحساس قوي بأن بيتر يبحث عن المتاعب. «وكيف تعرف أنه واحد فقط؟»، قالت.

«هذا قول الموسوعة»، جادلها بيتر. «اللوبوك مستوحد».

واختصما وهما يتجادلان بشدة أثناء دخولهما من الباب الداخلي ودارا يسارًا إلى الممر. وهناك اندفع بيتر نحو النافذة متحديًا، واندفعت شارمين وراءه وأمسكت بسترته. واندفعت ويف خلفهما تزعق خوفًا، وحاولت جهدها أن تلف نفسها حول قدمي بيتر فسقط وكلتا يديه على النافذة. نظرت شارمين قلقة إلى المرج يلمع بهدوء في نور الشمس البرتقالي، حيث القلعة لم تزل رابضة بجانب الرقعة السوداء المحروقة. كانت من أغرب المباني التي رأتها في حياتها.

وأعماهما وميض الضوء شديد السطوع.

وبعد لحظات سمعا دوي انفجار عالٍ مثلما كان الضوء ساطعًا. وارتجت الأرض تحتهما وغبشت النافذة في إطارها. اهتز كل شيء. وخلال دموع سدر الرؤية الممزوجة ببقع العمى، ظنت شارمين أنها رأت القلعة تهتز بكاملها. وبأذنيها المشوشتين الصماوين ظنت أنها سمعت الصخور تتحطم وتنسحق وتهوي.

ذكية يا ويف! لو خرج پيتر، لكان ميتًا، قالت شارمين في نفسها.

«ما هذا في رأيك؟»، سأل پيتر عندما استعادا سمعهما.

«كالسيفر يحطم بيوض اللوبوك طبعًا»، قالت شارمين. «الصخور التي ذهب إليها تقع تحت المرج مباشرة».

ورمش كلاهما، محاولين إبعاد البقع الزُّرق والرمادية والصُّفر لسدر الرؤية التي ظلت تطفو أمام أعينهما. وأمعنا النظرَ، إذ كان صعبًا عليهما أن يصدقا الأمر، لكن نصف المرج قد ولى. وزالت قطعة متعرجة من المكان الأخضر المنحدر كأنها قضمة كبيرة، وتحت ذلك حدث انهيار أرضي حتمًا.

«هممم»، قال پيتر. «لا تظنين أنه حطم نفسه، صحيح؟»

قالت شارمين «أرجو أنه لم يفعل!»

وانتظرا وراقبا. وعادت الأصوات إلى آذانهما كالمعتاد إلا من أزيز خفيف. وتلاشت البقع من أعينهما شيئًا فشيئًا. بعد قليلٍ لاحظ كلاهما أن القلعة تندفع اندفاعًا حزينًا تائهًا عبر المرج نحو الصخور على الجانب الآخر. وانتظرا وراقبا حتى اندفعت فوق الصخور

وغابت عن الأنظار في الجبال، وما من أثر لكالسيفر.

«لعله عاد إلى المطبخ»، قال پيتر.

فعادا إلى هناك، وفتحا الباب الخلفي وأطلّا بين الغسيل، ولكن ما من أثر للقطرة الزرقاء الطائرة. فعبرا غرفة الجلوس وفتحا الباب الأمامي، ولكن الزرقة الوحيدة في الخارج هناك كانت زرقة الكوبية.

«أيموت عفاريت النار؟»، سأل پيتر.

«لا علم لي»، قالت شارمين. وكعادتها في أوقات الشدة عرفت ما تود فعله. «سأذهب لقراءة كتاب»، قالت. وجلست على أقرب أريكة، ووضعت نظارتها، ورفعت رحلة الساحر عن الأرض. زفر پيتر زفرة غاضبة وذهب.

لكن هذا لم ينفع، فلم تستطع شارمين التركيز. وظلت تفكر في صوفي ومورغن أيضًا. كان واضحًا لها أن كالسيفر بصورة غريبة فرد من عائلة صوفي. «إنه أسوأ من فقدانك»، قالت لويف التي جاءت للجلوس على حذائها. وتساءلت إن كان في وسعها الذهاب إلى القصر الملكي وإخبار صوفي بما حدث. لكن الليل خيم، وستضطر صوفي على الأرجح إلى حضور مأدبة عشاء رسمية، والجلوس مقابل الأمير اللوبوكن وأمامها شموع وما شابه. لم تر شارمين أنها تجرؤ على مقاطعة مناسبة أخرى في القصر. ثم إن القلق الشديد يستحوذ على صوفي من التهديد بإيذاء مورغن. ولم ترغب شارمين في زيادة قلقها، ولعل كالسيفر يظهر في الصباح، فهو من نار. من جانب آخر

كان ذاك الانفجار كافيًا لتفجير أي شيء إلى قطع. وتخيلت شارمين قطعًا من اللهب الأزرق متناثرة في انهيار أرضي...

عاد پيتر إلى غرفة الجلوس وقال «أعرف ما يجب علينا فعله».

«نعم؟»، قالت شارمين متلهفة.

«يجب أن نذهب ونخبر الكوبولد بأمر رولو»، قال پيتر.

حملقت شارمين، ونزعت نظارتها وحملقت بوضوح أكبر. «وما علاقة الكوبولد بكالسيفر؟»

«لا شيء»، قال پيتر في شيء من الحيرة. «لكننا نستطيع إثبات أن اللوبوك دفع إلى رولو ليفتعل المشاكل». وتساءلت شارمين إن كان عليها أن تهب لضربه على رأسه برحلة الساحر. اللعنة على الكوبولد!

«يجب أن نذهب الآن»، قال پيتر مقنعًا إياها، «قبل...»

«في الصباح»، قالت شارمين بحزم وحسم. «في الصباح، بعد أن نخرج إلى تلك الصخور ونرى ما حدث لكالسيفر».

«ولكن...»، قال پيتر.

«لأن»، قالت شارمين وهي تفكر سريعًا في الأسباب، «رولو سيخرج إلى مكان ما لإخفاء جرة الذهب. يجب أن يكون موجودًا عندما نوجه إليه الاتهام».

وفوجئت لما رأت پيتر يفكر في الأمر ويوافقها الرأي. «ويجب أن نرتب غرفة الساحر نورلند»، قال، «تحسُّبًا لأن يعيدوه غدًا».

«اذهب وافعل ذلك»، قالت شارمين، قبل أن أرميك بكتابي، وألحقه بالزهرية ربما قالت في نفسها!

الفصل الرابع عشر

وهو مليء بالكوبولد مرة ثانية

لم تزل شارمين تفكر في كالسيفر عندما نهضت من نومها الصباح التالي. ولدى خروجها من الحمام رأت بيتر مشغولًا في تغيير ملاءات سرير العم الكبير وليم وحشر الملاءات القديمة في كيس للغسيل. فتنهدت شارمين، مزيد من الأعمال.

«ومع ذلك»، قالت لويف وهي تضع وعاء طعام الكلاب كالمعتاد «سيبقيه هذا مشغولًا وسعيدًا ريثما أبحث عن كالسيفر. والآن، هل ترافقيني إلى تلك الصخور؟»

كانت ويف، كعادتها، فرحة لمرافقة شارمين أينما ذهبت، فجرت خلفها بعد الإفطار عبر غرفة الجلوس إلى الباب الأمامي، لكنهما لم تذهبا إلى الصخور. حين مدت شارمين يدها إلى مقبض الباب، هرعت ويف من ورائها وفتحت الباب. وعلى العتبة وقف رولو يمد يده الزرقاء الصغيرة لأخذ وعائه اليومي من الحليب. فوثبت عليه ويف وهي تنبح نباحًا صغيرًا، وأنبتت فكيها حول عنق رولو وسمّرته إلى الأرض.

«بيتر!»، زأرت شارمين وهي تقف في بركة من الحليب المسكوب. «تعال بسرعة! نحتاج كيسًا!»، ووضعت إحدى قدميها على رولو لتثبته في مكانه. «كيس! كيس!»، صاحت. رفس رولو بجنون ونط تحت حذائها، وتركته ويف لتنبح. وزاد رولو الجعجعة بصراخه «النجدة! جريمة قتل! اعتداء!» بعويل خشن قوي.

وإن أردنا قول الحقيقة فقد جاء بيتر راكضًا، وألقى نظرة واحدة على المشهد أمام الباب وانتزع واحدة من حقائب الطعام المطرزة العائدة إلى السيدة بيكر، ونجح في إحكامها على ساقي رولو المتأرجحتين قبل أن توضح له شارمين الأمر. ثم تمكن بيتر من إدخال رولو كله في الحقيبة وحملها منتفخة متلوية يقطر منها الحليب وهو يحاول مد يده إلى أحد جيبيه.

«أحسنت صنعًا!»، قال. «هلا أخرجت خيطًا من ذلك الجيب؟ لا نريده أن يهرب». وعندما نقبت شارمين أخيرًا خيطًا أرجوانيًا من الجيب أضاف قائلًا «هل تناولت إفطارك؟ جيد. اربطي رأس الحقيبة ربطًا محكمًا. وأحكمي قبضتك عليه ريثما أستعد، ثم سنذهب كلنا إلى هناك».

«دبًا! الطعنة!»[1]، قالت الحقيبة حين مررها بيتر.

«اخرس»، قالت شارمين وأمسكت الحقيبة بكلتا يديها فوق الخيط الأرجواني. تلوّت الحقيبة هنا وهناك، ورأت شارمين بيتر

---

(١) تبًا! اللعنة!

يجر حلقات من الخيوط الملونة من كل جيوب معطفه. ولفّ خيطًا أحمر حول إبهامه اليسرى وخيطًا أخضر حول إبهامه اليمنى، ثم خيطًا أرجوانيًا فأصفر وزهريًا حول الأصابع الثلاثة الأولى من يده اليمنى، ألحقه بخيط أسود فأبيض فأزرق وعقدها حول الأصابع الثلاثة الأولى من يده اليسرى. وقفت ويف على العتبة، منصّبة أذنيها الرثتين، تحملق إلى ما يفعله باهتمام. «هل سنبحث عن نهاية قوس قزح أو ما شابه؟»، سألت شارمين.

«لا، ولكني هكذا أتذكر الطريق إلى الكوبولد»، أوضح لها بيتر. «حسن. أغلقي الباب الأمامي ولنذهب».



«أطيكما الطعنة!»[1]، صرخت الحقيبة.

«وعليك بالمثل!»، قال بيتر متقدمًا شارمين إلى الباب الداخلي. ركضت ويف خلفه وتبعتهما شارمين تحمل الحقيبة المتلوية.

انعطفوا يمينًا بعد خروجهم من الباب. وكان بال شارمين مشغولًا ولم تقل إنها تظن أن هذا الطريق يؤدي إلى غرفة الاجتماعات. إذ تذكرت اختفاء الكوبولد كلهم في لمح البصر وظهورهم من جديد، وغوص رولو في تربة مرج الجبل. وخيّل إليها أن رولو سيخرج من قاع الحقيبة المطرزة عاجلًا أو آجلًا، فوضعت يدًا أسفلها ولكنها تعرف أن هذا لا يكفي. فحاولت، والحليب يقطر من بين أصابعها، أن تبقي رولو داخل الحقيبة باستخدام رقية. غير أن المشكلة

(١) عليكما اللعنة!

أنها لا تعرف كيف تفعل هذا، والشيء الوحيد الذي خطر لها أن تلجأ إلى الأسلوب الذي عالجت به رقى پيتر لتسريب الأنابيب. ابقَ في الداخل! ابقَ في الداخل! قالت مركزة في رولو وهي تمسّد قعر الحقيبة، وكل تمسيدة أسفرت عن صرخة مكتومة من الحقيبة، وزادها ذلك يقينًا بأن رولو يحاول الهرب. فاكتفت باللحاق بپيتر وهو يلف من هذا الطريق أو ذلك ولم تنتبه إلى الطريق المؤدي إلى الكوبولد، بل انتبهت عندما وصلوا إلى هناك.

وقفوا خارج كهف كبير حسن الإضاءة مليء بالزرق الصغار يتحركون بهمة في المكان. وكان صعبًا معرفة ما يفعله معظمهم لأن النظر يحجبه قليلًا غرض غريب في المدخل. كان هذا الغرض شبيهًا قليلًا بالزلاجات التي تجرها الخيول ويركبها الناس في هاي نورلند لدى هطول الثلج في الشتاء واستحالة ركوب عربة أو مركبة، عدا أن هذا الشيء ليس له شيء يربط به الحصان. بل له مقبض متعرج ضخم في آخره، كما تغطيه التعرجات والتموجات. كان الكثير من الكوبولد يعملون في تنفيذه، ويتسلقون فوقه وهم يعملون. فبطّن بعضهم داخله بالحشوة وجلد الخراف، ودقّ بعضهم بالمطارق ونقش، ورسم الباقي على الجزء الخارجي زهورًا متموجة زُرقًا على خلفية ذهبية. وسيكون مدهشًا عند انتهائهم منه، أيًا كان.

قال پيتر لشارمين «هلا تحليت بالأدب هذه المرة؟ هلا كنت واسعة الحيلة على الأقل؟»

«سأحاول»، قالت شارمين. «ربما».

«دعيني أتكلم إذن»، قال لها بيتر، وربّت على ظهر أقرب كوبولد مشغول. «المعذرة. أيسعك إخباري أين أجد تمنز من فضلك؟»

«في وسط الكهف»، ترنمت الكوبولد وهي تشير بفرشاتها. «يعمل على ساعة الوقواق. ماذا تريدون منه؟»

«لدينا أمر مهم نقوله له»، قال بيتر.

فاسترعى هذا انتباه معظم الكوبولد العاملين على الشيء. بل التفت بعضهم ونظر مزدريًا إلى ويف، التي أظهرت المرح والحياء والمحبة معًا. وحملق آخرون إلى شارمين والحقيبة المطرزة المتلوية. «من تضعين فيها؟»، سأل أحدُهم شارمين.

«رولو»، قالت شارمين.

فأومأ معظمهم دون أن تظهر عليهم علامات الدهشة. وعندما سأل بيتر «أيسعنا التحدث إلى تمنز؟»، أومأ الجميع ثانية وقالوا له «امض قدمًا». خامر شارمين شعور أن رولو ليس محبوبًا كثيرًا، ويبدو أنه يعرف هذا لأنه كف عن التلوي ولم يصدر عنه أي صوت عندما تابع بيتر طريقه متجاوزًا الشيء الغريب. وسارت شارمين وراءه تحمل الحقيبة إلى جانبها لئلا يصيبها شيء من الطلاء.

«ماذا تصنعون؟»، سألت أقرب الكوبولد وهي تدخل.

«طلبية للعفاريت»، أجابت إحداهن. وأضافت أخرى «ستكلفهم مالًا كثيرًا»، وقالت ثالثة «العفاريت يجزلون الدفع دومًا».

دخلت شارمين إلى الكهف دون أن تفهم شيئًا. كان المكان

شاسعًا، وفيه أطفال كوبولد صغار يركضون قرب كبارهم المشغولين. صرخ معظم الأطفال وهربوا لدى رؤيتهم ويف، وانتقل ذووهم برزانة إلى وراء الشيء الذي يصنعونه وواصلوا الطلاء أو التلميع أو النقش. وتقدم پيتر مارًا بأحصنة هزازة وبيوت دمى وكراسي للأطفال وساعات حائط وكراسي خشبية ودمى خشبية لها زنبركات، حتى وصلوا إلى ساعة الوقواق، التي لا تخطئها العين لضخامتها. امتد إطارها الخشبي العملاق إلى الأعلى بالغًا السطح المضاء إضاءة سحرية، وأُسندت واجهة الساعة منفصلة، لتحتل معظم الجدار بجانب الإطار، ووقواقها الذي انهمك بتغطيته بالريش جمعٌ من الكوبولد كان أكبر من شارمين وپيتر مجتمعين، فتساءلت شارمين عمن يريد ساعة وقواق بهذا الحجم.

كان تمنز يصعد الترس الضخم حاملًا مفكًا صغيرًا. «ها هو»، قال پيتر عارفًا إياه من أنفه. تقدم پيتر إلى التروس الضخمة وتنحنح. «اسمح لي. إحم. اسمح لنا». دار تمنز حول لفافة معدنية ضخمة ونظر إليهم شزرًا. «أوه، هذا أنتم»، وعاين الحقيبة. «أتخطفون الناس الآن؟»

لا بد أن رولو سمع صوت تمنز وأحس أنه بين أهله. «النشتة! النشتاااااة!»، جأرت الحقيبة.

«هذا رولو»، قال تمنز متهمًا إياهم.

«صحيح»، قال پيتر. «أحضرناه إلى هنا ليعترف لك. لقد دفع إليه اللوبوك في الجبل ليوقع بينكم وبين الساحر نورلند».

«هنا ليشا شحيحًا!»، صرخت الحقيبة.

لكن تمنز غدا أزرق مفضضًا من خوفه وقال «اللوبوك؟»

«صحيح»، قال بيتر. «رأيناه البارحة يطلب مكافأته من اللوبوك، وأعطاه اللوبوك جرة من الذهب من نهاية قوس قزح».

«ليشا شحيحًا!»، أنكرت الحقيبة بصوت عالٍ، «ليشا شحيحًا!»

«لقد رآه كلانا»، قال بيتر.

«أخرجاه»، قال تمنز. «دعاه يتكلم».

فأشار بيتر إلى شارمين، وأبعدت يدها عن قاع الحقيبة وأوقفت ما أملت أنها رقيتها. وسقط رولو إلى الأرض في الحال، إذ جلس يبصق قطعًا من صوف التطريز والفتات القديم المغمسة بالحليب وينظر إلى بيتر غاضبًا.

لقد نجحت في استخدام السحر! وحبسته في الداخل! قالت شارمين لنفسها.

«أترى حقيقتهما؟»، قال رولو غاضبًا. «يحبسان امرأً في حقيبة ويملأان فمه بوبر تفه لئلا يرد وهما يتقولان عليه!»

«يمكنك الرد الآن»، قال تمنز. «هل حصلت على جرة من الذهب من اللوبوك للإيقاع بيننا وبين الساحر؟»

«وكيف لي أن أفعل ذلك؟»، قال رولو ورعًا. «ما كان لكوبولد أن يكلم لوبوكًا، وكلكم تعرفون هذا!»

تحلق جمع من الكوبولد حولهم الآن -محتفظين بمسافة بينهم وبين ويف- ولوح لهم رولو بذراعين مسرحيتين.

«اشهدوا!»، قال. «إني ضحية لجمع من الأكاذيب!»

«فليذهب بعضكم وليفتش مغارته»، أمر تمنز.

انطلق عدد من الكوبولد في الحال، فهب رولو واقفًا ونادى «سأذهب معكم. سأثبت لكم كذبهما!»

خطا رولو ثلاث خطوات عندما أمسكت ويف بظهر سترته الزرقاء وأوقعته أرضًا مرة ثانية. وظلت هناك، غارسة أسنانها في سترة رولو تهز ذيلها الأشعث، منصبة أذنًا واحدة ناحية شارمين كأنها تقول «ألم أحسن صنعًا؟»

«بل أبدعت صنعًا أيتها الكلبة الذكية»، قالت لها شارمين.

صاح رولو «أبعديها عني! إنها تؤلم ظهري!»

«لا. يمكنك البقاء هنا حتى ينتهوا من تفتيش مغارتك»، قالت شارمين. فقاطع رولو ذراعيه وجلس مبديًا الصلاح والعبوس. واستدارت شارمين إلى تمنز «أيسعني سؤالك عمن يريد ساعة كبيرة كهذه؟ ما دمنا ننتظر»، أوضحت وهي ترى پيتر يهز رأسه لها معترضًا.

رفع تمنز نظره إلى قطع الساعة الضخمة وقال بشيء من الفخر الحزين «ولي العهد الأمير لودڤيك. أراد شيئًا ضخمًا من أجل قلعة جوي». ثم ابتلع الحزنُ فخره «لم يدفع إلينا پنسًا، وهو لا يدفع أبدًا. وحين يتذكر المرء ثراءه الفاحش...»

قاطعته عودة الكوبولد يركضون «ها هي!»، صاحوا. «أهذه هي؟ كانت تحت سريره!»

كان الكوبولد في المقدمة يحمل الجرة بكلتا يديه، وبدت جرة فخارية عادية من الصلصال، ووعاء يستخدمه المرء لصنع اليخنة في الفرن، غير أن في هذا لمعانًا بألوان خافتة لقوس قزح.

«هذه هي»، قال بيتر.

«فما الذي فعله بالذهب في ظنكما؟»، سأل الكوبولد.

«ماذا تقصد بقولك ماذا فعلت بالذهب؟»، سأل رولو. «كانت هذه الجرة مترعة بـ...»، وتوقف مدركًا أنه اعترف على نفسه.

«إنها ليست كذلك الآن. انظر بنفسك إن لم تصدقني»، رد الكوبولد الآخر. ووضع الجرة بين ساقي رولو الممدودتين، «هكذا وجدناها».

انحنى رولو ونظر إلى داخل الجرة، وصرخ صرخة حزن، ودس يده فيها وأخرج حفنة من أوراق الشجر الصُّفر اليابسة. ثم أخرج حفنة أخرى ثم أخرى، حتى وضع كلتا يديه في الجرة وجلس محاطًا بأوراق الشجر الميتة.

«لقد اختفى!»، قال مولولًا. «تحول إلى أوراق شجر ميتة! لقد خدعني ذاك اللوبوك!»

«تعترف إذن أن اللوبوك دفع إليك لافتعال المشاكل؟»، قال تمنز.

عبس رولو في وجه تمنز «لست أعترف بأي شيء سوى أنني سُرقت».

سعل پيتر: «إحم. أخشى أن اللوبوك قد خدعه بأسوأ من هذا. فقد وضع بيوضه داخله حين أدار رولو ظهره».

علت الشهقات من كل مكان، ونظرت وجوه الكوبولد الكبيرة الأنوف إلى رولو، زُرقًا شاحبة أنوفها وما سواها من الخوف، ثم التفتت إلى پيتر.

«هذا صحيح. لقد رأينا هذا»، قال پيتر. وهزت شارمين رأسها موافقة عندما التفتوا إليها وقالت «صحيح».

«هذا كذب!»، ولول رولو. «أنتما تتلاعبان بي!»

«لا، لا نتلاعب بك!»، قالت شارمين. «ألصق اللوبوك مجس وضع البيوض وأمسك بك من ظهرك قبل أن تنزل إلى الأرض. ألم تقل قبل قليل إن ظهرك يؤلمك؟»

وجحظت عينا رولو وهو ينظر إلى شارمين. فقد صدقها وفغر فاه. وتخبطت ويف مبتعدة عنه حين أخذ يصرخ، ورمى بالجرة جانبًا، وخبط بكعبيه مثيرًا عاصفة من أوراق الشجر الميتة وصاح حتى غدا وجهه أزرق بلون النيلة. وانتحب قائلًا «إني هالك! أنا ميت يمشي! في داخلي أشياء تفقس! النجدة! أوه، ليساعدني أحدكم أرجوكم!»

لم يساعده أحد، بل تراجع كل الكوبولد وكلهم ينظرون إليه في

رعب. وبدا بيتر مشمئزًا. وقالت سيدة من الكوبولد «يا له من منظر مخزٍ!»، ووجدت شارمين هذا ظلمًا فشعرت بالأسى لحال رولو.

«يستطيع العفاريت مساعدته»، قالت لتمنز.

«ماذا قلت؟»، فرقع تمنز بأصابعه فساد الصمت. ورغم استمرار رولو في الخبط بكعبيه وفتح فمه وإغلاقه، فلم يسمع أحد أي صوت. «ماذا قلت؟»، قال تمنز لشارمين.

«العفاريت»، قالت شارمين. «يعرفون كيف يخرجون بيوض اللوبوك من المرء».

«نعم يعرفون»، وافقها بيتر. «فالأمر نفسه حدث للساحر نورلند، ولهذا أخذه العفاريت ليعالجوه. وجاءنا عفريت البارحة حاملًا البيوض التي أخرجوها منه».

«العفاريت أجرهم باهظ»، عقَّب كوبولد قرب ركبة شارمين اليمنى، وهو متأثر جدًا.

«أظن الملك دفع»، قالت شارمين.

«إششششش!»، كان وجه تمنز يتغضن من تحت أنفه فتنهد وقال «أحسب أننا نستطيع إعطاء العفاريت كرسي الزلاجة دون أن نتقاضى أجرًا، مقابل علاجهم رولو. اللعنة! هاتان طلبيتان لن نتقاضى عليهما أجرًا! ليأخذ بعضكم رولو إلى الفراش، وسأتحدث إلى العفاريت. وأحذركم جميعًا من الاقتراب من ذاك المرج».

«أوه، لا بأس بهذا الآن»، قال پيتر مبتهجًا. «فاللوبوك ميت، قتله عفريت النار».

«ماذا؟»، زعق كل الكوبولد. «ميت؟»، جعجعوا. «حقًا؟ أتعني عفريت النار الذي يزور الملك؟ هل قتله حقًا؟»

«نعم صدقًا»، صاح پيتر خلال الضجيج. «قتل اللوبوك ثم حطم البيوض التي جلبها العفريت».

«ونظن أنه أهلك نفسه أيضًا»، أضافت شارمين. لكنها واثقة بأن الكوبولد لم يسمعوها، فقد انشغلوا كثيرًا بالرقص والهتاف ورمي قبعاتهم الزُّرق الصغيرة في الهواء.

لما خفت الضجيج قليلًا وحمل أربعة من الكوبولد الأقوياء رولو، وهو مستمر في الركل والصراخ بلا صوت، قال تمنز لپيتر جادًا «لقد زرع ذلك اللوبوك الخوف فينا، لأنه والد ولي العهد وما إلى ذلك. ما الذي نقدمه إلى عفريت النار تعبيرًا عن شكرنا في رأيك؟»

«أعيدوا صنابير مطبخ الساحر نورلند»، قال پيتر من فوره.

فقال تمنز «سيحدث هذا حتمًا. كان خلعها من صنع رولو. غير أني قصدت ما الشيء الذي لا يمكن لعفريت النار أن يفعله بنفسه ويمكن للكوبولد أن يفعلوه؟»

«أنا أعرف»، قالت شارمين. فصمت الجميع احترامًا وهي تقول «كان كالسيفر و... إه أسرته يحاولون معرفة أين تختفي نقود الملك. أيمكنكم مساعدتهم في هذا؟»

فتعالت الهمسات من كل مكان قرب ركبتي شارمين «هذا سهل! و«هذه ليست بمشكلة!»، وعلت موجة ضحك كأن شارمين سألت سؤالًا غبيًا. فأحس تمنز بارتياح شديد وتبددت تجاعيد وجهه فغدا أنفه -وكل وجهه- أطول بمرتين، وقال «هذا سهل، ولا يكلف شيئًا». فنظر إلى الجانب الآخر من الكهف الذي عُلقت فيه ست ساعات وقواق، كلها تهتز رقاصاتها في ستين إيقاعًا مختلفًا. «إن أتيتما معي الآن، فأظننا سنصل في الوقت المناسب لتريا ذهاب النقود. أأنت واثقة بسرور عفريت النار بهذا؟»

«كل الثقة»، قالت شارمين.

«اتبعاني من فضلكما»، قال تمنز وتقدمهما نحو آخر الكهف.

وتبين أن الطريق طويل إلى وجهتهم، وانتابت الحيرة شارمين بقدر ما أصابتها في الطريق إلى كهف الكوبولد. إذ ساروا في المسافة شبه المظلمة والطريق كله تعرجات ومنعطفات وعرة وزوايا حادة. وتمنز يقول بين الفينة والأخرى «ثلاث خطوات قصيرة ثم انعطفا يمينًا»، أو «عُدَّا ثماني خطوات من خطوات البشر ودورا يسارًا، ثم يمينًا ثم يسارًا مرة أخرى»، واستمر هذا طويلًا. تعبت ويف وتأوهت لتُحمل، فحملتها شارمين أكثر من نصف الطريق.

«يجب أن أقول إن الكوبولد الساكنين هنا ينتمون إلى عشيرة مختلفة»، قال تمنز عندما ظهر ضوء النهار أمامهم أخيرًا. «وأحب القول إن عشيرتي تبلي حسنًا أكثر من هؤلاء». ثم قبل أن تسأله شارمين عن قصده، سار في يمين محيِّر سريع ويسار بطيء وعدد من

الطرق المتعرجة بينهما، ورأت أنهم وصلوا نهاية ممر تحت الأرض في ضوء نهار بارد أخضر. أدت عتبات رخامية يكسوها العفن الأخضر إلى بعض الشجيرات، يبدو أنها زرعت ذات يوم على جانبي العتبات لكنها كبرت لتحتل المكان بكامله.

أخذت ويف تزمجر وصوتها صوت كلب يكبرها بمرتين.

«هششش!»، همس تمنز. «الزموا الصمت من الآن فصاعدًا».

فكفت ويف عن الدمدمة في الحال، لكن شارمين أحست أن جسدها الصغير الحار ينبض بدمدمة خفية. والتفتت شارمين إلى بيتر لتتأكد من أنه سيلزم الصمت أيضًا.

لم يكن بيتر موجودًا، لم يكن إلا هي وويف وتمنز.

عرفت شارمين، وهي تتميز غيظًا، ما الذي حدث. في مكان ما من الطريق المحيِّر قال تمنز «انعطفوا يسارًا»، لكن بيتر اتجه يمينًا، أو العكس. ولم تدر شارمين أين حدث هذا لكنها تعرف أنه حدث.

لا بأس قالت لنفسها، فهو يحمل ما يكفي من الخيوط الملونة حول أصابعه ليجد طريقه إلى إنغري ويعود منها. ربما يصل إلى بيت العم الكبير وليم قبل وصولي بوقت طويل. فنسيت أمر بيتر وركَّزت في السير بخفة على العتبات الزلقة المتعفنة، ثم في النظر من بين الشجيرات دون أن تثير حفيف ورقة شجرة واحدة. كان وراء ذلك ضوء نهار ساطع، يسطع على عشب أخضر مُعتنًى به جيدًا، ودرب حديقة ناصع البياض خلفه. مر الدرب بين أشجار

نُحتت لتكون كعبرات وأسنان ومخاريط وأقراص، مثل درس في الهندسة، إلى قصر صغير كقصور القصص المصورة، قصر له الكثير من الأبراج المدببة ذوات الأسطح الزُّرق الصغيرة. عرفت شارمين أنها قلعة جوي التي يسكنها ولي العهد لودڤيك. وخجلت قليلًا لأنه المبنى الذي تخيلته دائمًا عندما يتكلم أي كتاب تقرؤه عن القصور.

لا بد أنني فقيرة الخيال، قالت لنفسها. ثم، لا. كلما صنع أبوها البسكويت الهش لبيعه في صناديق من أجل يوم الأول من مايو، وضعت صورة لقلعة جوي على الصناديق. فهذه القلعة فخر هاي نورلند، ولا عجب أن الطريق إليها طويل! حدثت نفسها. لا بد أننا في منتصف الطريق إلى وادي نورلند! وهذا تصوري عن القصر المثالي!

خشخش وقع الأقدام على الدرب الأبيض الحار وظهر الأمير لودڤيك بنفسه، زاهيًا بالحرير الأبيض واللازوردي، يتهادى نحو القصر. وقبل أن يصل إلى الشجيرة التي تقف عندها شارمين، توقف والتفت وقال غاضبًا «أسرعوا هيا! تحركوا!»

«نحن نحاول يا صاحب السمو!»، ترنم صوت صغير لاهث.

سار صف من الكوبولد، كلهم مقوس الظهر تحت كيس جلدي معجر. كانوا كلهم خضرًا يميلون إلى الرمادي بدلًا من الزرقة، بادية عليهم التعاسة الشديدة. ربما كان شيء من التعاسة عائدًا إلى ضوء الشمس -لأن الكوبولد يفضلون العيش في الظلام- لكن شارمين

وجدت لونهم لون اعتلال الصحة. إذ تقوست سيقانهم، وسعل واحد أو اثنان منهم سعالًا شديدًا. كان آخر واحد في الصف سقيمًا جدًا فتعثر وسقط موقعًا كيسه الذي انتثرت منه نقود ذهبية على الدرب الناصع البياض.

عندها ظهر الرجل الرتيب، وتقدم إلى الكوبولد الساقط وأخذ يركله. لم يركله بشدة واضحة ولا كان قاسيًا قسوة واضحة، بل كمن يحاول تشغيل آلة. تثاقل الكوبولد تحت الركلات، واجتهد في جمع النقود الذهبية حتى أعادها كلها إلى الكيس، وتمكن من النهوض على قدميه ثانية. فابتعد الرجل الرتيب وهو يركله وجاء ليمشي بجانب الأمير لودڤيك.

«لم يكن بالحِمل الثقيل»، قال للأمير. «بل قد يكون الحمل الأخير. لم يبق عندهم مزيد من المال، إلا إن باع الملك كتبه».

ضحك الأمير لودڤيك. «يفضل الموت على فعل هذا، وهذا يناسبني طبعًا. علينا أن نفكر في وسيلة أخرى لجني المال إذن. إن إدارة قلعة جوي تكلف مالًا باهظًا». ونظر إلى الوراء إلى الكوبولد السائرين المترنحين. «تحركوا هيا! علي أن أعود إلى القصر الملكي في موعد الشاي».

هز الرجل الرتيب رأسه وسار عائدًا إلى الكوبولد، مستعدًا للركل مرة أخرى، وانتظره الأمير قائلًا «أؤكد لك أنني عندها لن أرى أي فطيرة صغيرة في حياتي!»

رأى الكوبولد الرجل الرتيب قادمًا وبذلوا جهدهم للإسراع. غير أن هذا الموكب استمر دهرًا في نظر شارمين حتى غابوا عن الأنظار ولم تعد تسمع وقع أقدامهم الطاحن. وأبقت ذراعيها محكمتين حول ويف النابضة التي أرادت القفز واللحاق بالموكب، فنظرت عبر الأوراق إلى تمنز.

«لماذا لم تخبر أحدًا بهذا من قبل؟ لماذا لم تخبر الساحر نورلند على الأقل؟»

«لم يسأل أحد»، قال تمنز شاعرًا بالإهانة.

لا، طبعًا لم يسأل أحد! خطر لشارمين. ولهذا دفع إلى رولو ليوقع العداوة بين الكوبولد والعم الكبير وليم! فلا بد أنه سيسألهم في النهاية لولا أن أصابه المرض. ورأت أن موت اللوبوك أمر حسن، فإن كان والد الأمير لودڤيك كما قال تمنز، فلربما خطط لقتل ولي العهد وحكم البلاد بدلًا منه، وهذا ما قاله لها بشكل أو بآخر. لكن ما زال الأمير لودڤيك على قيد الحياة، ويتوجب علي صدقًا أن أخبر الملك عنه، حدثت نفسها.

«يبدو الأمر قاسيًا قليلًا على هؤلاء الكوبولد»، قالت لتمنز.

«صحيح»، وافقها تمنز. «لكنهم لم يطلبوا المساعدة بعد».

ولم يخطر لك طبعًا أن تساعدهم دون أن يطلب منك، صحيح؟ قالت في نفسها. صدقًا! إني أستسلم! «أيمكنك أن تدلني على طريق العودة؟»، سألت.

تردد تمنز. «أتظنين أن عفريت النار سيفرح لمعرفة أن النقود تذهب إلى قلعة جوي؟»، سأل.

«نعم»، قالت شارمين. «أو ستفرح عائلته».

الفصل الخامس عشر
وفيه يُختَطف الصغير تِونْكِل

على مضض عاد تمنز بشارمين في الدرب الطويل المحيِّر إلى كهف الكوبولد. وهناك قال مبتهجًا «ستعرفين الطريق من هنا»، ثم اختفى داخل الكهف تاركًا شارمين وحدها مع ويف.

لم تعرف شارمين الطريق من هنا، فوقفت بجانب الشيء الذي سماه تمنز الكرسي الزلاجة عدة دقائق، تتساءل ماذا تفعل وتراقب الكوبولد وهم يصبغون الشيء وينقشونه وينجدونه دون أن يلقوا نظرة على شارمين. خطر لها في نهاية المطاف أن تُنزِل ويف إلى الأرض.

«دليني على طريق بيت العم الكبير وليم يا ويف. وكوني ذكية»، قالت.

عدت ويف بهمة، غير أن الشك أخذ يساور شارمين حقًا في ذكاء ويف. ركضت ويف ومشت شارمين، فأخذا اليسار ثم اليمين ثم اليمين مرة أخرى فيما بدا ساعات. كانت شارمين مشغولة في

التفكير فيما عرفته، ففوتت عددًا من المرات اللحظةَ التي استدارت فيها ويف يسارًا أو يمينًا وتوجب عليها الانتظار وهي تقف في شبه ظلمة تنادي «ويف! ويف!» حتى تعود إليها ويف وتجدها. وبهذا تسببت شارمين في مضاعفة المسافة بطبيعة الحال. فأخذت ويف تتعب وتلهث، ولسانها يتدلى أطول وأطول، لكن شارمين لم تجرؤ على حملها خشية ألا تعود إلى البيت أبدًا. لذا كلمت ويف وبثت الحماس في نفسيهما معًا.

«يجب أن أخبر صوفي بما حدث يا ويف. لا شك أنها قلقة على كالسيفر. ويجب أن أخبر الملك عن النقود أيضًا، ولكن إن ذهبت إلى القصر الملكي حالما أصل إلى البيت، فسيكون الأمير لودڤيك الفظيع موجودًا، متظاهرًا بحب الفطائر الصغيرة. لماذا لا يحبها؟ الفطائر لذيذة. لأنه لوبوكن كما أظن. لن أجرؤ على إخبار الملك بذلك أمامه، وأظن أن علينا الانتظار والذهاب غدًا. متى يعتزم الأمير لودڤيك الرحيل في رأيك؟ الليلة؟ قال لي الملك أن أعود بعد يومين، فلا بد أن يكون لودڤيك قد رحل حينها. إن وصلت إلى هناك باكرًا، فلعلي أستطيع التحدث إلى صوفي أولًا... أوه يا ربي! لقد تذكرت. قال كالسيفر إنهم سيتظاهرون بالرحيل، لذا قد لا نجد صوفي هناك. أوه يا ويف، ليتني أعرف ماذا أفعل!»

وكلما تكلمت شارمين عن الأمر أكثر، ازدادت حيرة فيما ستفعله. في النهاية أصابها التعب فلم تتكلم واكتفت بالتخبط خلف الشكل الشاحب لويف اللاهثة العرجاء، وهي تهرول أمامها. وبعد

مضي وقت طويل، فتحت ويف بابًا وكانتا في غرفة جلوس العم الكبير وليم، إذ تأوهت ويف وسقطت على جنبها، تتنفس مئات الأنفاس اللاهثة الصغيرة السريعة. وأطلت شارمين من النافذة على شجيرات الكوبية التي غدت زهرية وأرجوانية في ضوء المغيب. وقالت تكلم نفسها لقد غبنا طوال النهار، فلا عجب أن ويف متعبة جدًا! ولا عجب أن قدميّ تؤلماني! ولا بد أن پيتر عاد، وأرجو أنه أعدّ العشاء.

«پيتر!»، صاحت.

ولما لم تسمع شارمين جوابًا، حملت ويف وذهبت إلى المطبخ. لعقت ويف يد شارمين بتذلل شاكرة لها على عدم حاجتها إلى السير خطوة أخرى. سقط ضوء المغيب هنا على تعرجات الغسيل الزهري والأبيض، الذي لم يزل معلقًا ويرفرف بهدوء في الفناء خارجًا، وما من أثر لپيتر.

«پيتر؟»، نادت شارمين.

لا جواب. تنهدت شارمين، فالواضح أن پيتر قد ضل طريقه تمامًا، أسوأ بكثير من ضلالها، ولا تدري متى سيظهر.

«والكثير من قطع الخيوط الملونة!»، غمغمت شارمين لويف وهي تنقر جانب الموقد من أجل طعام الكلاب. «ولد غبي!»

وكانت شديدة التعب فلم تستطع الطبخ، وبعدما أكلت ويف صحنين من الطعام وشربت الماء الذي جلبته لها شارمين من الحمام،

تثاقلت شارمين إلى غرفة الجلوس وتناولت شاي العصرية. وبعد قليل من التفكير، تناولت شاي العصرية للمرة الثانية. ثم شربت قهوة الصباح، ثم تساءلت إن كان يجدر بها الذهاب إلى المطبخ وطلب الإفطار، لكنها رأت أنها متعبة جدًّا وأخذت كتابًا بدلًا من ذلك.

بعد مرور وقت طويل أيقظتها ويف بارتقائها الأريكة إلى جانبها.

«أوه، اللعنة على هذا!» قالت شارمين. ثم أخلدت إلى الفراش دون أن تغتسل وغطت في النوم ونظارتها لا تزال على أنفها.

ولدى استيقاظها الصباح التالي، سمعت أن بيتر عاد، إذ سمعت أصواتًا في الحمام ووقع أقدام وصوت فتح أبواب وإغلاقها. يبدو شديد النشاط، ليتني كذلك، خطر لشارمين. لكنها عرفت أن عليها صدقًا الذهاب إلى القصر الملكي اليوم، فتأوهت ونهضت. ونقَّبت باحثة عن آخر طقم من الثياب النظيفة واستغرقت وقتًا في الاغتسال وتسريح شعرها ما حدا بويف أن تأتيها قلقة من مكان ما لأخذها.

«نعم، الإفطار. طيب، أعرف»، قالت شارمين. «المشكلة أنني»، قالت معترفة وهي تحمل ويف «أنني خائفة من الرجل الرتيب. أظنه أسوأ من الأمير»، ودفعت الباب وفتحته بقدم واحدة، وانعطفت ودارت يسارًا نحو المطبخ حيث وقفت وحملقت.

كانت امرأة غريبة تجلس إلى طاولة المطبخ تتناول إفطارها

بهدوء، امرأة تعرف في الحال أنها حاذقة كل الحذق. فالحذق في كل ركن من أركان وجهها الذي لوحته الشمس والبراعة تبدو على يديها الرشيقتين القويتين. كانت هاتان اليدان مشغولتين بنشاط في تقطيع كومة هائلة من الفطائر المحلاة الغارقة في الشراب وفي تشريح كومة من اللحم المقدد المقرمش بجانبها.

حملقت شارمين إلى الفطائر المحلاة وإلى ثياب المرأة التي تشبه ثياب الغجر. إذ عليها كشاكش فاقعة الألوان بالية وعلى شعرها الفاتح الباهت وشاح ملون. التفتت المرأة وحملقت هي الأخرى.

«من أنت؟»، قالت كلتاهما معًا، وفم المرأة ملآن.

«أنا شارمين بيكر»، قالت شارمين. «وأنا هنا للاعتناء ببيت العم الكبير وليم في غيابه لتلقي العلاج على يد العفاريت».

ابتلعت المرأة لقمتها وقالت «جيد. يسعدني أنه ترك أحدًا يتحمل المسؤولية. لم أرتح لترك الكلبة وحدها مع پيتر. لقد أطعمتها. إن پيتر ليس ممن يحسن الاعتناء بكلب. ألا يزال نائمًا؟»

«إه...»، قالت شارمين. «لست متأكدة. لم يعد ليلة البارحة».

تنهدت المرأة وقالت «إنه يختفي دائمًا حالما أدير ظهري. أعرف أنه وصل إلى هنا في أمان»، وأشارت إلى النافذة بشوكة مثقلة بالفطائر المحلاة واللحم المقدد. «ذلك الغسيل المنشور من صنع پيتر».

شعرت شارمين بوجهها يحمرّ ويسخن وقالت معترفة «جزء من ذلك خطئي. فقد غليت مبذلًا، لماذا تظنين أنه من فعل پيتر؟»

«لأنه لم يستطع يومًا إنجاح رقية. ولا بد لي أن أعرف هذا فأنا أمه»، قالت.

فوجئت شارمين لإدراكها أنها تكلم ساحرة مُنتالبينو، فأعجبت بها. وخطر لها أن والدة بيتر مفرطة الحذق. ولكن ما الذي تفعله هنا؟ «حسبتك ذهبت إلى إنغري»، قالت.

«ذهبت»، قالت الساحرة. «وصلت إلى سترانغيا عندما أخبرتني الملكة بياتريس بأن الساحر هاول ذهب إلى هاي نورلند. فعدت أدراجي عبر الجبال ومررت بالعفاريت الذين أبلغوني بوجود الساحر نورلند عندهم. فانتابني قلق بالغ حينها، لأني أدركت أن بيتر وحده هنا على الأرجح. أرسلته ليكون في مأمن كما ترين، لذا أتيت في الحال».

«أظنه في مأمن»، قالت شارمين. «أو هكذا كان حتى ضاع البارحة».

«سيكون في أمان ما دمت هنا»، قالت الساحرة. «يخامرني شعور بأنه في مكان قريب جدًا»، وتنهدت. «أحسب أن علي البحث عنه، فهو لا يعرف يمينه من يساره كما تعرفين».

«أعرف»، قالت شارمين. «فهو يستخدم خيوطًا ملونة. إنه بارع حقًا». ولكن خطر لها وهي تتكلم أنه في نظر شخص شديد الحذق مثل ساحرة مُنتالبينو سيكون بيتر عديم الفائدة مثلما وجد هو شارمين عديمة الفائدة. يا للأهل! قالت في نفسها. وأنزلت

ويف على الأرض وسألت بتهذيب «اعذريني لسؤالي، ولكن كيف استطعت جعل رقية الإفطار ترسل إليك هذه الفطائر المحلاة؟»

«بإعطائها الأوامر المناسبة طبعًا»، قالت الساحرة. «أتريدين بعضًا منها؟»، فهزت شارمين رأسها إيجابًا. ففرقعت الساحرة أصابع حاذقة تجاه الموقد وأمرته «إفطار. فطائر محلاة ولحم مقدد وعصير وقهوة». فظهرت الصينية الممتلئة في الحال، وفيها كومة شهية من الفطائر المحلاة التي يقطر الشراب من وسطها. «أرأيت؟»، قالت الساحرة.

«شكرًا لك»، قالت شارمين وهي تحمل الصينية شاكرة.

تغضن أنف ويف للرائحة وركضت في دوائر صغيرة تزعق. واضح أن تناول ويف الطعام على يد الساحرة لا يعد إفطارًا لائقًا في نظر ويف. وضعت شارمين الصينية على الطاولة وأعطت ويف أكثر قطعة مقرمشة من اللحم المقدد.

«هذه كلبة ساحرة»، علقت الساحرة وهي تعود إلى إفطارها.

«إنها عذبة»، قالت شارمين وهي تجلس وتبدأ استمتاعها بالفطائر المحلاة.

«لا، لم أقصد هذا»، قالت الساحرة متململة. «أنا لا أنساق وراء الحماس أبدًا. قصدت ما قلته، إنها كلبة ساحرة». وأكلت المزيد من الفطائر المحلاة وأضافت وفمها ممتلئ بالطعام «الكلاب الساحرة نادرة جدًا وسحرية جدًا. وكلبتك تمنحك شرفًا عظيمًا

بتعهدها لك لتكوني صاحبتها البشرية. وأحسب أنها غيرت جنسها لتماثلك جنسًا. أرجو أنك تقدرينها حق قدرها».

«نعم»، قالت شارمين. «أفعل». وإني لأكاد أفضل الإفطار مع الأميرة هلدا، قالت لنفسها. لماذا عليها أن تكون شديدة القسوة؟ وواصلت تناول إفطارها وهي تتذكر أن العم الكبير وليم ظن ويف كلبًا ذكرًا في البداية، ثم حملها پيتر وقال إنها أنثى. «أنا متأكدة أنك على حق»، أضافت شارمين بتهذيب. «ما الذي يهدد سلامة پيتر لدى بقائه هنا وحده؟ إنه في عمري، وأنا في مأمن هنا».

«أتصور»، قالت الساحرة بجفاف، «أن سحرك ناجح أكثر من سحر پيتر». وأنهت فطائرها المحلاة وتناولت شرائح الخبز. «پيتر يُلَهْوِج الرقى»، قالت مؤكدة وهي تدهن الخبز بالزبدة. وقالت وهي تقضم لقمة كبيرة مقرمشة «ولا تقولي لي إن سحرك لا يؤدي ما أردته منه تمامًا كيفما فعلته، فلن أصدقك».

تذكرت شارمين رقية الطيران ورقية السباكة ثم رقية رولو في الحقيبة وقالت بفم مليء بالفطائر المحلاة «نعم. أظن...»

فقاطعتها الساحرة «أما پيتر فعكسك تمامًا. نهجه مثالي دائمًا، لكن الرقية تفشل دومًا. وأحد الأسباب التي دعتني إلى إرساله إلى الساحر نورلند أنني أرجو أن يحسّن الساحر سحر پيتر. يملك وليم نورلند سفر الطروس كما تعرفين».

وشعرت شارمين بالحرارة تتصاعد في وجهها مرة ثانية وقالت

وهي تمرر لويف نصف فطيرة «إه... ما الذي يفعله سفر الطروس إذن؟»

«ستصبح الكلبة شديدة البدانة ولن تتمكن من المشي إن واصلتِ إطعامها هكذا»، قالت الساحرة. «يمنح سفر الطروس المرء الحرية في استخدام كل أنواع السحر للأرض والهواء والنار والماء. ولا يتيح استخدام النار إلا أن يكون الشخص جديرًا. ولا بد للشخص أن يتمتع بقدرات سحرية في المقام الأول». وظهر على وجهها الصارم أثر من قلق. «أظن بيتر يتمتع بهذا».

وقالت شارمين تحدث نفسها، النار. لقد أحرقت بيتر، فهل أنا جديرة إذن؟ وقالت للساحرة «إنه يتمتع بهذا، فلا يمكن للمرء أن يخفق في رقية إن لم يجد السحر في المقام الأول. ما الأسباب الأخرى التي دعتك إلى إرسال بيتر إلى هنا؟»

«الأعداء»، قالت الساحرة وهي ترشف قهوتها متجهمة. «لدي أعداء، ولقد قتلوا والد بيتر كما تعلمين».

«أتقصدين اللوبوك؟»، سألت شارمين. وأعادت كل شيء إلى الصينية وأخذت رشفة أخيرة من القهوة وهي تستعد للنهوض والذهاب.

«لا يوجد إلا لوبوك واحد كما أعلم. ويبدو أنه تخلص من خصومه. ولكن نعم، اللوبوك هو من أحدث الانهيار الأرضي. رأيته».

«لا داعي إلى قلقك بعد اليوم»، قالت شارمين وهي تقف. «فاللوبوك ميت. قتله كالسيفر أمس الأول».

دهشت الساحرة وقالت بلهفة «أخبريني بالأمر!»

ورغم تحرق شارمين إلى الذهاب إلى القصر الملكي، فقد رأت أن عليها أن تجلس وتسكب لنفسها فنجانًا آخر من القهوة وتقص على الساحرة الحكاية كلها، ليس عن اللوبوك وبيوضه فحسب، بل عن رولو واللوبوك أيضًا. وخطر لها أن هذا استخدام جائر للسحر عندما رأت أنها تحكي للساحرة فقدان كالسيفر.

«ولأي شيء تجلسين هنا؟»، قالت الساحرة. «أسرعي بالذهاب إلى القصر الملكي وأبلغي صوفي في الحال! لا شك أن المرأة المسكينة تفقد صوابها من القلق! أسرعي يا فتاة!»

بل لم تقل لي شكرًا على إخباري، قالت شارمين في نفسها متألمة. أفضّل أمي على أن تكون أم بيتر أمًا لي، بل إنني قطعًا أفضل تناول الإفطار مع الأميرة هلدا!

فوقفت وودعتها بتهذيب. ثم أسرعت عبر غرفة الجلوس والحديقة إلى الشارع، وويف تجري عند قدميها. لحسن الحظ أني لم أخبرها عن طريق غرفة الاجتماعات، قالت، وهي تركض ونظارتها تنط على صدرها. وإلا جعلتني أذهب من ذلك الطريق وما تمكنت من البحث عن كالسيفر.

قبل منعطف الطريق، وصلت إلى المكان الذي فجر فيه كالسيفر

بيوض اللوبوك، وقد وقعت قطعة كبيرة من الجرف باعثة تلة من الجلاميد قريبًا من الطريق. كان عدد من الأشخاص الذين يشبهون الرعاة يصعدون التلة، باحثين عن خروف مدفون ويحكون رؤوسهم كأنهم يتساءلون عن سبب هذا الانهيار. ترددت شارمين، فلو كان العثور على كالسيفر ممكنًا، لوجده هؤلاء الأشخاص. وخففت سرعتها لتمشي وهي تنظر إلى أكداس الصخور المتكسرة بحذر أثناء مرورها. لا أثر هناك للون الأزرق بين الصخور، أو أثر للهب في أي مكان.

فعزمت أمرها على أن تبحث عنه بحثًا دقيقًا في وقت لاحق وعادت إلى الركض، دون أن تنتبه إلى أن السماء زرقاء صافية وأن فوق الجبال سديمًا شفافًا أزرق. سيكون هذا واحدًا من أصباح هاي نورلند الحارقة النادرة. ولم تهتم شارمين بذلك إلا لأن ويف أخذت تشعر بحرارة مفرطة وتلهث وتتدحرج من مكان إلى مكان أثناء جريها وتدلّي لسانها الزهري حتى كاد أن يلمس الطريق.

«آه منك! أظن هذا بسبب الفطائر المحلاة»، قالت شارمين وهي تنتزعها عن الأرض وتركض إلى الأمام. «ليت الساحرة لم تقل ما قالته عنك»، اعترفت وهي تركض. «فهذا يقلقني من حبك كثيرًا».

عندما وصلت شارمين إلى المدينة، شعرت بالحر شأنها شأن ويف، حر شديد تمنت معه أن يكون لها لسان تدليه مثلما فعلت ويف. وخففت ركضها إلى مشي سريع، ورغم أنها أخذت الطريق الأقصر، فإن الوصول إلى الساحة الملكية استغرق دهرًا في نظرها. وانعطفت

الناصية أخيرًا لتدخل الساحة ووجدت أمامها حشدًا من المتفرجين يسد الطريق. فقد تجمع نصف أهالي هاي نورلند للنظر إلى المبنى الجديد القائم على مبعدة بضعة أقدام من القصر الملكي. وكاد المبنى يماثل في ارتفاعه القصر الملكي، كما أنه طويل وداكن وشبيه بالفحم الحجري، وله برج في كل زاوية. كانت القلعة التي رأتها شارمين آخر مرة تطوف طوافًا غريبًا حزينًا بعيدًا في الجبال. فنظرت إليها في دهشة عظيمة مثلما فعل الجميع في الساحة.

«كيف وصلت إلى هنا؟»، تبادل الناس الأسئلة وشارمين تحاول شق طريقها نحو القلعة. «بل كيف يكفيها المكان؟»

نظرت شارمين إلى الطرق الأربعة المؤدية إلى الساحة الملكية وسألت السؤال نفسه. لم يكن أي من الطرق يزيد على نصف عرض القلعة، لكنها جاثمة هناك ثابتة وعالية كأنها بنت نفسها في الساحة أثناء الليل. شقت شارمين طريقها وهي تدفع الناس بمرفقيها نحو القلعة بفضول متزايد.

وعندما اقتربت من جدرانها، قفزت نار زرقاء من أحد أبراجها وطارت نحوها، فتفادتها شارمين وتلوّت ويف، وصرخ أحدهم. تراجع كل من في الحشد مسرعين وتركوا شارمين تقف هناك وحدها في مواجهة قطرة اللهب التي تحوم في مستوى وجهها. خبط ذيل ويف الأشعث على ذراع شارمين، يهتز محييًا.

«إن كنتما ذاهبتين إلى القصر»، قرقع كالسيفر في وجهيهما. «فأخبراهم بأن يسرعوا، لا يمكنني إبقاء القلعة هنا طوال الصباح».

فرحت شارمين فرحًا عظيمًا فلم تستطع الكلام. ثم قالت «حسبتك ميتًا! ماذا حدث؟»

فرقع كالسيفر في الهواء واعتراه شيء من الخجل، وقال معترفًا «لا بد أنني أصبت بالدوار، فقد كنت تحت كومة من الصخور. واستغرق خروجي من بينها أمسِ كله. وتوجب علي البحث عن القلعة بعد خروجي، فقد ذهبت تمشي أميالًا. وصلت إلى هنا قبل قليل صدقًا. أبلغي صوفي. يُفترض أنها تتظاهر بالرحيل اليوم، وأخبريها بأن الحطب يكاد ينفد مني. سيكفي هذا لإحضارها».

«سأفعل»، وعدته شارمين. «أأنت متأكد من أنك بخير؟»

«جائع فقط»، قال كالسيفر. «تذكري، الحطب».

«الحطب»، قالت شارمين موافقة وارتقت العتبات إلى باب القصر، وراودها شعور مفاجئ بأن الحياة أفضل بكثير وأسعد وأكثر تحررًا مما كانت عليه قبلًا.

فتح سِم الباب الكبير وتعجّبت لسرعته في ذلك. ونظر إلى القلعة وجمع المتفرجين وهز رأسه «آه يا آنسة تشارمنغ»، قال. «إن هذا لصباح عصيب. لست متأكدًا من أن جلالته مستعد للبدء في العمل في المكتبة بعد. ولكن تفضلي بالدخول رجاء».

«شكرًا»، قالت شارمين وهي تنزل ويف أرضًا. «لا أمانع في الانتظار، يجب أن أكلم صوفي أولًا».

«صوفي... إه... أعني السيدة پندراغن»، قال سِم وهو يدفع

الباب لإغلاقه، «جزء من هذا الصباح العصيب. فالأميرة تشعر بضيق شديد و... ولكن تعالي من هنا وسترين ما أعنيه».

وتهادى في الممر المظلم داعيًا شارمين إلى اللحاق به. وقبل أن يصلا إلى الزاوية، إلى مكان نزول الدرج الحجري، سمعت شارمين صوت جمال الطاهي يقول «وكيف لامرئ أن يعرف ماذا يطبخ عندما يرحل الضيوف دائمًا ويقيمون ثم يرحلون كرة أخرى، أسألكم؟!» وتبع هذا دمدمة مجنونة من كلب جمال وجوقة من أصوات أخرى.

وقفت صوفي في الفراغ الكائن تحت الدرج حاملة مورغن بين ذراعيها، وتونكل يتشبث بتنورتها بقلق وملائكية، ووقفت المربية البدينة عديمة الفائدة كعادتها. وقفت الأميرة هلدا قرب الدرج، ملكية ومهذبة أكثر من أي وقت آخر رأتها فيه شارمين. وكان الملك موجودًا هو الآخر، أحمر الوجه وواضح أنه يستشيط غضبًا ملكيًا. عرفت شارمين من نظرة واحدة إلى وجوههم ألّا جدوى من ذكر الحطب. واتكأ الأمير لودفيك على نهاية حاجز الدرج مسرورًا متعاليًا. ووقفت وصيفته بجانبه متكبرة تلبس ما يشبه فستان الحفلات، وأصاب شارمين الخوف عندما رأت الرجل الرتيب هناك أيضًا واقفًا باحترام بجانب الأمير.

لن يتبادر إلى ذهنك أنه يسلب الملك نقوده، اللئيم! حدثت شارمين نفسها.

«أسمي هذا إساءة مطلقة لضيافة ابنتي!»، قال الملك. «ليس

لك الحق في قطع وعود لا تنوين الوفاء بها. لو كنت من رعاياي لمنعتك من المغادرة».

قالت صوفي وهي تحاول إظهار الأنفة «أود الوفاء بوعدي يا مولاي، لكنك لا تنتظر مني أن أبقى والخطر يحدق بطفلي. إن سمحت لي بأخذه إلى مكان آمن أولًا، فسأكون حرة في فعل ما تريده الأميرة هلدا».

فهمت شارمين مأزق صوفي. فبوقوف الأمير لودڤيك والرجل الرتيب هناك، لم تجرؤ صوفي على القول إنها تتظاهر بالرحيل، وإن عليها حقًا حماية مورغن بصورة ما.

قال الملك غاضبًا «لا تقطعي لنا مزيدًا من الوعود الكاذبة أيتها الشابة!»

عند قدمي شارمين، أخذت ويف تدمدم فجأة. ووراء الملك ضحك الأمير لودڤيك ونقر بأصابعه، وبُهت الجميع بما أعقب ذلك. فقد خرجت كل من المربية ووصيفة الأمير الشابة من ثيابهما، وتحولت المربية إلى شخص أرجواني قوي البنية له عضلات لامعة وقدمان حافيتان ذواتا مخالب. وتقشر فستان الحفلات الذي تلبسه وصيفة الأمير ليكشف عن جسد بنفسجي في ثياب لاصقة سوداء فيها فتحات من الخلف لتفسح المكان لجناحين أرجوانيين صغيرين عديمي النفع. وتقدم كلا اللوبوكن نحو صوفي يمدان أيادي أرجوانية.

صرخت صوفي قائلة شيئًا ما وأبعدت مورغن عن الأيادي

الممدودة. وصرخ مورغن هو الآخر دهشة وخوفًا، وأغرق نباح ويف ودمدمة كلب جمال المجنونة كل شيء آخر عندما اندفع خلف وصيفة الأمير. وقبل اقتراب الكلب من أي منهما، مدت وصيفة الأمير، وجناحاها الصغيران يرفرفان، يديها واختطفت تونكل. صرخ تونكل وأرجح ساقين مخمليتين زرقاوين، ووقفت المربية اللوبوكن في طريق صوفي لتمنعها من محاولة إنقاذ تونكل.

«سترحلين وإلا تألم طفلك»، قال الأمير لودڤيك.

الفصل السادس عشر

وفيه نجاة واكتشافات

قالت الأميرة هلدا «هذا شنيـ...»، لم تقل إلا هذا عندما تمكن تونكل من الإفلات، فقد تلوَّى من بين ذراعي اللوبوكن الأرجوانيتين وذهب يركض مرتقيًا الدرج زاعقًا «النجدة! النجدة! لا تسمحوا لهم بلمسي!»

دفع كلا اللوبوكن الأميرة هلدا جانبًا وركضا إلى الأعلى خلف تونكل. ودارت الأميرة هلدا عند حاجز الدرج وتشبثت به محمرة الوجه وبعيدة كل البعد عن رصانتها. ووجدت شارمين نفسها تركض صاعدة الدرج خلف اللوبوكن وتصرخ «اتركاه وشأنه! كيف تجرؤان على ذلك؟!» وخطر لها لاحقًا أن ما دعاها إلى فعل ذلك رؤية الأميرة هلدا مثل امرأة عادية.

في الأسفل، ترددت صوفي لحظة ثم ألقت بمورغن بين ذراعي الملك وقالت له لاهثة «أبقِهِ في مأمن!»، ثم رفعت تنورتها وركضت صاعدة الدرج خلف شارمين وهي تصرخ «أوقفا ذلك! أتسمعاني؟!»

وأسرع جمال بإخلاصه خلفهم وهو يصيح «توقف... لص! توقف... لص!» ويلهث بقوة. ووراءه ارتقى الدرج كلبه، بمثل إخلاص سيده، مدمدمًا دمدمة مزعجة هائلة، وركضت ويف جيئة وذهابًا عند قاع الدرج مطلقة عاصفة من النباح الحاد.

تعلق الأمير لودڤيك على حاجز الدرج مقابل الأميرة هلدا وضحك عليهم جميعًا.

أمسك اللوبوكن بتونكل قرب قلبة الدرج العلوية، في ضباب الأجنحة المرفرفة عديمة النفع والعضلات البنفسجية اللامعة. هاج تونكل وركل بقوة، ولوهلة بدت ساقاه المخمليتان الزرقاوان ساقي رجل قويتين كبيرتين. حطت ساق كبيرة بقوة على بطن المربية اللوبوكن، ونزلت الأخرى على الدرج وعرقلته بينما حطت قبضة تونكل اليمنى على أنف اللوبوكن الثاني بلكمة رجل قوي. تكوّم كلا اللوبوكن على بسطة الدرج، وأسرع تونكل يصعد في نشاط. رأته شارمين ينظر بعزم وراءه وإلى الأسفل وهو يندفع إلى قلبة الدرج التالية، متأكدًا من أنها هي وصوفي وجمال ما زالوا يتبعونه.

وتبعوه، لأن اللوبوكن تمالكا نفسيهما بسرعة هائلة واندفعا إلى الأعلى وراء تونكل. اندفعت شارمين وصوفي صعودًا أيضًا، وتبعهما جمال وكلبه بصعوبة.

في منتصف الطريق نحو القلبة التالية، أمسك اللوبوكن بتونكل مرة أخرى. ومثل المرة الأولى سمعت أصوات لكمات قوية، وتحرر تونكل من قبضتيهما مرة ثانية وركض صاعدًا إلى القلبة الثالثة من

الدرج. وكاد يصل أعلاها عندما وصله اللوبوكن وألقيا بنفسيهما عليه. سقط الثلاثة في جمع من السيقان التي تتلوى وتلكز، والأذرع والأجنحة الأرجوانية المرفرفة.

كانت شارمين وصوفي عندها خائرتي القوى لاهثتين، ورأت شارمين بوضوح وجه تونكل الملائكي يخرج من الأجساد المتشابكة ويراقبهم بحذر. وعندما تمكنت شارمين بعد جهد جهيد من عبور بسطة الدرج واتجهت نحو القلبة التالية تتبعها صوفي التي تمسك جنبها ألمًا، تفرق جمع الأجساد فجأة. فتدحرج الجسدان الأرجوانيان جانبًا وذهب تونكل بعد تحرره يسرع في صعود القلبة الأخيرة من الدرج الخشبي. تمالك اللوبوكن نفسيهما وركضا خلفه، وكانت شارمين وصوفي على مقربة منهم، أما جمال وكلبه فما زالا بعيدين في آخر الجمع.

قعقع الخمسة الأوائل صاعدين الدرج الخشبي، وأخذ تونكل يصعد ببطء، فأيقنت شارمين أنها حيلة، لكن اللوبوكن صاحا صيحات النصر وأسرعا.

«أوه، لا! ليس مرة أخرى!»، تأوهت صوفي عندما خبط تونكل فاتحًا الباب في الأعلى وانطلق خارجًا إلى السطح. وانطلق اللوبوكن خلفه. وصلت شارمين وصوفي إلى هناك بمشقة وأطلتا من الباب المفتوح، فرأتا اللوبوكن يجلسان منفرجي السيقان على السطح الذهبي. وكانا في منتصف الطريق وكأنهما يتمنيان أنهما في مكان آخر. لم يكن لتونكل أثر، فقالت صوفي «وما الذي يعتزمه الآن؟»

عندها ظهر تونكل بالباب محمر الوجه يضحك ضحكة ملائكية وخصلات شعره الذهبية تؤلف هالة في مهب الريح. «تعاليا وثاهدا ما وجدت!»، قال مبتهجًا. «ثيرا خلفي».

أمسكت صوفي بجنبها وأشارت إلى السطح «وماذا عن هذين؟»، قالت لاهثة. «أنرجو أن يسقطا من السطح؟»

ابتسم تونكل ابتسامة ساحرة. «انتظري وثاهدي!»، وأمال رأسه الذهبي مستمعًا. في الأسفل، أخذت دمدمة كلب الطاهي وخربشته تعلو، فقد سبق سيده وهو يزمجر ويشق طريقه صاعدًا الدرج الخشبي لاهثًا لهاثًا شديدًا. أومأ تونكل وتوجه نحو السطح، ثم أتى بحركة صغيرة وتلفظ بكلمة، فانكمش اللوبوكن الجاثمان هناك فجأة محدثين صوتًا ساحقًا كريهًا وتحولا إلى شيئين مرفرفين أرجوانيين صغيرين، يرتجان على حرف السطح الذهبي.

«ماذا...؟»، قالت شارمين.

فاتسعت ابتسامة تونكل وغدت ملائكية أكثر. «حبّال [حبار]»، قال سعيدًا. «يبيع كلب الطاهي نفثه [نفسه] مقابل حبال».

قالت صوفي «ها؟ أوه، حبار. فهمتك».

وصل كلب الطاهي حينها وقوائمه تجري كالكباسات ولعابه يسيل من فكيه المدمدمين. فانطلق خارجًا من الباب على السطح كشعاع بني. وفي طريقه أخذ فكاه يطقطقان ويمضغان، ثم يطقطقان ويمضغان، واختفى الحباران. عندها أدرك الكلب مكانه، فشلت

حركته واضعًا ساقين على جانب السطح، والساقين الأخريين على الجانب الآخر متخشبًا وأنّ أنينًا يثير الشفقة.

«أوه يا للمسكين!»، قالت شارمين.

«ثينقذه الطاهي»، قال تونكل. «اتبعاني أنتما الاثنتان ثريعًا. اتجها يثارًا من هذا الباب قبل أن تطأ قدم أي منكما الثطح». وخرج من الباب يسارًا واختفى.

أوه، أظنني فهمت! حدثت شارمين نفسها. كان هذا مثل الأبواب في بيت العم الكبير وليم، عدا أن هذا عالٍ علوًّا يوهن العزيمة. وسمحت لصوفي بأن تخرج أولًا لتمسك بتنورتها إذا ما ذهبت في الاتجاه الخاطئ. لكن صوفي مطلعة على السحر أكثر من شارمين، فذهبت يسارًا واختفت دون أي متاعب. وأصاب شارمين قليل من التردد قبل أن تتجرأ على اللحاق بها، وأغمضت عينيها وذهبت. لكن عينيها انفتحتا من تلقاء نفسيهما وهي تمشي ونظرت نظرة جانبية خاطفة إلى السطح الذهبي الذي يسطع سطوعًا مدوّخًا بجانبها. وقبل أن تعزم على أن تصرخ «يلف!» لتحفز رقية الطيران، كانت في مكان آخر مثلث الشكل دافئ فيه دعامات السطح.

قالت صوفي كلمة بذيئة، ففي الضوء الخافت اصطدمت إصبع قدمها بإحدى الآجرات الكثيرة المغبرة المكدسة في المكان.

«مشاغبة مشاغبة»، قال تونكل.

«أوه اخرس!»، قالت صوفي وهي تقف على ساق واحدة وتمسك بإصبع قدمها. «لماذا لا تكبر؟»

«ليس بعد. أخبرتك»، قال تونكل. «ما ذلنا نحتاج إلى ختاع الأميو لودڤيك [ما زلنا نحتاج إلى خداع الأمير...]. آه، انظري! حدث هاثا عندما وثلت [وصلت] هنا أيضًا».

انتشر ضوء ذهبي على أكبر أكداس الآجر، وانعكس الضوء عليها فتوهجت ذهبية من تحت الغبار. أدركت شارمين أنها ليست بآجر بل هي سبائك من الذهب الخالص. ولإثبات هذا ظهرت راية ذهبية ترفرف أمام السبائك، وكتب عليها بخط عتيق الطراز:

المجد للساحر ما لي كوت
الذي خبأ للملك ذهبه

«هه!»، نخرت صوفي تاركة إصبع قدمها. «لا بد أن مليكوت لا يجيد التهجئة مثلك. لكنتما خير صديقين! تتمتعان بالقدر نفسه من الغرور. لم يستطع مقاومة إغراء كتابة اسمه طلبًا للشهرة، صحيح؟»

«لا أحتاج كتابة اثمي طلبًا للثهرة»، قال تونكل بزهو كبير.

«غبي!»، قالت صوفي.

«أين نحن؟»، سألت شارمين بسرعة إذ بدا لها أن صوفي ستحمل آجرة ذهبية وتهشم بها رأس تونكل. «أهذه الخزينة الملكية؟»

«لا، نحن تحت الثطح الذهبي»، قال لها تونكل. «حاذق، ثحيح؟ يعرف الكل أن الثطح ليث ذهبًا حقيقيًا، ولكن لم يخطر لأحد البحث

عن الذهب هنا». ونقر على آجرة وخبطها على الأرض لينفض عنها الغبار وألقى بها بين يدي شارمين وقال «احملي الدليل. أظن الملك ثيفرح كثيرًا برؤيته».

وقالت صوفي التي استعادت هدوءها قليلًا «هذه اللثغة! إنها تفقدني صوابي! أظنني أكرهها أكثر من كرهي هذه الخصلات الذهبية!»

فقال تونكل «ولكنها عظيمة الفائدة. فقد حاول لودڤيك اللئيم اختطافي ونثي أمر مورغن». وأدار عينيه الزرقاوين الكبيرتين الحزينتين نحو شارمين. «قضيت طفولة بائثة، لم يحبني أحد. ولي الحق أن أعيثها ثانية وأنا أحلى. أتوافقيني؟»

«لا تستمعي إليه»، قالت صوفي. «هذه حيلة فحسب. كيف نخرج من هنا يا هاول؟ تركت مورغن مع الملك ولودڤيك موجود في الأسفل أيضًا. إن لم نعد أدراجنا بسرعة، فسيفكر لودڤيك في أخذ مورغن في أي لحظة».

«وطلب مني كالسيفر إبلاغكم أن تسرعوا»، أضافت شارمين. «القلعة تنتظر في الساحة الملكية. ولقد جئت حقًا لأقول...»

وقبل أن تنهي جملتها، فعل تونكل شيئًا جعل العلية المغبرة تدور من حولهم، فباتوا يقفون الآن بجانب الباب المفتوح على السطح. وخلف الباب كان جمال منكبًّا على وجهه على حرف السطح ترتعد أوصاله يمد إحدى يديه ليمسك بالقائمة اليسرى الأمامية لكلبه.

ودمدم الكلب دمدمة مريعة، فقد كره أن تُمسَك ساقه وكره السطح، لكنه خائف جدًا من السقوط فلم يتحرك.

قالت صوفي «ليس له إلا عين واحدة كما أنه ليس متوازنًا يا هاول».

«أعرف»، قال تونكل. «أعرف، أعرف!»

فحرك يدًا وأتى جمال منزلقًا إلى الوراء نحو الباب يجز الكلب المدمدم. فقال جمال لاهثًا عندما حط الاثنان مكومين عند قدمي تونكل «ربما أكون ميتًا! لماذا لسنا ميتين؟»

«الرب يعلم»، قال تونكل. «اثمح لنا. علينا أن نخبر الملك عن ثبائك الذهب».

وذهب مسرعًا ينزل الدرج، وركضت خلفه صوفي وتبعتهما شارمين مبطئة قليلًا بسبب ثقل سبيكة الذهب. واندفعوا نزولًا أسفل فأسفل حتى لفوا زاوية القلبة الأخيرة من الدرج. فوصلوا عندما دفع الأمير لودفيك الأميرة هلدا بكتفه جانبًا، وركض متجاوزًا سِم وجذب مورغن من بين ذراعي الملك.

«رجل شرير!»، صاح مورغن، وأمسك بشعر الأمير لودفيك المجعد وشده. فانخلع الشعر تاركًا رأس الأمير أصلع ناعمًا أرجوانيًا.

«قلت لك ذلك!»، صرخت صوفي وطارت مسرعة، فركضت هي وتونكل نازلين الدرج معًا.

نظر إليهما الأمير في الأعلى وإلى ويف في الأسفل، وهي تحاول

عض كاحله وتحاول شد الشعر المستعار من يدي مورغن. كان مورغن يضرب وجه لودڤيك وما زال يصرخ «رجل شرير!»، فنادى الرجل الرتيب «من هذا الاتجاه يا صاحب السمو!»، وركض اللوبوكن إلى أقرب باب.

«ليس في المكتبة!»، صاح الملك والأميرة في صوت واحد.

وقصدا ما يقولانه فكانا متجبرين جدًا ما جعل الرجل الرتيب يتوقف ويستدير ليأخذ الأمير في اتجاه آخر. فمنح هذا تونكل الوقتَ ليلحق بالأمير لودڤيك ويتعلق بكمّه الحريري الطويل. فصاح مورغن صيحة فرح وألقى الشعر المستعار على وجه تونكل فحجب عنه الرؤية. وانجرّ تونكل بلا حول منه نحو أقرب باب، والرجل الرتيب يركض في الأمام وويف تطاردهم تنبح نباحًا حادًا وصوفي من وراء ويف تصرخ «أنزله وإلا قتلتك!» ولحق بها الملك والأميرة.

«أقول إن هذا كثير قليلًا!»، نادى قائلًا، فأمرتهم الأميرة «توقفوا!»

حاول الأمير والرجل الرتيب أن يلقيا بنفسيهما والطفلين من الباب ثم يصفقاه في وجه صوفي والملك. ولكن في اللحظة نفسها، فتحت ويف الباب مرة أخرى وخرج منه البقية يركضون.

كانت شارمين آخرهم مع سِم، وأخذت ذراعاها تؤلمانها فقالت لسِم «هلا حملت هذا؟ إنه دليل».

ومررت السبيكة الذهبية إلى سِم وهو يقول «حتمًا يا آنستي»، ونزلت يداه وذراعاه من ثقلها. تركته شارمين يلعب بها وهرعت نحو الغرفة الكبيرة التي تحوي الأحصنة الهزازة تحف جدرانها. كان الأمير لودڤيك يقف وسطها شكله غريب جدًا برأسه الأصلع الأرجواني. كان يمسك بعنق مورغن بيد واحدة وويف تقفز وترقص عند قدميه محاولة الوصول إلى مورغن، والشعر المستعار ملقًى على السجادة كأنه حيوان ميت.

قال الأمير «ستفعلون ما آمركم وإلا آذيت هذا الصغير». فلمحت عينا شارمين وميضًا أزرق مفاجئًا مندفعًا من المدفأة. فنظرت ورأت كالسيفر الذي جاء نازلًا من المدخنة بحثًا عن الحطب. فاستقر بين الحطب غير المشتعل متنهدًا تنهيدة سرور، وحين رأى شارمين تنظر إليه غمز إليها بعين برتقالية.

«سأؤذيه كما قلت!»، قال الأمير لودڤيك بصورة استعراضية.

نظرت صوفي إلى مورغن الذي يتلوى في يد الأمير ثم إلى تونكل الواقف هناك يحملق إلى أصابعه كأنه لم يرها من قبل. ولمحت كالسيفر وحاولت ألا تضحك، بل جاء صوتها متذبذبًا عندما قالت «أحذرك يا صاحب السمو، فأنت ترتكب خطأً كبيرًا».

«هذا صحيح»، وافقها الملك لاهثًا أحمر الوجه بعد المطاردة. «نحن في هاي نورلند لا نحاكم أحدًا بتهمة الخيانة، لكننا سنفعل هذا لك بكل سرور».

«وكيف لكم ذلك؟»، سأل الأمير. «أنا لست واحدًا من رعاياكم، بل أنا لوبوكن».

«بموجب القانون إذن لا يمكنك أن تصبح الملك بعد أبي»، قالت الأميرة هلدا، وقد استعادت برودها وتهذيبها الملكي، على خلاف والدها.

«أوه حقًا؟»، قال الأمير. «يقول أبي اللوبوك إني سأكون الملك. وهو يقصد أن يحكم البلاد من خلالي، فقد تخلص من الساحر كي لا يعترض شيء طريقه. عليك أن تنصبني ملكًا في الحال وإلا آذيت هذا الصغير. إنه رهينة عندي، وعدا ذلك فما الخطأ الذي ارتكبته؟»

«لقد سرقت نقودهما كلها!»، صاحت شارمين. «لقد رأيتكما -وكلاكما من اللوبوكن- تجعلان الكوبولد يحملون نقود الضرائب إلى قلعة جوي! وستترك ذلك الصغير قبل أن يختنق!» كان وجه مورغن أحمر قانيًا وهو يحاول محاولة حثيثة. لا أحسب اللوبوكن عندهم مشاعر حقيقية، ولا أفهم ما الذي يجعل صوفي ترى الأمر طريفًا جدًا! قالت شارمين لنفسها.

«يا إلهي!»، قال الملك. «هذا مكان اختفاء النقود يا هلدا إذن! ها قد حللنا لغزًا واحدًا. شكرًا لك يا عزيزتي».

قال الأمير لودفيك مشمئزًا «وما الذي يدعوك إلى السرور؟ ألا تستمع إلي؟»، والتفت نحو الرجل الرتيب «سيقدم إلينا الفطائر الصغيرة بعد ذلك! امض قدمًا وألق رقيتك وأخرجني من هنا».

هز الرجل الرتيب رأسه وبسط يديه الأرجوانيتين الفاتحتين أمامه. عندئذ دلف سِم حاملًا السبيكة الذهبية بين يديه، واتجه سريعًا إلى الرجل الرتيب ورمى السبيكة الذهبية على أصابع قدمه.

ثم وقع كثير من الأشياء بسرعة.

أخذ الرجل الرتيب، الذي غدا أرجوانيًا من الألم، يقفز ويصرخ، وكاد مورغن يلفظ أنفاسه الأخيرة فلوّح بذراعيه تلويحة غريبة متشنجة. ووجد الأمير لودڤيك أنه يحاول حمل رجل ناضج طويل يلبس بدلة زرقاء أنيقة من الساتان. فرمى الرجل الذي استدار من فوره وضرب الأمير في وجهه.

«كيف تجرؤ؟! أنا لم أعتد هذا!»، صرخ الأمير.

«سوء حظك»، قال الساحر هاول وضربه ثانية. زلت قدم الأمير لودڤيك بشعره المستعار فجلس بخبطة. «اللغة الوحيدة التي يفهمها اللوبوكن»، عقَّب الساحر ناظرًا إلى الملك خلفه. «هل نلت ما يكفيك يا فتى المروج الكبير؟»

في الوقت نفسه ركض مورغن، الذي يلبس بدلة تونكل الزرقاء المخملية المجعدة جدًا والكبيرة جدًا عليه، وهتف «بابا- بابا- بابا!»

أوه فهمت! قالت شارمين لنفسها. لقد تبادلا الأماكن، وهذا سحر جميل. أود تعلم فعل ذلك. وتساءلت وهي ترى الساحر يبعد مورغن عن الأمير بحذر، عما يدعو هاول ليريد وسامة أكثر

من وسامته الآن. فقد كان الصورة التي يتخيلها معظم الناس عن الجمال رغم أن شعره متكلف قليلًا، إذ انسدل على كتفيه الزرقاوين الساتان في خصلات فائقة الجمال بلون الكتان.

وفي الوقت نفسه أيضًا، وقف سِم -والرجل الرتيب يقفز أمامه- وهو يحاول أن يقول بيانًا رسميًا. لكن مورغن جعجع ونبحت ويف نباحًا شديدًا فلم يسمع أحد إلا «يا صاحب الجلالة» و«صاحب السمو الملكي».

أثناء إعلان سِم، نظر الساحر هاول إلى المدفأة وأومأ. فقد حدث شيء ما، بين الساحر وكالسيفر لم يكن بوميض الضوء ولا وميض ضوء خفي أيضًا. وإذ ما زالت شارمين تصفه لنفسها، احدودب الأمير لودڤيك واختفى في الأسفل، وكذا حدث للرجل الرتيب، وكان في مكانهما أرنبان.

نظر إليهما الساحر هاول ثم إلى كالسيفر. «لماذا اخترت الأرانب؟» سأل وهو يؤرجح مورغن بين ذراعيه، فكف مورغن عن الصراخ وسادت لحظة من الصمت.

«لقد أوحى إليَّ كل ذلك القفز بالأرانب»، قال كالسيفر.

لم يزل الرجل الرتيب يقفز، لكنه يقفز الآن بصفته أرنبًا أبيض كبيرًا له عينان أرجوانيتان جاحظتان. وأصابت الدهشة الأمير لودڤيك، وقد تحول إلى أرنب بلون الظبي وعيناه الأرجوانيتان أكبر، فلم يتمكن من الحركة، بل ارتجفت أذناه وارتعش أنفه...

حدث هذا عندما هجمت ويف.

حينها دخل إلى الغرفة الزوار الذين حاول سِم أن يعلن عن وصولهم. وقتلت ويف الأرنب الذي له لون الظبي تحت بكرات كرسي الزلاجة الذي نقشه الكوبولد، تدفعه ساحرة مُنتالبينو. واتكأ العم الكبير وليم، شاحبًا قليلًا لكنه بصحة جيدة، على كومة من المخدات الزُّرق فوق الكرسي. واستند هو والساحرة وتمنز الواقف على المخدات إلى جانب الكرسي الأزرق المنقوش ليروا ويف تدمدم دمدمة صغيرة وتلقي بالأرنب البني جانبًا من عنقه، ثم بدمدمة صغيرة أخرى قذفته من فوق ظهره ليسقط بخبطة ميتًا على السجادة.

«يا رب السماوات!»، قال الساحر نورلند والملك وصوفي وشارمين. «ظننت ويف صغيرًا ولا يمكنه فعل هذا!»

انتظرت الأميرة هلدا حتى وقع الأرنب واتجهت نحو الكرسي الزلاجة. فتجاهلت بفخامتها الهرج والمرج الصاخب لملاحقة ويف الأرنب الأبيض في أنحاء الغرفة. «عزيزتي الأميرة ماتيلدا»، قالت الأميرة مادة يديها إلى والدة بيتر. «مر وقت طويل على آخر زياراتك لنا هنا. أرجو أنك تعتزمين المكوث بيننا في زيارة طويلة».

«هذا يتوقف على بعض الأمور»، قالت الساحرة بجفاف.

«هذه نسيبة ابنتي»، أوضح الملك لشارمين وصوفي. «تفضل أن تدعى ساحرة مكان ما عادة، وتنزعج إذا ناداها أحد بالأميرة ماتيلدا. ولابنتي غاية من ذلك، فهلدا لا تفضل التواضع المصطنع».

عندها رفع الساحر هاول مورغن على كتفيه ليتمكن الاثنان من رؤية ويف وهي تحاصر الأرنب الأبيض خلف الحصان الهزاز الخامس، ودمدمت دمدمات صغيرة. وفي نهاية المطاف جاء جسد الأرنب الأبيض طائرًا فوق الأحصنة الهزازة، ميتًا ورخوًا.

«مرحى!»، هتف مورغن وهو يضرب بقبضتيه على شعر أبيه الكتاني.

وأنزل هاول مورغن على عجل وناوله صوفي وسألها «هل أخبرتهم بأمر الذهب؟»

«ليس بعد. فقد سقط الدليل على قدم أحدهم»، قالت صوفي وهي تحكم قبضتها على مورغن.

«أخبريهم الآن»، قال هاول. «ثمة شيء غريب آخر هنا»، وانحنى وأمسك بويف وهي تجري نحو شارمين. تلوت ويف وتأوهت ورفعت عنقها وفعلت كل ما تستطيعه لتوضح أنها أرادت الذهاب إلى شارمين. «بعد قليل، بعد قليل»، قال هاول مقلّبًا ويف تقليبًا حائرًا. ثم حملها نحو كرسي الزلاجة، حيث الملك يصافح الساحر نورلند مسرورًا وصوفي تعرض عليهما سبيكة الذهب. وتحلق تمنز والساحرة والأميرة هلدا حول صوفي ينظرون ويسألون صوفي أين وجدت الذهب.

وقفت شارمين وسط الغرفة تشعر بالإهمال، وقالت لنفسها أعرف أني أبالغ، فأنا كما أنا دائمًا. لكنني أريد استعادة ويف، أريد

أن آخذها معي عندما يعيدوني إلى أمي. فقد تبين لها أن والدة پيتر ستعتني بالعم الكبير وليم الآن، وأين ستكون شارمين حينها؟

سمع صوت ارتطام هائل.

ارتجت الجدران مخرجة كالسيفر من المدفأة ليحوم فوق رأس شارمين. ثم انفتح في حركة شديدة البطء ثقب كبير في الجدار بجوار المدفأة. تقشر ورق الجدران أولًا وتبعه الجص تحته، ثم تفتتت الحجارة الداكنة تحت الجص واختفت، فلم يبق شيء إلا الفراغ المظلم. في النهاية، وليس بالحركة البطيئة، اندفع پيتر إلى الوراء من خلال الثقب ثم حط مرميًا أمام شارمين.

«ثقب!»، هتف مورغن وهو يشير بيده.

«أظنك على حق»، وافقه كالسيفر.

لم يظهر للضيق أثر في پيتر، بل رفع نظره إلى كالسيفر وقال «لم تمت إذن. عرفت أنها تبالغ مبالغة غبية، فهي لا تحسن تقدير الأمور».

«أوه، شكرًا لك يا پيتر!»، قالت شارمين. «ومتى أحسنت أنت ذلك؟ أين كنت؟»

«نعم صحيح»، قالت ساحرة مُنتالبينو. «أود أن أعرف ذلك أنا أيضًا»، ودفعت كرسي الزلاجة نحو پيتر، فأخذ العم الكبير وليم وتمنز يحدقان إلى پيتر، إضافة إلى الآخرين، عدا الأميرة هلدا التي نظرت غاضبة إلى الثقب في الجدار.

لم يساور بيتر القلق، فاعتدل «أهلًا يا أمي»، قال مبتهجًا. «لماذا لست في إنغري؟»

«لأن الساحر هاول هنا»، قالت أمه. «وأنت؟»

«كنت في مشغل الساحر نورلند. ذهبت إليه حالما تملصت من شارمين»، قال ولوّح بيديه التي عقد حول أصابعهما خيوطًا بألوان قوس قزح ليبين لها كيف وصل إلى هناك. لكنه نظر إلى الساحر نورلند قلقًا «لقد توخيت الحذر هناك يا سيدي، صدقًا».

«أحقًا فعلت؟»، قال العم الكبير وليم، ناظرًا إلى الثقب في الجدار، فقد أخذ يلتئم شيئًا فشيئًا. وبدأت الحجارة الداكنة تتراصف بهدوء نحو منتصفه والجص ينبت فوق الحجارة. «وما الذي كنت تفعله هناك طوال يوم وليلة إن أذنت لي بالسؤال؟»

«رُقى كهانة»، أوضح بيتر، «فهي تستغرق دهورًا. كنت محظوظًا لوضعك رُقى الطعام هناك يا سيدي، وإلا لتضورت جوعًا. كما أني نمت في فراش التخييم العائد إليك، وأرجو أن هذا لا يضايقك». وبالنظر إلى وجه العم الكبير وليم، تبين أن هذا يضايقه، فأردف بيتر متعجلًا «لكن الرُّقى نجحت يا سيدي. لا بد أن الكنز الملكي موجود هنا، في مكاننا لأني أخبرت الرقية بأن تأخذني إلى مكانه».

«وهذا ما فعلته»، قالت أمه. «لقد وجده الساحر هاول سلفًا».

«أوه»، قال بيتر. وبدا منكسر الخاطر، ثم ابتهج قائلًا «لقد ركبت رقية ناجحة إذن!»

فاتجهت أنظار الجميع إلى الثقب الذي يلتئم ببطء، وكان ورق الجدران يغطي الجص بهدوء، ولكن الواضح أن الجدار لن يعود مثلما كان، فبات نديًا مجعدًا. «أنا متأكدة أنك تشعر بارتياح عظيم لهذا أيها الشاب»، قالت الأميرة هلدا بجفاء، ونظر إليها بيتر نظرة خالية من التعبير والواضح أنه تساءل من تكون.

تنهدت أمه وقالت «هذه صاحبة السمو الأميرة هلدا من هاي نورلند يا بيتر. لعلك تتكرم وتنحني إليها وإلى أبيها الملك. فهما من أنسبائنا المقربين».

«وكيف ذلك؟»، سأل بيتر، لكنه تخبط واقفًا على قدميه وانحنى انحناءة مهذبة.

«هذا ابني بيتر، ومن سيكون على الأرجح وريث عرشك يا مولاي»، قالت الساحرة.

«يسرني لقاؤك يا فتاي»، قال الملك. «لقد بات هذا محيرًا جدًا. ألن يشرح لي أحد؟»

«سأشرح لك أنا يا مولاي»، قالت الساحرة.

«ربما يجدر بنا أن نجلس جميعًا»، أشارت الأميرة. «هلا تفضلت بأن تتخلص من هذين الـ... إه الأرنبين الميتين يا سِم من فضلك؟»

«أمرك يا سيدتي»، قال سِم، وانطلق مسرعًا في الغرفة يحمل الجثتين. وواضح أنه حريص لئلا يفوته شيء مما تقوله الساحرة، فكانت شارمين واثقة بأنه رمى بالأرنبين خارج الغرفة. وحين

عاد مسرعًا، جلس الجميع على الأرائك الفخمة الباهتة، إلا العم الكبير وليم الذي اضطجع على مخداته بادٍ عليه النحول والوهن، وتمنز الذي جلس على مخدة قرب أذن العم الكبير وليم. عاد كالسيفر ليستقر في الموقد، وأخذت صوفي مورغن على ركبتيها إذ وضع إبهامه في فمه وغط في النوم. وأعاد الساحر هاول في النهاية ويف إلى شارمين، مبتسمًا لها ابتسامة اعتذار مدوخة أربكت شارمين.

أفضل أن يكون رجلًا ناضجًا. لا عجب أن صوفي اغتاظت جدًا من تونكل! قالت شارمين في نفسها. زعقت ويف وقفزت ووضعت كفيها على نظارة شارمين المعلقة لتلعق لها ذقنها، فمسدت شارمين أذني ويف وربّتت على الشعر الخفيف في قمة رأسها وهي تستمع إلى ما تقوله والدة بيتر.

«لقد تزوجت بقريبي هانز نكولاس كما تعرفون، وكان حينئذ الثالث في الترتيب لوراثة عرش هاي نورلند وكنت أنا الخامسة. ولأني امرأة فأنا لا أُحتسَب ثم إن الأمر الوحيد في العالم الذي أردته هو أن أكون ساحرة محترفة. كما أن هانز لم يغرِه أن يكون ملكًا، فقد شُغف بتسلق الجبال واكتشاف الكهوف والممرات الجبلية الجديدة بين الكتل الجليدية. وكنا قانعيْن بالسماح لنسيبنا لودڤيك بوراثة العرش. لم يحبه كلانا، وردد هانز دائمًا أن لودڤيك أكثر امرئ عرفه أنانية وقسوة، وأدرك كلانا أنه لن يتعرض لنا إن ابتعدنا وأظهرنا إعراضنا عن وراثة العرش.

فانتقلنا إلى مُنتالبينو إذ أصبحت الساحرة وبات هانز مرشدًا جبليًا، وعشنا في سعادة حتى وُلد پيتر عندما اتضح كل الوضوح أن أقرباءنا الآخرين يموتون كالذباب. لم يموتوا فحسب، بل قيل إنهم أشرار وماتوا بسبب شرورهم. وعندما قتلت نسيبتي إزولا ماتيلدا الأرقّ والألطف بين الفتيات، أثناء محاولتها قتل أحد آخر، تيقن هانز أن هذا من صنع لودڤيك، وقال «إنه يقتل قتلًا منظمًا كل ورثة العرش الآخرين. ولطخ سمعتنا بفعله هذا».

أصابني خوف شديد على هانز وپيتر، إذ كان هانز عندئذ الوريث التالي بعد لودڤيك وحل پيتر بعد الاثنين. فأخرجت مكنستي وحملت پيتر على ظهري وطرت إلى إنغري لاستشارة السيدة پنتستمن التي تتلمذت على يدها لأكون ساحرة». ثم التفتت الساحرة نحو هاول قائلة «وأظنك تتلمذت على يدها أنت الآخر أيها الساحر هاول».

فابتسم لها هاول إحدى ابتساماته الوضاءة «حدث بعد هذا بوقت طويل، كنت آخر تلاميذها».

فقالت ساحرة مُنتالبينو «تعرف إذن أنها الأفضل، ألا توافقني الرأي؟»، فهز هاول رأسه موافقًا. وواصلت الساحرة كلامها «كانت على صواب دائمًا»، فهزت صوفي رأسها موافقة على هذا بشيء من الحزن. قالت الساحرة «لم تكن متأكدة من أني أستطيع فعل أي شيء سوى أخذ پيتر والهرب بعيدًا، فاقترحت الذهاب إلى إنهيكو. فقلت: «وماذا عن هانز؟» فرأت أني محقة في قلقي وقالت: «أمهليني نصف يوم لأجد لك الجواب». فذهبت وحبست نفسها

في مشغلها، وبعد أقل من نصف اليوم خرجت هلعة. لم أرها يومًا في هذه الحال من القلق فقالت: «يا عزيزتي، قريبك لودڤيك مخلوق شرير يدعى لوبوكن، نسل لوبوك يطوف التلال بين هاي نورلند ومُنتالبينو، وهو يفعل ما شك زوجك هانز في أنه يفعله، بمساعدة من ذلك اللوبوك. عليك أن تسرعي في العودة إلى مُنتالبينو حالًا! ولندعُ أن تصلي في الوقت المناسب. ولا تخبري أحدًا بأي حال من الأحوال من يكون فتاك الصغير، لا تخبريه هو ولا تخبري أحدًا، وإلا حاول اللوبوك قتله أيضًا!»

«أوه، ألهذا لم تخبريني من قبل بكل ذلك؟»، قال پيتر. «كان حريًا بك ذلك، فأنا قادر على حماية نفسي».

قالت الساحرة «هذا ما ظنه هانز المسكين هو الآخر. كان علي أن أجعله يرافقنا إلى إنغري. ولا تقاطعني يا پيتر. لقد كدت تنسيني آخر ما قالته لي السيدة پنتستمن وهو «ووجدت لك الجواب يا عزيزتي. في بلدك الأم ثمة شيء يدعى، أو كان يدعى، عطية العفريت يعود إلى عائلة مالكة له القدرة على حفظ سلامة الملك وكل البلاد. اذهبي واطلبي من ملك هاي نورلند أن يعيرك عطية العفريت من أجل پيتر، فهذا سيحميه». فشكرتها وحملت پيتر على ظهري مرة أخرى وطرت بأقصى سرعتي إلى مُنتالبينو، وقصدت أن أطلب من هانز أن يرافقني إلى هاي نورلند لطلب عطية العفريت، وعند وصولي أبلغوني أن هانز في غرترهورنز مع فريق الإنقاذ في الجبال. فتوجست شرًا، وطرت إلى الجبال وپيتر لا يزال على ظهري. كان

يبكي جوعًا، لكني لم أجرؤ على التوقف. ووصلت في اللحظة المناسبة لأشهد افتعال اللوبوك للانهيار الأرضي الذي قتل هانز».

توقفت الساحرة هنا، كأنها لا تطيق مواصلة الكلام. فانتظر الكل في احترام وهي تبلع غصتها وتمسح عينيها بمنديل كثير الألوان. ثم رفعت كتفيها باقتدار وقالت «فوضعت رقًى حاميات على بيتر من فوري، أقوى ما استطعت. لم تفارقه لحظة، وربيته في سرية قدر المستطاع ولم أكترث قط عندما أخذ لودڤيك يشيع بين الناس أني سجينة مجنونة في قلعة جوي. فهذا يعني ألا أحد يعلم بأمر بيتر. وفي اليوم الذي تلا الانهيار الأرضي تركت بيتر عند جارة وذهبت إلى هاي نورلند. لعلك تتذكر مجيئي، صحيح؟»، سألت الملك.

«نعم أتذكره»، قال الملك. «لكنك لم تقولي شيئًا عن بيتر أو هانز، وما علمت قط أن الأمر حزين وخطير هكذا. كما أني لم أملك عطية العفريت، بل لم أعرف ما شكلها. وما فعلته أنك دفعتني أنا وصديقي الطيب الساحر نورلند إلى البحث عن عطية العفريت. ظللنا نبحث عنها طوال ثلاثة عشر عامًا، ولم نعثر على شيء، صحيح يا وليم؟»

«لم نجد شيئًا قط»، قال العم الكبير وليم مؤكدًا من كرسي الزلاجة. ثم ضحك قائلًا «لكن الناس يواصلون ظنهم بأني خبير في عطية العفريت. بل يقول بعضهم إنني أنا عطية العفريت وأنا أحمي الملك. إني أحاول حمايته طبعًا لكن ليس مثلما تفعل عطية العفريت».

«ولهذا أرسلت بيتر إلى هنا»، قالت الساحرة. «ثمة احتمال دائمًا بأن تصدق الأقاويل، وعرفت أنك ستحمي بيتر بأي حال. لقد أخذت أبحث عن عطية العفريت لسنوات، لأني ظننتها قادرة على القضاء على لودڤيك. أخبرتني بياتريس من سترانغيا أن الساحر هاول من إنغري يبزّ في عرافته أي ساحر آخر في العالم، لذا ذهبت إلى إنغري لأطلب منه أن يجدها لي».

فأرجع الساحر هاول شعره الكتاني اللون إلى الوراء وأخذ يضحك «وعليكم أن تعترفوا أني وجدتها!»، قال. «مفاجأة كبيرة. ها هي تجلس في حجر الآنسة شارمين!»

«ماذا... ويف؟»، قالت شارمين، فهزت ويف ذيلها وبدا عليها الحياء.

فهز هاول رأسه إيجابًا «هذا صحيح. كلبتك السحرية الصغيرة». والتفت إلى الملك «ألا تتكلم سجلاتك عن كلب؟»

«مرارًا»، قال الملك. «ولكني لم أعلم.... لقد أقام جدي الأكبر جنازة فخمة لكلبه عندما مات، فتعجبت لكل هذا الهراء!»

سعلت الأميرة هلدا بهدوء. «لقد بيعت معظم لوحاتنا الزيتية»، قالت، «لكني أذكر أن كثيرًا من ملوكنا الأوائل رُسموا وبجانبهم كلب. كانت تلك الكلاب عمومًا إه... أرقى هيئة من ويف».

«أظنها تكون في مختلف الأشكال والأحجام»، أضاف العم الكبير وليم. «يخيل إليَّ أن عطية العفريت شيء ترثه الكلاب، وقد

نسي الملك السابق أن يحسن تربيتها. فحين وضعت ويف جراءها في وقت سابق من هذا العام مثلًا...»

«ماذا؟»، قالت شارمين. «جراء!»، فهزت ويف ذيلها ثانية وأظهرت حياء أكبر. رفعت شارمين ذقن ويف ونظرت إلى عينيها مؤنبة وسألتها «كلب الطاهي؟» فطرفت ويف بعينيها خجلًا. «أوه يا ويف!»، تذمرت شارمين. «الرب يعلم كيف تبدو الجراء!»

«علينا أن ننتظر ونرجو»، قال العم الكبير وليم، «أن يرث أحد هذه الجراء عطية العفريت. ولكن لهذا جانبًا آخر يا عزيزتي. لقد تعهدتك ويف، وهذا يجعلك حارسة عطية العفريت في هاي نورلند. كما أن سفر الطروس قد تعهدك مثلما تقول لي ساحرة مُنتالبينو... لقد فعل، صحيح؟»

«أنا.. إه.. أمم. لقد جعلني أركب رقًى منه»، اعترفت شارمين.

«هذا يحسم الأمر إذن»، قال العم الكبير وليم متكئًا بارتياح على مخداته. «ستأتين للسكنى معي لتكوني تلميذة لي. يجب أن تتعلمي كيف تساعدين ويف في حماية البلاد جيدًا».

«نعم... أوه... لكن»، هذرت شارمين، «لن تسمح لي أمي... تقول إن السحر ليس بالشيء المحترم. أما أبي فلن يمانع غالبًا»، أضافت. «لكن أمي...»

«سأتولى هذا»، قال العم الكبير وليم. «وسأرسل إليها الخالة سمپرونيا إن لزم الأمر».

«والأفضل أني سأجعله مرسومًا ملكيًا. سينال هذا إعجاب والدتك. نحن نحتاجك كما ترين يا عزيزتي»، قال الملك.

«نعم، ولكني أود مساعدتك في الكتب!»، قالت شارمين.

فسعلت الأميرة هلدا واحدة من سعلاتها الرقيقة وقالت «سأكون مشغولة جدًا في إعادة تزيين هذا القصر وترميمه». كانت سبيكة الذهب ملقاة على السجادة قرب قدميها، فنخستها نخسة رقيقة بحذائها الحصيف، وقالت سعيدة «الآن وقد عدنا موسرين. أقترح أن تحلي محلي في المكتبة مع أبي مرتين في الأسبوع، إذا سمح الساحر نورلند بهذا».

«أوه، شكرًا لك»، قالت شارمين.

ثم أضافت الأميرة «أما پيتر...».

«لا تشغلي بالك بأمر پيتر»، قاطعتها الساحرة، «سأقيم مع پيتر وشارمين لتدبير شؤون البيت ريثما يستعيد الساحر نورلند عافيته. وربما أقمت هناك إقامة دائمة».

تبادل شارمين وپيتر والعم الكبير وليم نظرات ذعر. وقالت شارمين لنفسها أفهم الآن كيف غدت بهذا الاقتدار وقد تولت وحدها حماية پيتر. ولكن إن كانت تنوي الإقامة في ذلك البيت، فسأعود إلى السكن مع أمي!

«كلام فارغ يا ماتيلدا»، قالت الأميرة هلدا. «إن پيتر يهمنا كثيرًا، الآن وقد تبين أنه ولي العهد. سيعيش پيتر هنا ويذهب إلى

الساحر نورلند ليتلقى دروسًا في السحر. عليك أن تعودي إلى مُنتالبينو يا ماتيلدا، فهم يحتاجونك هناك».

«ونحن الكوبولد سنتدبر أمور البيت مثلما اعتدنا»، صفر تمنز.

آه، جيد. لا أظنني اعتدت تدبير شؤون البيت بعد، ولا پيتر قطعًا! حدثت شارمين نفسها.

«بوركت يا تمنز. بوركت يا هلدا»، همهم العم الكبير وليم. «تخيل كل ذلك النشاط في بيتي...»

«سأكون بخير يا أمي»، قال پيتر. «لم أعد في حاجة إلى حمايتك».

«إن كنت متأكدًا»، قالت الساحرة. «يخيل إليَّ...»

«والآن»، قالت الأميرة هلدا بمثل نشاط الساحرة، «سيبقى أن نودع ضيوفنا الكرام اللطيفين غريبي الأطوار قليلًا، ونراهم يغادرون في قلعتهم. تعالوا جميعًا».

«ووبس!»، قال كالسيفر وانطلق مندفعًا من المدخنة.

وقفت صوفي مخرجة إبهام مورغن من فمه، فاستيقظ ونظر حوله ورأى أباه ونظر حوله مرة أخرى. فعبس وجهه وقال «دنكل، أين دنكل»، وأخذ يبكي. «انظر إلى ما فعلته!»، قالت صوفي لهاول.

«أستطيع التحول إلى تونكل دائمًا»، أشار هاول.

«لا تجرؤ على ذلك!»، قالت صوفي وسارت في الممر المعتم خلف سِم.

بعد خمس دقائق تجمعوا كلهم على العتبات الأمامية للقصر ليروا صوفي وهاول وهما يمسكان بمورغن المتلوي الباكي ويدخلان من باب القلعة. وبعدما انغلق بابها على صرخات مورغن «دنكل، دنكل، دنكل!»، انحنت شارمين وهمست لويف بين ذراعيها «لقد حرست البلاد، صحيح؟ ولم أنتبه إلى ذلك قط!»

تجمع نصف أهالي هاي نورلند في الساحة الملكية لينظروا إلى القلعة. ورآها الجميع غير مصدقين وهي ترتفع قليلًا في الهواء وتسير نحو الطريق المؤدي إلى الجنوب. بل إنه ليس بأكثر من زقاق، فقال الناس «لن تدخله أبدًا!» لكن القلعة قلصت نفسها بصورة ما لتسير فيه وتغيب عن الأنظار.

وذهبت يرافقها هتاف أهالي هاي نورلند.

النهاية

